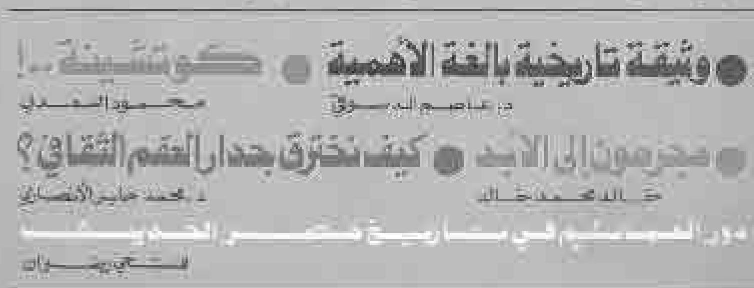




جزء خاص: ١١ عاماً على استقلال دولة قطر

● وثيقة تاريخية بالغة الأهمية

د. عاصم الدسوقي

● كيف نخترق جدار العقم الثقافي؟

د. محمد جابر الأنصاري

● مجرمون إلى الأبد

حتى لا تتم التصفية الكاملة للحضارة العربية



كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

من بين أهم أسباب العقم فى الثقافة العربية هذه السنين هو عجزنا نحن ، أبناء هذه السنين ، عن تجديد نظراتنا لتراثنا القريب والبعيد ، واعطائه عمقاً جديداً ، ومعنى جديداً ، وروحاً جديدة .

فنحن يتملكنا الشعور بان حركاتنا الأدبية والفكرية السابقة قد قيلت فيها الكلمة الفصل ، وانه لم يتبق شيء لمستزيد ، وان كل الأحكام والتقييمات قد صدرت ، وان جلسة التاريخ قد انفضت ، واننا وصلنا بعد فوات الأوان ، فلم يبق امامنا إلا ان نكرر ماقيل ، دون حماسة ، ودون حيوية ، ولسان حالنا يكرر مع عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ »

بل ونجد فى البيت المأثور لزهير ما يعبر أصدق تعبير عن شعورنا العقيم



محمود عباس العقاد
لماذا عتم على جوانبه الانسانية الأخرى ؟



جميل صدقي الزهاوي
مطلوب دراسة اعماله برؤيتنا المتجددة



عبد الرحمن الكواكبي
لماذا ننظر إليه مع بقية العلماء نظرة ثابتة ؟



لطفي السيد
هل هناك مبرر لاعادة الحديث عنه ؟

ما ارانا نقول إلا معارا!
أو معادا من لفظنا مكرورا .. !

فهل من مبرر لاعادة الحديث عن محمد عبده والكواكبي ؟ وهل من مبرر لفتح ملفات طه حسين ولطفي السيد وجبران وميخائيل نعيمة ؟ .

وهل من فائدة ترتجى وراء العودة لدراسة شوقي والزهاوي والشابي والرصافي وحافظ ابراهيم ؟ .
ناهيك بجدوى العودة إلى المتنبي والمعري والمعتزلة وابن رشد وابن خلدون ، فلا جديد تحت شمس العرب !!

إننا ننظر إلى كل هؤلاء الأعلام التراثيين كما لو كانوا وجوها ثابتة ، ساكنة ، جامدة الخطوط والالوان والاطر ، بحيث لا ينتظر منها أن توحى لنا بتعبيرات جديدة ، وايحاءات اخرى مغايرة ، تكشف لنا عن معان متجددة وعلاقات متجددة بيننا وبينها ..

هذا مع العلم ان علماء الآثار يرون في طبقات الأرض الجامدة الساكنة ما يدفع إلى التنقيب عن الجديد بين طبقاتها دون توقف .. وإذا ما انتهوا من طبقات المكان التفتوا إلى تراكمات الزمان ، يسبرونها سبرا بواسطة الأشعة والأجهزة الحديثة ليكتشفوا كم من العصور تراكمت على القرطاس الواحد والجلد الواحد ..

فهل يكون تراثنا العربي الانساني ، وهل يكون اعلام هذا التراث اقل إيحاء لنا مما توحيه الآثار الجامدة لأهلها ودارسيها ؟ ؟
وهل هذا التراث وهؤلاء الاعلام وجه ظاهري واحد لا اعماق له ؟

سر النهضات الأوربية :

ثم اننا لو تاملنا في سر النهضات الاوربية المتتالية في مجرى الحضارة الغربية ، التى مازالت تغزو العالم ماديا ومعنويا ، لوجدنا ان كل نهضة جديدة من تلك النهضات كانت تبدأ باعطاء الماضي والتراث لونا جديدا ، وبعدا جديدا ، وعمقا جديدا ، لتنطلق من ذلك إلى إعطاء الحاضر أيضا هذا اللون الجديد ، والبعد الجديد ، والعمق الجديد . فتتجدد بذلك الحضارة ، وتنفض عن نفسها غبار الجمود ، الذي يجلبه الكسل التاريخي في حياة الامم بين عصر وعصر ، وتنطلق من جديد شابة ، نشطة طافحة بدماء الشباب واحلام الخصب المنتظر .

لقد أعطى عصر النهضة للفيلسوف ارسطو صورة جديدة ، ومعنى جديداً لم يكن شائعا في العصور الوسطى .

وكان هذا المعنى الجديد الذى اكتشفه عقل النهضة في التراث الأرسطى ، والتراث الاغريقي بعامة ، هو الجذوة التى اشعلت فيما بعد مشاعل التجديد الفلسفى الحديث على يد ديكارت وكانت وهيغل .

كما اعطت نهضة القرن التاسع عشر لمسرح شكسبير عمقا جديداً لم يكن مكتشفا في نظرات القرون السابقة للتراث الشكسبيري .

وهذا العمق الجديد لم يكن مجرد اضافة أكاديمية لدراسات شكسبير ، ولكنه كان اضافة جوهرية لثقافة القرن التاسع عشر ذاته ، ولثقافة اهله ، ولطريقة رؤيتهم للحياة وللاعماق الانسانية وللنفس البشرية وللمجتمع والتاريخ ، ولم يكن تراث شكسبير سوى البؤرة المناسبة لانعكاس كل هذه الاضواء الحضارية الجديدة في ثقافة القرن التاسع عشر وانصبابها مكثفة كما تنصب اشعة الشمس على كرة البلور .

كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بل ان شخصية المسيح ذاتها ، كانت تتخذ عبر النهضات الاوربية ، ابعاداً واعماقا جديدة لم تكن واردة فى وعى اهل العصور السابقة . فمسيح لوثر غير مسيح البابوات ، غير مسيح كارليل ، غير مسيح رينان ، غير مسيح نيتشه . وليس معنى هذا ان هؤلاء اخترعوا مسيحاً جديدا لم يكن موجوداً فى الاصل . ولكنهم استطاعوا – بالخصب الابداعي المنبثق من ذواتهم – ان يكتشفوا فى شخصية المسيح ابعاداً دينية وانسانية وحضارية لم يكتشفها اهل المسيحية من قبلهم ولم يستطيعوا ان يستشرفوها بما كان لديهم من وعي .

وقد صبت هذه الرؤى والنظرات الجديدة فى التراث المسيحي لتخصبه وتغنيه وتجعل الحضارة الغربية اقدر على التجدد والاستمرار ..

عقلية تؤدى بنا الى التصفية

وغني عن البيان أن سيطرة الروح التقليدية السكونية الحرفية فى اية حضارة لا يمكن ان تسمح بمثل هذا التجديد وحتى لو وجد الرواد المبدعون فان روح التقليد تقضي عليهم بشكل او باخر إن لم يكن بتصفيتهم ،فبتقليص وتقليم اجنحة الابداع فى عقولهم وقلوبهم ، حتى يعودوا مثل غيرهم من ابناء الحضارة التقليدية ، إلى اجترار المعار والمعاد والمكرور من اللفظ والمعنى ، على رأى زهير ابن أبي سلمى

ومع روح الجمود التقليدي ، تتضافر ضد التجديد ، نزعة التعظيم –بل التقديس – لاعلام التراث بحيث يبدو كل بحث جديد مبتكر فى ناحية من نواحي حياتهم وكأنه هدم لعظمتهم واجتراء على مكانتهم ، وليس محاولة مخلصة لتسليط ضوء جديد على ناحية خفية فى فكرهم أو حياتهم العامة أوالخاصة .

غير ان استمرار اية ثقافة وحضارة في هذا الموقف من شانه ان يؤدى بها ليس إلى العقم والجمود فقط ، بل إلى الموت المحقق وإلى التصفية التامة . ونحن لا نقول ذلك من باب المبالغة والتهويل ،ويكفي انَنلاحظ انه بينما يتم تجنيد المراة فى الجيش الاسرائيلي الزاحف إلى مختلف الاتجاهات على الأرض العربية ، مازالت محافلنا الفقهية والفكرية تبحث فى جواز خروج المراة إلى العمل ، وفي جواز وضع صورة لها على بطاقة الهوية للتحقق من الشخصية وفي مدى ضرورة تطويل اللحية وتقصير الثوب بالنسبة للرجال ..

فهل تستطيع عقلية كهذه ان تتفهم العمق الانساني فى شخصية عمر بن الخطاب . والعمق الفكرى لدى المعتزلة . والعمق الفلسفي لدى ابن رشد ، والعمق الاجتماعي التاريخي لدى ابن خلدون ؟ .

بل هل تستطيع ان تفهم أي معنىحضاري فى دعوة محمد ، وفى شخصية محمد وان تنفذ إلى العمق الروحي الالهي والعمق البشري الانساني فى الرسالة الاسلامية ؟ .

نهضة لم تحدث :

هذه مسالة لا مفر من مواجهتها إذا اردنا نهضة جديدة وإحياء لوجودنا المهدد من كل ناحية .

ولن يجدينـــا نفعـــاً مانؤسسه من جامعات وما ننشره من كتب وصحف ومانقيمه من مطابع واذاعة وتلفزة ، إذا كانت هـذه النهضة المادية المظهرية لا تصاحبها – فى العمـــق – نهضة معنوية .. جوهرية .. داخلية فى صميم الانسان فىصميم الفكر ، فى صميم الارادة والاخلاق والقيم .

ومن الخير ان نتصارح ، ونصارح انفسنا ، بان هذه النهضة المعنوية الجوهرية لم تظهر علاماتها حتى الآن فى كل ما اقمنا ونقيمه من مظاهر عمرانية وانمائية : لان محك اية نهضة حقيقية هو قدرتها على رد التحدي ووقف العدوان ومجابهـــة الغزو العســكرى والاقتصـادي والفكري ، ومالم يتحقق ذلك، فلا التقدم بتقدم ولا النهضة بنهضة .

بيت مرفوض !

وعوداً على بدء ، مطلوب منا ان نرفض بيت الشاعر زهير بن أبي سلمى جملة وتفصيلا ، نصا وروحا .. !

« ما أرانا نقول إلا معارا ... ؟؟»

تصوروا لو سيطرت روح هذا البيت على عرب الجزيرة فى زمن الشاعر وما بعده ؟

أكانوا سيواصلون ابداعهم الشعري فى العصر الجاهلي ؟

أكانوا سيرتفعون إلى مستوى استيعاب البلاغة القرانية ؟ والمعاني القرانية الكونية الجليلة ؟

أكانوا سيبدعون ، فيما بعد ، فن الخطابة الاسلامية وفن الرسائل والفنون النثرية الاخرى ؟

أكانوا سيبدعون فكر المعتزلة وفلسفة الحكماء ؟

اكانوا سيكتبون « طوق الحمامة » و « الف ليلة » و « الموشحات الاندلسية » و « حي بن يقظان » و « مقدمة ابن خلدون » ؟

بل هل كانوا سيبدعون اصلا حضارتهم العربية الاسلامية ؟!

اية خسارة ستكون ، بل اية كارثة ستقع لو صدق العرب بيت الشاعر !

من حسن حظهم انهم لم يحملوه على محمل الجد ..

ومن سوء حظنا اننا واقعون تحت ما يشبه فحواه ، شئنا ام ابينا ..

وتراثنا الحديث .. ايضا :

وهذه النظرة التجديدية ، الابداعية ، الابتكارية التى تعوزنا لا تقتصر على كيفية النظر إلى تراث الاقدمين وحده .

إن تراث المحدثين ، على قرب عهدنا به ، يحتاج ايضا إلى مثل هذه النظرة التجديدية إذا اردناه ان يبقى حيا مستمرا بين ايدينا وفى وعينا وضمائرنا وفى وعي أجيالنا القادمة وضمائرها ..

وهذا لن يتحقق إذا واصلنا اجترار الأفكار المعهودة الشائعة ذاتها عن محمد عبده والكواكبي .. وإذا واصلنا وضع يافطة « أمير الشعراء على صورة احمد شوقي .. وإذا حصرنا صورة العقاد الخصبة ، والحافلة بالمعاني المتباينة والألوان المتغايرة ، ضمن فهمنا الشائع عنه كعالم من علماء الكلام الحديث الذين نبحث عن الطمانينة فى كتاباتهم .. فالعقاد الحقيقي كما يتراءى لي انسان يوحي بقلق الكشف والابداع ، أكثر مما يوحي بطمانينة الاقتناع . واعتقد انه ظلم نفسه، وظلم صورته الحقيقية ، صورته الانسانية الداخلية ، عندما طرح نفسه على القراء عالما كلاميا وفقيها عصريا ، وعتم على جوانبه الانسانية الاخرى ، فاخذته الغالبية كما طرح نفسه فى كتبه التراثية فى المرحلة الاخيرة من حياته ـ خصما للتجديد فى الشعر وللانطلاق فى الفكر ـ واختفى ذلك العقاد الاصلي .. عقاد الثورة على الكلاسيكية المحدثة كما مثلها احمد شوقي ، وعقاد البحث والتساؤل فى الفكر الديني والسياسى ، وعقاد النضال ضد الاستبداد ، بل العقاد الذى بذل جهدا دؤوبا متواصلا لادخال فكرة التطور وفلسفة دارون فى نطاق الاجتهاد الفكرى الاسلامي ، بينما صورته النقيضة تتضخم فى اخر حياته كخصم للتطور والتجديد !

اين « منقذ » العقاد ؟ :

إن العقاد ، بالذات ، يصلح نموذجا لما قصدت إليه فى بداية هذا المقال .

فالانطباع السائد عنه ، حتى فى اوساط المثقفين ، هو ان الحقيقة قد قيلت كاملة عنه ، وان الابحاث والدراسات قد استنفدت مختلف جوانبه ، وإنه لم تبق كلمة لمستزيد .. ولكني أرى العكس تماما .

إن شخصية كالعقاد لم يكتشفها الجمهور العربي بعد ، لم تتضح جوانبه المختلفة لصورتها الحافلة بشتى الالوان والظلال . وامامنا جهد هائل ، إذا عرفنا كيف نعيد النظر ونبصر من زاوية جديدة ، وبعدسة مبتكرة غير عدستنا التقليدية ، اقول امامنا جهد هائل لاكتشاف وإعادة اكتشاف شخصية خصبة كالعقاد ، بما يعيد الخصب والـدم المتجدد الى عروق ثقافتنا المتازمة .

وساكتفى هنا بمثل واحد من حياته .

كان العقاد مفكرا متسائلا متشككا ، حائرا .. ثم الفيناه ، فيما يشبه التحول الفجائي ، رجلا مؤمنا مقتنعا واثقا وداعية لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» . وطبيعي ان يتحول الانسان المفكر من حائر إلى مؤمن ، إلى داعية للايمان ، ولكن كيف قطع هذه المفازة الخطرة .. كيف اجتاز المسيرة الطويلة من الحيرة إلى الايمان التى حدثنا عنها الغزالي فى « المنقذ من الضلال » . واين هو « منقذ » العقاد ؟ ؟ لماذا لم يكتبه ؟ لماذا لم يحدثنا عنه ، لماذا لم يصفه لنا باسهاب ، وهو الكاتب المسهب ؟ .

هل بامكاننا نحن الآن ، على ضوء الوثائق الأدبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمي ، أن نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وأن نتعرف بشكل حميم إلى دقائق مسارها ..

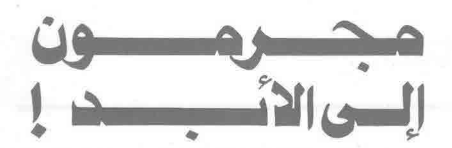
وأن نكتشف كيف استقرت وعلام استقرت .. ولماذا لم يولها العقاد فى فترة اليقين ماتستحقه من اهتمام ؟ وهل من اللائق بالمفكر الحر أن ينبذ معاناة شكه ويقينه عندما يصل إلى مرحلة اليقين . ولماذا لم يتحرج حجة الاسلام الغزالي من الحديث عن تلك المعاناة فى كتابه: « المنقذ من الضلال » وتجنب العقاد هذا الحديث ، وهو الذى تحدث عن كل قضية وقضيته ، وهل كان يتصور أن ذلك سيؤثر على صورته كمفكر مدافع عن الدين ؟ والى اي مدى كان العقاد ـ بالفعل ـ شديد الاقتناع بما يتخذ من مواقف فى قضايا علم الكلام؟

... وهذه الأسئلة ليست عن عباس محمود العقاد !

إنها مجرد عينة للاسئلة التى نتمنى ان يطرحها المثقفون العرب بشان تراثهم الادبي والفكرى كله قديمه وحديثه .. على امل ان يبدا لدينا ما يشبه النهضة .. الحقيقية .

وإلى مزيد من الأسئلة لاختراق جدار العقم .

د. محمد جابر الأنصاري



بقلم : خالد محمد خالد

على الرغم من ان مجلة « الدوحة » ليست مجلة سياسية ، فانى **اخط على صفحاتها هذا المقال الذى** ان بدا سياسيا فى شكله ، فهو إنسانى فى مضمونه ..

ان قضية الشعبين الفلسطينى واللبنانى المسحوقين فى بيروت ولبنان **لم تعد قضية سياسية .. بل هى** قضية انسانية فى المقام الأول والاخير .

وهى بما يتقحمها من ظلم وهوان لا تشكل اتهاما للذكاء الانسانى **الذى يعجز عن حلها بل انها اتهام** للضمير الانسانى وطعنة له فى الصميم لا تخذاله امام **اقذر عصابات الاجرام** فى تاريخ البشرية ، واحقها بالزجر ، والتجريم .

ترى إلى أين يصير العالم وهو ينظر الى الشفق المرتحل والعدالة الغاربة ، نظرات زائغة مخبولة .. نظرات المغشى عليه من الموت ؟؟!!

هذه العدالة التى يدوسها اساتذة الاجرام باقدامهم الفاشية ، ويطاردونها فى وحشية وسفالة .

هذا العالم الذى ابتلى بدولتين كبيرتين او كما جرى العرف بتسميتهما « الدولتين الأعظم » !!

فاما اولاهما ـ وهى الولايات المتحدة فتساند الجرائم الاسرائيلية ، وتخطط لها ، ثم تتباهى بها وتدافع عنها فى غير حياء وفى غير ادب ..

واما الثانية ـ وهى روسيا التى معها من القوة الرادعة مثل ما مع الاولى فانها تخاف خوف التعساء ان تستخدم معشار معشار قوتها وباسها ونفوذها فى دعم الحق وكبح جماح المجرمين .

وتلك مصيبة عالمنا وازمته ـ ان تسوده وتتزعمه وتحتل مركز الثقل فيه دولتان تحترمان المنفعة ولا تحترمان الحق .. وتؤثران حقوقهما الخاصة على حقوق الانسان ، ولا تعبآن ابدا بانهيار المبادىء وتهدم العدالة .. بل نراهما فى بعض الأحيان ، وربما فى كل الاحيان تقومان ضد الانسانية وحقوقها بابتزاز سافل وقاتل .. !!

اليس من الصعب غاية الصعوبة ان يصدق السمع والبصر والفؤاد ما تقترفه اسرائيل اليوم مع الفلسطينيين وشعب لبنان ؟!

وباى مقياس من مقاييس الجريمة تقاس هذه الحرب الرجيمة .. ؟!

وماذا بقى للعالم من امل فى مستقبله وثقة فى مبادئه ؟!

وانا اتحدث عن العالم كله ، ولا اخص بحديثى العرب والمسلمين .

اتحدث عن العالم الذى كتب عليه ان يشهد فى حسرات نائحة ابشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بانها فوق المنظمات الدولية ، وفوق القانون الدولى ، وفوق الحق والعدل والشرف !!

● ●

جريمة تثقل ضمير العالم لاريب ، وتعريه من كل مثله الكاذبة ، ومبادئه المدعاة ، وتجعله فى نوبات صحوه اقرب الى الذهول والجنون ، ترتجف عيناه بنظرات زائغة لا ترى ولا تبين ..

خمسة عشر الفا من اللبنانيين



ضحايا العدوان الاسرائيلى على لبنان فى ابشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بانها فوق المنظمات والقانون الدولى



أب يحمل ابنته الجريحة وسط الحطام .. انها صورة تعرى ضمير العالم من كل مثله الكاذبة ومبادئه المدعاة

والفلسطينيين حصدتهم الاسلحة الاسرائيلية فى يومين ، ثم مضت وحدات الجيش الاسرائيلى بعد ذلك تصطاد الناس من منازلهم المحاصرة كانهم جرذان ، ثم تقتلهم بالتعذيب .. وكان العرب هم الذين ابادوا اباءهم وجنسهم الرجيم فى عهد هتلر .. كان العرب هم الذين سحقوهم فى تلك الايام سحق الاحذية الثقيلة للصراصير الهائمة !!!

وبعد مصرع الالاف الخمسة عشر توالت المصارع . وارتفع عدد الضحايا ما بين قتلى ومصابين الى اربعين الفا من الفلسطينيين ، واللبنانيين كما اكد الدكتور فتحي عرفات رئيس الهلال الاحمر الفلسطيني وكما اكد ايضا ان ٩٥٪ من الضحايا كانوا من المدنيين ، وان ٧٠٪ منهم نساء واطفال !!

وذكر ان نصف الجرحى يموتون متاثرين بجراحهم بسبب عدم توفر الظروف المناسبة للعلاج فى المستشفيات . فقد القى الجيش الفاشى القبض فى جنوب لبنان على جميع الأطباء الفلسطينيين وقام بتعذيبهم ومعاملتهم اسوا معاملة ..

واسرائيل لا تعتبر الذين يقعون فى يديها اسرى حرب ، بل مجرمين وارهابيين !!

وصدق المثل العربى القائل : « رمتنى بدائها وانسلت » ..

● ●

إن بيجن وشارون والجيش الاسرائيلى الغاشم فى غفلة عن تاريخهم ، وعن صيحات الرجال الشرفاء من اليهود الذين مافتئوا عبر التاريخ يحذرون بنى اسرائيل من عقبى ما يفعلون .

ولعل من بين هذه الصيحات الشريفة كلمات الحاخام « ماجنس » عميد الجامعة العبرية فى القدس إذ قال والدولة الفاشية فى ايامها الباكرة ، وفى مؤتنف تكونها وقيامها :

قال : « سينزل عقاب من الرب .. اننا نعبد الذهب ، إذ نحن ننشر الدعايات المأجورة .. ونعبد الدم ، إذ نحن نبث الرعب بين الناس .. وهذا لدى الرب حرام .. وشعائرنا شاهدة على اننا كنا نلقى العقاب فى كل مرة نفعل ذلك » !!

ولكن عبدة الدم لا يبالون بغضب الله إلا حين تحل بهم قارعة او تنزل عليهم اللعنات ، ويحل بهم عذاب مقيم ..

وانهم لابعد ما يكون عن اى شعور بتبعات السلام ، ولا يجدون فرصة للوثوب إلا اهتبلوها وانتهزوها .

انهم مجرمون فى امسهم الدابر ، ومجرمون فى يومهم الحاضر ، ومجرمون إلى الأبد ..

ومن السذاجة والحمق ان يظن بهم الخير او يطمع منهم فى سلام .. انهم يحلمون بامتلاك ارضنا كلها لأن التوراة التى يخبرنا القران مؤكدا انها قد حرفت وزيفت تقول لهم : « تملكون الأرض وتسكنون فيها ، لانى قد اعطيتكم الارض لكى تملكوها » !!

وهم يتوسلون الى هذا الامتلاك بابشع وسائل العنف والوحشية زاعمين ايضا ان التوراة علمتهم ذلك وحرضتهم عليه .

ويعلق الاستاذ « فوشيه » على ذلك قائلا: « انها نصوص تفيض وحشية عنصرية وتحيزا صارخا لا مثيل لهما » .

والعسكريون والفاشيون من الصهاينة الذين ركبهم شيطان التوسع يستخدمون هذه النصوص المسمومة فى صوغ شبابهم وشعبهم فى قوالب اطماعهم المسعورة .

ومع ذلك ـ كما يقول كتاب التحدى الصهيونى ـ فان واحدا من انبل كتب اليهودية واعمقها يهتف بهم «ملعونون انتم .. ملعونون ، وارواح شريرة .. انتم الذين لا ترون فى حكايات الكتب المقدسة إلا معناها الحرفى » !!

● ●

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب ، بل لعله بدا يدرك أن الصهيونية لم تكن ولن تكون تحديا للعرب وحدهم ، بل كانت وستظل تحديا للعالم كله ، وللانسانية جمعاء .

إن التجربة التى تدور رحاها اليوم على شعب فلسطين قد تكون اخر الدروس التى يلقيها القدر ، ويلقيها العدل الالاهي على بني الانسان .

ولعل المستشرق الفرنسي « ماسينيون » قد كان على بصيرة من هذه الحقيقة وهو يكتب عام ١٩٤٨م فيقول : « إن فلسطين اليوم هي خاتمة التجارب ، واخر المطاف فى هذا الاستغلال الاستعماري الدولي الذى مايزال منذ قرون يزرع فى قلوب المضطهدين مر الاحقاد .. وهذا الاستغلال الظلوم ليس ثمرة مادية عمياء ، بل هو إفساد محسوب لما في الانسانية من قوى روحية اصيلة .. وإن الخلاف الظاهر بين الانجليز والامريكيين ليس إلا مهزلة كاذبة .. اما تضامنهم العميق . ذلك الذى يزعمون

به صد خطر العدوان السوفييتي عن الديمقراطيات والاديان فى الشرق الادنى ، ولا سيما فى فلسطين ، فهو سوء نية متزايـد الخطر يعجل بدفع الحضارة الاوربية الى الانتحار الخلقي » .. !!

نقول : إن ما يعانيه الشعب الفلسطيني اليوم ربما تكون الفرصة الأخيرة لعالمنا الملتاث ليثبت إن كان قادرا على حماية مبادىء الحق والعدل ام لا .. وليثبت بالتالي إن كان يستحق الحياة ام لا .. ؟!

● ●

إن العبريين الذين لم يحكموا فلسطين إلا مائة وثلاثة عشر عاما على امتداد اكثر من اربعين قرنا يثبتون اليوم سرابهم وباطلهم بالاسلحة المدمرة الفتاكة ، بعد ان خدعوا العالم وحملوه على الصمت ، بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين ، بل جريمة كل القرون !!

والصهيونيون الفاشيون ينسون او يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله . .

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من اوربا المسيحية ، كان الاسلام يؤويهم ويهيىء لهم مكانا امنا فى قلب الجماعة الاسلامية ..

كانت اوربا المسيحية ترى فيهم « قتلة الرب » و « جلادي المسيح » .. بينما كان الاسلام يرى فيهم اهل كتاب .. هم والمسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الاسلامي لاهل الكتاب من امن ورفاهية وسلام .

لم يحمل ذلك رواد الصهيونية فيما غبر من أيام ، ولم يحمل قادتها الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التى يجترحونها فى فلسطين المحتلة وفي لبنان.

من قديم وهم يقولون : سيكون على العرب ان يرحلوا ويخلوا لنا المكان !!

وحين كان تصريح بلفور لايزال مجرد مشروع سال الرئيس الامريكي « ولسن » القاضي « براندس » وكان من كبار مستشاريه عن مغزى هـــذا المشروع ، فاجابه قائلا : « إن اليهود الذين يطلبون تيسير سبل هجرتهم إلى فلسطين لا يبتغون فى الحقيقة إلا غاية واحدة . وهي ان يصبحوا اكثرية فى فلسطين ، وان يجبروا العرب على الارتحال عنها الى الصحراء » .. !!

كانت الغاية اللئيمة واضحة منذ البدء ، وكانت النية مبيتة من قديم على ما تنفذه اليوم حكومة بيجن – طرد العرب من فلسطين كخطوة أولى .. ثم الخطوة الثانية قيام امبراطوريتهم من النيل الى الفرات ..!

ولن يصرفهم عن ذلك سلام ولا مصانعة .. وفي هذا السبيل يجندون كل شيء ، بل يجندون الدول الكبرى لتحقيق جرمهم الشنيع !! وإنهم ليتخذون من السلام قناعا جديدا يخفون وراءه انيابهم واظافرهم . كما اتخذوا من قبل خدعة الاضطهاد التى ضحكوا بها على العالم ، وتمسكنوا حتى تمكنوا ..

● ●

ومن عجـب ان الدولة التى تزعم لنفسها حق الدفاع عن حقوق الانسان ، الدولة التى كان يجب ان تكون محترمة ، والتى لا تنى عن التلفظ بالكلمات الضخمة عما تلاقيه حقوق الانسان من تجاهل واضطهاد .

هذه الدولة « امريكا » تشترك اشتراكا فعليا واكيدا في التخطيط لجرائم اسرائيل. ويدل على ذلك مواقفها الكثيرة من العدوان الاسرائيلي وموقفها الاخير من المذبحة الرهيبة فى لبنـــان !!

وإذا كان القصاص الإلاهي يحتم ان من اعان ظالما سلط عليه ، فان على المؤمنين بوعد الله ان ينتظروا مصيرا مفجعا ستلقاه امريكا ذات يوم بسبب ربيبتها المدللة اسرائيل .

إن امريكا تتجاهل صرخة جليلة اطلقها عام ١٧٨٩ زعيم من اشرف زعمائها هــــو « بنجمان فرانكلين » حين قال مخاطبا الشعب الامريكي : « إن الولايات المتحدة تتعرض لخطر رهيب ، هو الخطر الذى يشكله وجود اليهود فيها .. فحيثما حل اليهود تدنى المستوى الخلقي والشرف التجاري .. وحيثما وجدوا يظلون على انعزالهم ، لا يلتحمون ابدا بالشعوب الاخرى .. وهم إذ يخشون على انفسهم الاضطهاد ينتهون الى خنق البلد الذى يعيشون فيه على الصعيد الاقتصادي .. انظروا إلى أسبانيا ، انظروا إلى البرتغال .. إنهم سيغيرون شكل الحكم الذى من اجله سالت دماؤنا . ومن اجله ضحى كثيرون منا بارواحهم .. فاذا انتم لم تطردوا اليهود فان احفادنا سيقاسون الكثير منهم .. إنني انذركم ايها السادة ، إذا لم تبعدوا اليهـــود فان اولادكم سيلعنون قبوركم .. إنهم خطر على بلادنـــا » .. !!! – كتاب التحدي الصهيوني – اضواء على اسرائيل من ترجمة نزيه الحكيم .

ولقد تحقق الكثير من نبوءة فرانكلين ، إذ استطاع اليهود ان يشوهوا الروح الامريكي ويجعلون منه مسخا شائها . وكل المبادىء والمثل التى حارب من اجلها الامريكان وسالت فى سبيلها دماؤهم قد وضعها التسلط الصهيوني داخل امريكا تحت اقدامه الدنسة .

لقد استطاعت الصهيونية ان تحمل امريكا على التنكر لحقوق الانسان ، وان تحملها على تدنيس يديها وضميرها بمشاركتها الفعالة فى القضاء على شعب بريء مسالم واخراجه من ارضه ودياره .

كذلك تحققت نبوءته فى الجانب الاقتصادي فاصبحت القوى الصهيونية داخل الولايات المتحدة قادرة على ضرب الاقتصاد الامريكي ضربة قاتلة عندما تشاء

ولكن ، مادام هناك إلاه عادل ومقتدر – وإنه لهناك فعلا – فسوف تدفع امريكا وربيبتها الثمن غاليا ...

● ●

وماذا عن الدول العربية والاسلامية ؟؟

إن مجرد تذكرها يملا الانفس بالاسي والضيق ، ويجعل الاحساس بالهزيمة فضيلة العصر !!

لقد تمزقت تلك الدول شر ممزق ، وران عليها صمت اليم ، وتهيات لتخوض تجربة اندلس جديدة ..

انظروا .. لقد قامت المظاهرات اللجبة الغاضبة فى اسرائيل نفسها تلعن بيجن وسفاحه شارون . بينما لم نسمع ان مظاهرة واحدة قامت في اي بلد عربي أو اسلامي تشجب ولو بالهتاف والصراخ مايحدث فى لبنـــان .. !!

فحسبنا اللــه ونعم الوكيـــل .

خالد محمد خالد

من أخطاء العقل العربي

محاكمة ظالمة لأديب عالمي



من أكبر أخطاء العقل العربي هذه الظاهرة التي يمكن ان نسميها « باسم التفكير الانفعالي » ، وهذا التفكير الانفعالي يغرق العقل العربي في بحار من الضلال ويشل قدرته على الحركة والرؤية الواضحة السليمة ، وما اكثر ما ينتج عن هذا التفكير الانفعالي من اخطاء . في التصرف والحكم على الأشياء ، والنتيجة الطبيعية لهذا التفكير الانفعالي هو ان الأمور تفلت من ايدينا ، فلا نستطيع التحكم فيها .. وعندما نستيقظ ونتخلص من الانفعال ونسيطر على عقولنا يكون الوقت قد فات . ويكون الواقع قد فرض نفسه علينا وسلب منا الارادة وحرية الحركة .

وسوف اعالج هنا بعض جناية التفكير الانفعالي على العقل العربي في قضية محددة ، هي قضية الهجوم العنيف الذي شنه عدد من ادبائنا في الفترة الاخيرة على الكاتب العالمي « لورنس داريل » صاحب رواية « رباعية الاسكندرية » الشهيرة . ومن خلال الحملة التي شنها هؤلاء الادباء العرب على هذا الاديب العالمي البارز . نجد ان هذا الاديب متهم عند بعض الذين هاجموه بانه ينادي باراء تختلف عن الآراء التي نؤمن بها نحن العرب في قضايا اساسية . هذا هو الاتهام الرئيسي ، وهو اتهام ينطوي على تفاصيل اخرى سوف نتعرض لها بعد قليل .

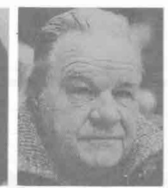
ولكن السؤال البديهي الذي يفرض نفسه علينا هو :

هل من المطلوب ان يكون كل كاتب عالمي غير عربي نسخة طبق الاصل من الشخصية العربية في كل ارائها وافكارها ومواقفها المختلفة ؟

وإذا كان هذا الامر مطلوبا .. فهل هو ممكن ؟

سارتر وموقفنا منه

إن الاجابة السليمة على هذا السؤال هو ان المفكر الغربي ، بحكم نشاته وظروفه وثقافته ، لا يمكن ان يرى الامور مثلما نراها






محاكمة ظالمة لأديب عـالـمي

لورانس داريل
اديب عظيم ومحاكمـة ظالمــة

سلمى الخضراء
اديبة فلسطينية من اسرة مناضلة

غـــاندى
.. لو كنت يهوديا !

تماما . وليس من الممكن ان نطالب سارتر مثلا ، وهو مفكر فرنسى من اصل يهودى ، ان يكون نسخة من « ساطع الحصرى » ، وان يكون من دعاة القومية العربية ، وان يحصر انتاجه كله فى الدفاع عن العروبة مثلما فعل « الحصرى » فى حياته الطويلة الخصبة المباركة .. إننا حين نطلب مثل هذا الامر ، او نحاكم سارتر على اساسه ، نكون قد وقعنا فى سذاجة عقلية ، وغرقنا فى نوع من العاطفية الفكرية ، لا قيمة له ولا جدوى منه . لقد نشا « سارتر » فرنسيا واشترك فى النضال ضد المانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية ، بعد ان احتل الالمان فرنسا ، وتاثر سارتر بالثقـــافة الاوربية ، وتاثر على وجه الخصوص بما كان شائعا فى اوروبا ـ خلال الحرب الثانية ـ من الدعوة إلى انقاذ اليهود من اضطهاد النازية التى تعمل على إبادتهم .. واقتنع سارتر بهذه القضية ، وترسب فى نفسه نوع من العطف على اليهود . فهل كان المطلوب أن نحاكم سارتر ، ونعـاديه تماما ، ونلغى وجوده الفكرى والادبى بسبب هذا الموقف ؟ .

لقد فكر بعض المثقفين العـــرب فى الستينات فى هذا الامر ، واتخذوا موقفـــا هو من افضل المواقف الفكرية والعقلية القليلة التى اتخذها العرب فى معالجة قضية الاتصال بالمفكرين الاوروبيين ، فقد قام الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل ، وكان رئيسا لتحرير الاهرام فى ذلك الحين ، بدعوة سارتر لزيارة مصر ، وزيارة مخيمات اللاجئين فى غزة ، وجاء سارتر بالفعل إلى مصر ، سنة ١٩٦٦ ، وكنت ضمن الذين استقبلوه فى المطار عند وصوله الى القاهرة . وتابعت محاضراته ومناقشاته ، فى جامعة القاهرة ، وفى المسرح القومى ، وقد عاد « سارتر » الى باريس بعد ذلك ، ولم تغير الزيارة رايه فى اسرائيل كثيرا ، ولكن الذى تغير فى ذهنه هو نظرته الى القضية العربية ، فقد ادرك من خـــلال المناقشات ، ومن خلال زيارته لمخيمات اللاجئين فى غزة ، ان هناك خطا تاريخيا فى الفهم الأوروبى للقضية الفلسطينية ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجديد ، ان اصدر سارتر عددا ضخما من مجلتـــه المعروفة « العصور الحديثـــــة » عن « الصراع العربى الاسرائيلى » ، وكتب فيه عدد من المفكرين العرب « وليد الخالدى واحمد بهاء الدين وغيرهما » ، فصولا شرحوا فيها القضية الفلسطينية شرحـــا عميقا ، وفى نفس الوقت كتب عدد من الاسرائيليين يشرحون وجهة نظرهم فى الصراع العربى الاسرائيلى .

لقد كان الكسب الذى عاد على العرب من دعوة سارتر لزيارة مصر وإجراء حوار معه كسبا محدودا ، ولكن هذا الاسلوب فى التعامل مع المفكرين الغربيين هو الاسلوب الوحيد الصحيح ، وهو للأســـف ليس الاسلوب الذى نحبه ونميل إليه .. فالحوار مع المفكرين الغربيين الذين يختلفون معنا ليس امرا مقبولا عندنا ، لاننا فى ضجة التفكير الانفعالى نفضل الهجوم على هؤلاء المفكرين .. وهو هجوم نكتبه لانفسنا ، فلا يقراه احد سوانا .

اهمال وعدم اهتمام

ويكمل هذه الصورة العجيبة ، ان بعض المفكرين الغربيين ، قد هداهم تفكيرهم ، وبحثهم الخاص ، ويقظة ضـــــميرهم الانسانى إلى التعاطف الكامل مع القضية العربية ، ومثل هؤلاء المفكرين للاسف ، لم يجدوا منا سوى الاهمال وعدم الاهتمام . وفى هذا المجال يمكن ان نذكـــر المؤرخ الانجليزى الكبير « ارنولد توينبى » . فقد وقف هذا المؤرخ بكل جهده العقلى ليدافع عن حق العرب فى فلســـطين ، ويثبت بالبراهين العلمية والتاريخية الاصيلة بطلان الفكرة الصهيونية . وقد استجاب « توينبى » لدعوة قدمت إليه للدخول فى حوار علنى مع السفير الاسرائيلى فى كندا حول هذه القضية . وواجه « توينبى » سفير اسرائيل باقوى الحجج والبراهين ، وقد تم ترجمة هذا الحوار الهام إلى اللغة العربية منذ اكثر من عشرين سنة ، ولكن الكتاب الذى ضم الترجمة الكاملة لهذا الحوار اختفى من الاسواق العربيـــــة بسرعة غريبة ، كما تختفى عادة كل الكتب العربية التى تتعرض للصهيونية بالنقـد العلمى الرصين والتحليل السياسى الدقيق ، وهذا الاختفاء يدل دلالة قاطعة على وجود يد غير ظاهرة ، تعمل على إطفاء كل الانوار المضيئة امام العقل العربى .

هذا الموقف الواضح الحاسم الذى وقفه توينبى هل تجاوبنا نحن العرب معه ؟ ..





يوسف إدريس
احكام ادبية غربية



ارنولد توينبى
إهملناه بعد ان تبنى قضيتنا



سارتر
زيارة لمخيمات اللاجئين



احمد بهاء الدين
اول من قدم داريل إلى القارىء العربى

محمد حسنين هيكل
دعوة واعية الى الحوار



كولن ولسن
تاييد للعرب وتجاهل من العرب !

الذى حدث هو اننا نظرنا الى « توينبى » نظرة سلبية ، ولم نحفل حتى بترجمة كتبه الأساسية إلى اللغة العربية . صحيح ان هناك ترجمة لمختصر موسوعته عن تاريخ العالم ، قام بها الاستاذ فؤاد شبل ، ونشرتها الجامعة العربية . ولكن الموسوعة الأصلية لا تزال بعيدة عن المكتبة العربية . ولم تهتم مؤسسة عربية رسمية او غير رسمية بترجمة هذه الموسوعة الهامة ، وتقديمها إلى المثقفين العرب ، بصورة صحيحة سليمة ، كانت كفيلة بان تشعر توينبى ـ وقد توفى منذ سنوات بعد ان تجـــاوز الثمانين ـ بان العرب يقدرونه ويعترفون له بالفضل وامانة الضمير .

لقد اهملنا « توينبى » ، ولم نعطه إلا اقل الاهتمام . ومازال توينبى على راس قائمة المجهولات العربية ، إلا فى نطـــاق ضيق من الباحثين والدارسين فى ميدان التاريخ .

وكاتب انجليزى اخر هو « كولن ولسن » وهو كاتب نال شهرة شعبية واسعة بعد كتابه الذى اصدره فى اواخر الخمسينات وهو كتاب « الغريب » وقد ترجم إلى العربية باسم « اللامنتمى » .. هذا الكاتب الناجح هو الاخر كان له موقف مؤيد للقضية الفلسطينية بغير تحفظ .. فماذا فعلنا نحن العرب ؟ .. لقد طلبت ، وطلب غيرى ، عشرات المرات ان تقوم مؤسسة عربية بدعوته لزيارة العالم العربى ، تعبيرا له عن التقدير لموقفه . ومع ذلك لم يستمع احد إلى هذا النداء ، وكل ما حدث ان بعض المثقفين العرب فى لبنان قد دعوه منذ سنوات إلى زيارة بيروت . فلبى الدعوة وبقى هناك عدة ايام .

وما اطلبه هنا ليس « رشوة » هؤلاء الكتاب والادباء الذين يعلنون التاييـــد الكامل لنا فى اوروبا ، وفى ظروف صعبة معادية لهم . فالكاتب المبدئى المخلص لا يحتاج الى رشوة او حتى الى مكافاة من احد .. ولكننى اذكر هذه الامثلة لتكون دليلا على ما اعنيه « من ان العرب لم يحاولوا ابدا كسب اصدقاء حقيقيين فى ميدان الفكر والثقافة ، وانهم يسارعون إلى الهجوم العشوائى على من يختلف معهم ، بينما يهملون إهمالا بالغ الغرابة والعجب كل هؤلاء الذين يمدون إليهم يد التاييـــد والفهم والتقدير .

والموقفان خاطئان :

موقف الهجوم العشوائى على كل من يختلف معنا ، دون اى محاولة لفتح باب من ابواب الحوار مع هؤلاء الذين ينظرون ـ بحكم ظروفهم ـ إلى الامور نظرة اخرى غير نظرتنا،وموقف الاهمال الكامل لهؤلاء الذين يتفقون معنا بدافع من ضميرهم ومبادئهم .

ثقافة البحر المتوسط

ونعود بعد ذلك الى القضية الراهنة . وهى قضية الكاتب العالمى لورانس داريل .

لقد شن الدكتور يوسف إدريس هجوما ادبيا عنيفا على لورانس داريل فى مجلة فصول « المجلد الثانى ـ العدد الثانى ـ مارس ١٩٨٢ » وشنت الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى انيس هجوما سياسيا اعنف من هجوم يوسف إدريس ضد لورانس داريل ، وذلك فى الاعداد الاخيرة من جريدة « الاهالى » المصرية .

ولنترك الهجوم الادبى الذى شـــنه يوسف إدريس على « داريل » لنعود إليه بعد قليل .. ولنقف امام الاراء التى رددتها الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى انيس .

إن الكاتبتين معا تتهمان « داريل » بانه يدعو إلى ما يسمى بثقافة البحر الابيض المتوسط ، وتتهمان الكاتب العالمى بانه عمل « جاسوسا » فى المخابرات الانجليزية وبانه متعاطف مع اليهـــود،وكـــانت « مناسبة » هـــذا الهجوم من جانب الاديبتين الفاضلتين ان جامعـــة الاسكندرية اقامت ندوة اسمتها باسم « ثقافة البحر الابيض المتوسط » ودعت الجامعة « لورانس داريل » للاشتراك فى هذه الندوة .

اما موضوع « ثقافة البحر المتوسط » فمن المؤكد انه موضوع « غير مناسب » بكل المقاييس لما ينبغى ان يثار من قضايا الآن فى الوطن العربى ، واللوم هنا ينبغى ان يتجه إلى جامعة الاسكندرية قبل غيرها لسوء اختيارها لهذا الموضوع . فمن الثابت ان هناك محاولة ذات دوافع سياسية وراء طرح ما يسمى بفكرة « البحر المتوسط » فى الثقافة والحضارة ، وعبارة « البحـــر المتوسط » يمكن ان تكون قناعا لعـــدم استخدام عبارة « الثقافة العربية » ، ويمكن ان تكون قناعا لادخال اسرائيل

والثقافة العبرية ضمن نطاق « ثقافة البحر الابيض المتوسط » جنبا الى جنب مع الثقافة العربية ، بحيث يبدو أن هناك عاملا مشتركا بين الثقافتين العبرية والعربية ... وطرح الموضوع بهذه الطريقة، والآن على وجه الخصوص ، يعتبر خطا لا مبرر له ، ولكن مثل هذا الخطا لا سبيل الى رفضه بالعنف ، أو بهدم كل شيء على رؤوس الذين ينادون بمثل هذه الافكار ، بل الأسلوب الصحيح هو مناقشة هذه الافكار والكشف عن خطئها وتعريتها من أثوابها الشفافة ، وإبراز حقيقتها امام الراى العام الثقافى . وعبارة « البحر الابيض المتوسط » هنا ، أشبه بعبارة أخرى أكثر شيوعا واخطر تاثيرا ، هى عبارة « الشرق الأوسط » فالشرق الاوسط ، تعبير يتم إطلاقه منذ الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقصد إخفاء التسميات الصحيحة مثل « العالم العربى » أو « الوطن العربى » ، وقد انسقنا نحن العرب إلى استخدام تعبير « الشرق الأوسط » تماما مثلما يستعمله الاوروبيون دون أن ننتبه إلى ما وراء هذا التعبير من محاولة لطمس التسمية العربية الأصلية للمنطقة ، وما « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » إلا محاولة أخرى لطمس التسمية الصحيحة لثقافة هذه المنطقة وحضارتها ، وهى ثقافة عربية وحضارة عربية .

هذا هو الموقف الصحيح الذى ينبغى أن نلتزم به علميا ووطنيا .. ولكن عندما نجد فى داخل هذه الصورة التى يتم رسمها وتسميتها باسم « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » .. عندما نجد فى داخل الصورة اديبا ومفكرا غربيا كبيرا مثل « لورانس داريل » يتصرف ويتحرك ويتحدث ويكتب على أساس اقتناعه بأن هناك ملامح ثقافية مشتركة بين الشعوب المطلة على البحر المتوسط فى الشرق والغرب على السواء ، فماذا يكون موقفنا ؟ .. إن « الحوار » هو الأسلوب الفكرى الصحيح ، وليس الهجوم والاتهام والتجريح بالحق والباطل .

لقد كان المفروض أن تدعو مؤسساتنا الثقافية « داريل » وأن تواجهه بالراى ووجهة النظر المخالفة لرايه . خاصة أن داريل يعرف مصر ، فقد عمل فيها ، وفى مدينة الاسكندرية على وجه الخصوص ، عدة سنوات ، وكتب عمله الفنى الأكبر والاهم والأعظم عن « الاسكندرية » فى أربعة اجزاء كبيرة وسماه باسم « رباعية الاسكندرية » اى أن هذا الكاتب لديه استعداد عقلى ونفسى للحوار معنا . ولكن الذى حدث هو اننا رفضنا دعوته الى اى حوار واكتفينا بان نطلب منه ، دون اى جهد من جانبنا ، أن يفكر مثلنا تماما وان يعتقد بكل ما نعتقده ويؤمن بكل ما نؤمن به وهذا مطلب خاطىء وغريب ، وهو جزء من ذلك « التفكير الانفعالى » الذى لا يجدى ولا يفيد ، والذى يضر اكثر مما ينفع . لان هجومنا العنيف على داريل لن يؤثر فيه ، بينما يؤثر فيه على العكس ان نتحاور معه ونناقشه ونبادله الراى بالراى والحجة بالحجة .

هل كان جاسوسا ؟

على ان تهمة داريل عند الذين هاجموه ، لم تتوقف عند حدود انكار دعوته الى ما يسمى بثقافة البحر الابيض المتوسط ، فلابد للمهاجمين كي تقوى حجتهم ، ان يبحثوا عن بقع أخرى فى ثوب هذا الكاتب الكبير .

والتهمة الأخرى الموجهة إلى « داريل » هى انه كان يعمل اثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها « فى المخابرات الانجليزية » اى انه كان جاسوسا ، وقد ناقش « داريل » نفسه هذا الاتهام الذى وجهه إليه البعض فى حوار صحفى « وهذا الحوار مترجم بنصه فى جريدة الجزيرة السعودية الصادرة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨١ » ، ويقول « داريل » فى الرد على هذا الاتهام :

« لقد عينتنى الحكومة الانجليزية ملحقا صحفيا فى المفوضيات البريطانية فى الشرق الأوسط ثم فى يوغوسلافيا ، واعتقد ان العزلة التى اعيشها منذ سنوات يمكن ان تقنعك بصحة كلامى « اى باننى لست جاسوسا ولم اكن جاسوسا » .. اننى لا أصلح لدور الجاسوس ، فوجهى القاسى لا يسمح بالانتقال السريع من وضع الى وضع اخر ، هذا فضلا عن أن صوتى الخشن يعطينى صفة « رجل العصابات » أكثر من صفة الرجل السرى الذى ينتقل داخل نفسه . لم يكن ما قيل عنى صحيحا ، كنت موظفا إعلاميا فقط ، دون أن يعنى ذلك اننى لم اكن مطلعا على بعض الأسرار لكن بعض المؤرخين يتركون لخيالهم العنان ، وهذا على كل حال بات معروفا ، فالتاريخ يكتبه المرضى عادة » .

ثم يعقب داريل بكلمات اخرى فى وصف نفسه وجذوره المتعددة فيقول :

« الحقيقة اننى استقررت فى اكثر من مكان ، وهذا ما جعلنى إلى حد بعيد أشبه بسوق مشتركة ، هذا فضلا عن ان جذورى متنوعة جدا ، لكن الأمر الذى لا ازال اعانى منه حتى الآن هو أن الانجليز يكرهون نصفى الايرلندى ، والايرلنديون يكرهون نصفى الانجليزى ، والواقع هو اننى لا أصلح ان أكون انجليزيا ولا ايرلنديا ، فانتمائى الى الحياة مختلف » .

هذا ما يقوله « داريل » ومن الواضح أن تهمة الجاسوسية قد جاءته بسبب عمله كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية « ومنها القنصلية الانجليزية فى الاسكندرية اثناء الحرب العالمية الثانية » .. ومن الممكن بالطبع ان يكون عمل « داريل » متصلا بالمخابرات الانجليزية ، فقد كان موظفا من موظفى انجلترا ، فى مجال يفرض تقديم معلومات وتقارير .. ولكننا إذا اتبعنا هذا الأسلوب فى اتهام كل العاملين فى « الملحقيات الصحفية » بالجاسوسية ، فسوف نكون قد وضعنا أمامنا « مبدا » يفرض علينا الا نتعامل مع المئات من المشتغلين بالصحافة والثقافة فى العالم كله ، ونكون بذلك قد دفنا رؤوسنا فى الرمال ، حتى لا نرى ولا نسمع ، والأقرب إلى التفكير السليم هو اننا لا ينبغى أن نلقى الاتهام بالجاسوسية على أحد إلا إذا ثبت ذلك بالدليل القاطع الواضح ، وليس هناك من دليل ضد « لورانس داريل » .. إلا عمله السابق كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية .

ومع ذلك فلو ان لورانس داريل كان مجرد موظف ، لا قيمة له ولا تاثير فى الثقافة العالمية المعاصرة ، فقد كان من الممكن أن نقبل اتهامه بالجاسوسية على أساس الشبهة ، وليذهب « داريل » فى مثل هذه الحالة الى الجحيم .. ولكن داريل كاتب كبير له قيمته وتاثيره فى الفكر العالمى المعاصر ، ولذلك فقد كان من الضرورى ان تكون محاكمته فى هذا المجال على اساس دقيق وثابت من الادلة والبراهين ، حتى لا يترتب على اتهامنا العشوائى لهذا الكاتب أن يرفضه القارىء العربى رفضا نهائيا ، بغير دليل أو علم ، والخسارة هنا تقع قبل كل شيء على العقل العربي الذى يندفع إلى الاعتقاد بأن قراءة داريل أصبحت من «المحرمات» .. فى الوقت الذى يقرأه الناس فى كل انحاء العالم ويستمتعون بادبه ويستفيدون من هذا الأدب فائدة روحية وعقلية عميقة ، ويناقشونه بالتاييد او الاعتراض المبنى

على المعرفة والفهم الصحيح .

ولكن بعض الذين هاجموا داريل رددوا هذا الاتهام المتسرع ضد الكاتب الكبير دون ان يقدموا عليه دليلا حاسما ، وطالبوا بعد ذلك بمنع الكاتب وادبه من الدخول إلى البلاد العربية . وبالنسبة لي فانني منذ ان قرات « رباعية الاسكندرية » ، واستولى الكاتب العالمي الكبير لورانس داريل على اعجابي واهتمامي ، فانني اتابع كل شيء عنه ، ولم اعثر ـ فيما قرات ـ على اي دليل جدي يثبت اتهامه بالجاسوسية . واذكر أن أول من قدم رباعية الاسكندرية الى الثقافة العربية هو الكاتب الكبير احمد بهاء الدين ، وبهاء كاتب سياسي واع ووطني ويقظ . وليس من المعقول ان يخفى على انتباه كاتب مثل بهاء ان « داريل » جاسـوس ، ولو وجد بهاء اساسا لهذه التهمة ، لما غاب عنه الامر ، ولما قام بتقديم «داريل » إلى القارىء العربي في كتابه « افكار معاصرة » ..

التعاطف مع اليهود

ونأتي بعد ذلك إلى الاتهام الثالث الخطير ، وهو اتهام داريل ، بانه متعاطف مع اسرائيل ، والفرق كبير بين تعاطف داريل مع اليهود ضد اضطهاد النازية لهم ، وبين اتهامه بالتعاطف مع اسرائيل .

إن الثورة الفلسطينية نفسها لم تطلب في يوم من الايام أن يضع العالم : الايمان بالقضية الفلسطينية في قلبه وعقله بديلا عن التعاطف مع اليهود الذين اضطهدتهم النازية او غيرها في عصر من العصور ، فالدعوة العربية الفلسطينية « قوميا وسياسيا ودينيا » تطالب بحقوقها ولا تدعو ابدا إلى الاضطهاد او تؤيد مثل هذا الاضـطهاد حتى لو كان موجها إلى اليهود . ذلك لأن دعوتها إنسانية وليست عنصرية متعصبة ، وهذا هو سر قوتها وتاثيرها وبقائها في ضمير العالم كله رغم عنف الصدمات والعقبات والآلام التى لا حد لها .

ويحضرني هنا نموذج له اهميته ، ذلك هو موقف الزعيم الهندي العالمي «غاندي» الذي كتـب عند بداية الحرب العالمية الثانية مقالا بعنوان « لو كنت يهوديا » ، وهو مقال رحب به العرب وترجموه ونشروه في صحفهم الكبيرة ، وفي هذا المقال يدافع « غاندي » عن اليهود ضد الاضطهاد النازي ، حيث يقول : « إن المبادىء السامية تقتضي بان يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله اينما ولدوا وحيثما نشاوا . فاليهود الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ولاشك ، كما ان المسيحيين الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ولاشك » ثم يقول غاندي بعد ذلك : « لو كنت يهوديا مولودا في المانيا ، وكنت احصـل رزقي منها ، لصرخت في وجه اقوى رجالها : إن المانيـا وطني ، ولا اخرج منها ولو قطعت اوصالي او القى بي من حالق ... ولرفضت ان اطرد منها او اخضع لأي نوع من انواع الاضطهاد بها » ثم يقول غاندي » .. إذا اتخذ اليهود فلسطين وطنا لهم ، هل معنى ذلك انهم يستمرئون فكرة إخراجهم من ديارهم ؟ او انهم يريدون ان يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة في طلب الوطن القومي تعطى الالمان حجة براقة اللون لطرد اليهود » ... وهكذا جمع غاندي بين تعاطفه مع اليهود ضد الاضطهاد الموجه إليهم من الالمان ، وبين رفضه دعوة اليهود لاقامة وطن قومي لهم على اشلاء شعب اخر هو الشعب الفلسطيني . وانا اقدم هذا النموذج الانساني البارز ، لأخرج منه بنتيجة اساسية ، هي أن التعاطف مع اليهود في قضية اضطهادهم من جانب النازية ، او غيرها من القوى السياسية ، لا يعني ابدا كراهية العرب او انكار الحق العربي في فلسطين .

فتهمة التعاطف مع اليهود ، وهي التهمة الموجهة لداريل لاتقوم على اساس سليم ، فليتعاطف داريل مع اليهود ، ولكنه لم يعلن ابدا ـ فيما اعلم ـ اي انكار للحق العربي في فلسطين .

ومع ذلك كله فاين تعاطف داريل مع اليهود ؟ .. إن اهم رواية كتبها داريل هي رباعية الاسكندرية ، وقامت بترجمة جزءين منها الشاعرة الفلسطينية الكبيرة « سلمى الخضراء الجيوسي » وسلمى الخضراء ، هي سيدة فلسطينية من اسرة مناضلة ومعروفة ، وهي نفسها قد صرفت جهدها وعمرها في الدفاع عن قضيتها العربية الفلسطينية والتعبير عنها ، ولا يستطيع احد ، ولا يملك ان يتهم سلمى الخضراء في عروبتها او فلسطينيتها ، ولو ان سلمى قد وجدت في داريل عداء للعرب وميلا نحو اسرائيل ، فهل كانت تقوم بترجمة جزءين من « رباعية الاسكندرية » إلى العربية ؟ .. لايمكن ان نتصور هذا ، بل إن سلمى الخضراء ، قد وجدت معنى عكسيا تماما في ادب « داريل » وهي تعبر عن هذا المعنى في مقدمة رواية «جوستين» وهي الجزء الأول من «رباعية الاسكندرية» منشورات دار الطليعة ـ ابريل ١٩٦١ » ... وهنا تقول الاديبة العربية الفلسطينية سلمى الخضراء في مقدمتها بالنص :

« ... إن القارىء العربي سيفيد من هذه الرواية في ناحية مهمة قد لا يعبأ بها القارىء الأجنبي . هذه هي الناحية السياسية . فمع أن ناحية السياسة ليست من اهداف الرواية الاساسية إلا ان العوامل السياسيةتسيطر على احداث الرباعية ، وتصرفات الأشخاص فيها . إن الاطار السياسي في الرواية لا يكاد يتبدى في الروايتين الأوليين ، ولكنه يظهر بوضوح وجلاء في « ماونت اوليف » الرواية الثالثة . فجوستين « بطلة الرواية الاولى » مثلا تستعمل كل اساليب اليهود « السحر والحب والاغراء » ، في سبيل اهداف سياسية . والكاتب « داريل » يعاملها في الرواية الاولى كفتاة جميلة ساحرة ، ولكنه يعود فيكشف عن مناحيها الأخرى في الروايات التابعه . ولاشك ان القارىء العربي سيضيف إلى معرفته العامة باساليب اليهود خبرة دقيقة مباشرة ومهما ذكرنا انفسنا بان الأحداث والشخصيات من ابتكار الكاتب فاني اظل ارى فيها نسيجا واقعيا يفضح الأساليب التى كان العدو يتبعها في قلب الوطن العربي جميعا قبل ثورته الواعية » .

هذا ما قالته الشاعرة والاديبة الفلسطينية « سلمى الخضراء » في تقديمها لرواية « داريل » : رباعية الأسكندرية ، بل إن داريل يذكر عن إحدى شخصيات الرباعية ان « رسائله كانت مليئة بالمذمات العجيبة لليهود ، كان يلقبهم بمصاصي الدماء » ص ٢٦٩ من رواية جوستين ـ الترجمة العربية » .

فاين إذن هذا الأساس الذى تقوم عليه الاتهامات ضد داريل بانه متعاطف مع اليهود ضد العرب ؟ .

إن مثل هذا التفكير السريع المتعجل لن يؤدى إلا إلى منع دراسة ادب « داريل » وفهمه وقراءته ، وهو ادب عظيم يستحق الدراسة والفهم والقراءة من كل المشتغلين بالثقافة العربية ، كما ان مثل هذه الاتهامات تحول بيننا وبين إجراء اي حوار جدي مع هذا الكاتب العالمي ، في اي شيء قد يكون أساء فهمه او اساء تقديره ، وهذه الاتهامات ايضا ، تؤدى بنا إلى التشنج ، والتفكير الانفعالي ، ولا تجدي شيئا ولا تعود علينا باي‌نفع من اي نوع على الاطلاق .

اتهامات أدبية

بقيت النقطة الاخيرة في هذه القضية ، وهي ماأطلقه الاديب العربي الكبير الدكتور يوسف إدريس حول رواية رباعية الاسكندرية » ، واحكام يوسف إدريس هي احكام بعيدة عن السياسة ، ولكنها تؤدى إلى نفس النتيجة التى تقودنا إليها المناقشات السياسية المتسرعة .. هذه النتيجة هي إساءة فهم الأديب العالمي « داريل » ، وإساءة تقديره ، وتجاهله او الجهل به .. يقول يوسف ادريس تعبيرا عن رفضه ونفوره من ادب داريل » مجلة الفصول ـ المجلد الثاني ـ العدد الثاني ـ ص ٢٣٤ » ما نصـه :

« لو اخذنا مثلا رباعية الاسكندرية لداريل ، وقرانا الجزء الأول وفرغنا منه . وهذا غير ممكن لأني حاولته . فسوف نجد

محاكمة ظالمة لأديب عالمي

الأجزاء الأربعة تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » .

ومعنى كلام يوسف إدريس ، أن أدب داريل « لا يطاق » بدليل ، أنه لم يستطع ، أن يكمل الجزء الأول من « رباعيـــة الاسكندرية » ، ولم يتمكن من ذلك بسبب نفوره من هذه الرواية ، ورغم ذلك فيوسف إدريس الذي لم يستطع أن يكمل الجزء الأول من الرواية باعترافه ، يحكم على الأجزاء الثلاثة الأخرى « ولا أدري بأي حق يحكم على هذه الأجزاء إذا لم يكن قد أكمل جزءها الأول » فيقول لنا بجراة منقطعة النظير : « إن الأجزاء الأربعة من رواية داريل تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » ... هذا الحكم الأدبي الذى يصدره يوسف يعبر عن نوع من التسرع الفكري والنقدي المرفوض ، فمن حق يوسف إدريس أن يقول مثل هذا الرأي لو أنه قرأ الرواية بأكملها وهو لم يفعل ذلك ، ومثل هذا الموقف لا يليق بأديب كبير نعتز به مثل يوسف إدريس ، وهو موقف ـ في جوهره ـ يدعو إلى السطحية والخطف في القراءة والدراسة والفهم . والحقيقة أن ما يدلي به يوسف إدريس من آراء أدبية حول هذه الرواية هو خطأ كلــه . فالرواية أعمق وأجمل وأروع ، فى أجزائها الأربعة ، مما يصوره يوسف إدريس لقارئه .

والرواية عمل فني شامخ يتناول نفس الأجواء والشخصيات ، ولكنها تبدو فى كل جزء منها بصورة مختلفة تماما عما تبدو عليه فى الجزء الأخير ، فلماذا يتسرع يوسف إدريس ويلقى مثل هذه الأحكام الأدبية السطحية ؟ ولماذا يضلل قراءه ومحبيه الكثيرين بهذه الأحكام المتعجلة التى لا تقوم على أي أساس من الحقيقة الأدبية ؟ ..

إن سلمى الخضراء ، الأديبة الشاعرة الناقدة ، مترجمة الجزئين « الأول والثاني » من الرباعية تشرح النقطة التى اختلطت على يوسف إدريس من خلال قراءته المتسرعة أو بالأحرى من خلال عجزه عن إكمال قراءة الرواية فتقول :

« إن رواية « جوستين » هي الكتاب الأول من رباعية لورانس داريل الشهيرة باسم رباعية الاسكندرية ... هذه الروايات الأربع هي : جوستين ، بالتازار ، ماونت أوليف ، كليا ... وهذه « الرباعية الروائية » قد بنيت على مخطط فنى شديد الطرافة ـ يرتكز على حد تعبير داريل نفسه على « الفرضية النسبية » فالرباعية تستقطب ثلاثة أبعاد مكانية وبعدا زمنيا واحدا . فتؤسس على هذا الاستقطاب بنيانها الطريف الدقيق . وحقيقة الفرضية التى تكمن وراء هذا المخطط هي أن الشخصية الانسانية مادة معقدة تدخل فى تركيبها عوامل كثيرة ، ولا يستطيع إنسان واحد أن يكتشف جميع أبعادها. إن الروايات الأربع تتحدث عن نفس الشخصيات الرئيسية لتظهر لنا ناحية واحدة من النواحي المتعددة لهذه الشخصيات فى الكتاب الواحد . ومع ذلك فإن كل رواية منها مستقلة فى بنائها الفنى عن الأخرى . ففي « جوستين » وصف داريل جميع الحوادث والشخصيات من وجهة نظر شخص واحد هو راوي القصة الايرلندي . وبالطبع فإن الانسان يحسب عندما يتم قــــراءة « جوستين » أنه قد قرأ القصة كلها ، ولكنه سوف يكتشف عندما يبدأ في قراءة بالتازار أن راوي القصة الايرلندى « فى جوستين » قد أخطأ فهم الكثير من الحوادث ، لأنه كان ينظر إليها من وجهة نظره الخاصة ، وهي وجهة نظر « نسبية » لايمكن أن تتسع لتشمل الحقيقة جميعها . وفي نهاية الرباعية ، إذ يكتمل بناء الشخصية ، نجد أن هناك شيئا من الصدق فى كل ما يقال عن كل فرد . وأن القديس والشرير شريكان ! »

ذلك ما كتبته سلمى الخضراء وفى تفسير البناء الفني لرواية « داريل » ، ورأيها فى هذا المجال صحيح ، وهو رأي مبني على الدراسة والفهم والمعرفة ، أما رأى أديبنا الكبير يوسف أدريس فمبني على القراءة الخاطفة والناقصة ، ومبني على التسرع وعدم الدقة، وهو لا يجوز أن تتصف به أحكام يصدرها أديب كبير مسئول .

وأحب أن أضيف هنا أن رباعية الاسكندرية وهي تحفة أدبية نادرة ، قد أثرت ـ من حيث البناء الفنى ـ فى أدبنا العربي المعاصر وفى عملين معروفين هما رواية « ميرامار » لنجيب محفوظ ، ورواية « الرجل الذى فقد ظله » لفتحى غانم .

وهكذا يبدو بوضوح أننا قد حاكمنا لورانس داريل ، وهو أديب عالمي بالغ الأهمية والقيمة ، محاكمة سياسية سريعة وظالمة ، ومحاكمة أدبية أسرع وأسوأ وأكثر تعسفا وظلما .

الانفعال والموضوعية

ونعود إلى المشكلة الأصلية ، التى تمثل خطأ جوهريا من أخطاء الفكر العربي ، ... هذه المشكلة هي مشكلة « العقل الانفعالي» الذى نعاني منه أشد المعاناة فى نظرتنا إلى الأمور ، فنحن نبدأ بمعلومات سريعة وغير دقيقة ، ونبني عليها موقفا عاطفيا هو أن نكره « الشخص » قبل أن نعرفه وندرسه ، ثم نسارع على أساس هذه الكراهية الى تجريده من كل قيمة ، ثم نحاكمه بعد ذلك غيابيا دون أن نتيح له ولأنفسنا فرصة الحوار السليم ، وبعد ذلك كله نصدر عليه أحكاما متسرعة بالاعدام الأدبي والفكري والسياسي ... ونكاد نجرده من ثيابه الشخصية .

ومن حقنا ، بل ومن واجبنا أن نرفض الأفكار التى نختلف معها ، ولكن الطريق الصحيح أيضا هو أن نفهم صاحب هذه الأفكار فهما سليما جيدا ، ونعرف قدره وقيمته ، إن كان له قدر وقيمة ، حتى لو كان مختلفا معنا ، ثم نسعى بعد ذلك إلى إجراء حوار مؤثر معه ، إن كان ذلك متاحا لنا ، كما هو متاح فى حالة « لورانس داريل » حيث يتردد هذا الكاتب الكبير على بلادنا كثيرا ، ومن حقنا بعد ذلك أن نحاكمه محاكمة فكرية وأدبية عادلة ، نرد فيها على أفكاره الخاطئة ، ونبقي له حقه فى القيمة والمستوى والأهمية ، وذلك كله لن يفيـــد داريل أو غيره ، بقدر ما سوف يفيـــدنا نحن لأن هذه المحاكمات المتسرعة التى تجرد الآخرين من كل شيء تؤدى بنا إلى تجاهل أديب مثل « داريل » ورفضه وعدم قراءته ، بينما العالم كله يقرأه ويهتم به ، وينظر إلى أعماله ، وفى مقدمتها رباعية الاسكندرية ، على أنها إضافة كبرى إلى الأدب العالمي .

وهذا هو الفرق بين التفكير الانفعالي والتفكير الموضوعي ... ليس ـ فقط ـ فى قضية داريل ، بل فى كل قضية أخرى فى ميدان الأدب والسياسة والفكر والثقافة والحياة .

ولا تصدقوا الذين حاكموا « داريل » محاكمة ظالمة ومتسرعة .. فداريل أديب عظيم ، قد نختلف معه ونرفض بعض آرائه ... ولكن أدبه يظل عميقا وممتعا ومتألقا ويستحق القراءة والتأمل والبحث والدراسة .

إننا لو تابعنا هذا المنهج الانفعالي فى التفكير ، وهو المنهج المسيطر علينا للأسف ، فسوف نظل عاجزين عن فهم الأشخاص والظواهر التى تواجهنا ، وسوف ينتهي بنا الأمر إلى إغلاق كل نوافذنا العقلية والحضارية ، وحصر وجودنا كله ضمن أسوار حديدية من العزلة والتفكير الضيق المغلق ، وسوء الحكم على الأمور ، وعدم القدرة على التصرف ، وكل مايصيبنا من الاضطراب فى أمور السياسة والثقافة والحياة ، إنما يعود فى جوهره الى هذه العقلية الانفعالية المتعجلة التى تستسهل الأحكام النهائية القاطعة ، وتستسلم للأوهام والأباطيل بسرعة عجيبة وترفض بذل أي جهد دؤوب صبور فى سبيل تغيير الواقع الذى لا ترضاه . فلنتخلص من ذلك العقل الانفعالى الذى قادنا إلى كثير من الهزائم الروحية والنكبات الواقعية . ولنصبر على فضيلة التفكير الموضوعي الدقيق ، فمن خلال هذه الفضيلة وحدها يمكن أن يتغير واقعنا إلى ما هو أفضل ، وتنتقل حياتنا العقلية والعملية ألف خطوة إلى الأمام .

رجـــاء النقـــاش

حكايتي والمؤتمر

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

مؤتمر غريب انعقد فى اليونان ودعي اليه الكاتب الكبير الدكتور عبد السلام العجيلي ، وفى المؤتمر فوجيء الكاتب العربي بوجود ممثلين لاسرائيل ، فانسحب من المؤتمر ، وهذه هي قصة المؤتمر الغريب وقصة الزوبعة التى ثارت فى داخلـه .

فى مطار اثينا ، بينما كنت فى انتظار النداء للطائرة التى ستستقلها إلى بيروت ، اقترب منى شاب كان واقفا فى احد صفوف المسافرين وخاطبنى بالفرنسية قائلا : صباح الخير يا سيدى ... انا واحد من اعضاء بعثة جريدة الفيغارو الى ندوتكم ... يالها من مؤتمر !

قلت : ما الذى استغربته من هــــذا المؤتمر ، اعني من ندوتنا ؟

قال : بدأتم بالثقــافة وانتهيتم الى السياسـة . من كان يصدق ان بيير موروا ، رئيس وزراء بلادنا ، يصوت فى بيان الندوة الختامي موافقا على التنديد باسرائيل وعلى اقامة دولة فلسطينية ؟! تلك امور ضد الخط السياسي للحكومة التى يراسها . لما سألناه ، نحن الصحفيين عن تفسير ذلك بدا عليه الحرج وقال انه وافق على ما وافق عليــة بصورة شخصية ..

قلت : انا لم احضر الجلسة الختامية .

قال : اعرف جيدا . فلعل هذا يرضيك بعد الضجة التى اثرتها انت فى الندوة ، الى اللقاء يا سيدى .

ودعني الشاب بهذه الكلمة وانطلق معجلا الى احدى البوابات المنفتحة على المدارج ، مستجيبا الى نداء كانت المكبرات تذيعه فى قاعة الانتظار المزدحمة .

حدث هذا بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من شهر مايو - ايار الفائت . كنت ، كما قلت ، اتهيا للعودة عن طريق بيروت التى لم تكن قد تعرضت لمحنتها الكبيرة الاخيرة ، وذلك بعد ان حضرت فى اليونان الندوة الثقافية العالمية التى اتخذت شعارا لها « البحـــر الابيض المتوسط دائما واليوم » . هل حضرت انا تلك الندوة ؟ الصحيح انى حضرت جزءا منها فقط ، جزءا كفى وحده لان يجعلنى اثير الضجة التى اشار اليها مراسل جريدة الفيغارو قبل ان يودعني الى طيارته .

ولقد اثرت تلك الضجة على الرغم مني . فحين قبلت حضور هذه الندوة ، وقد انبأتني برقية الدعوة اليها انها ستــدور حــول العلاقات الثقافية بين شعوب البحر الابيض المتوسط ، توقعت ان ادخل فى نقاش وجدل فى امور هامة لن تقتصر على الثقافة بل ستمتد الى التاريخ القديم والى السياسة المعاصرة . الا انى ما توقعت ان يركز علي شخصيا بين كل الحضور فى محاولة لادراك غايات بعيدة عن مشـاغل مؤتمرنا المعلنة .

ولابد من القول ان مؤتمرنا هــذا ، على كونه اقيم فى ارض اليونان فقد جاءت الدعوة اليه بآن واحد من وزير الثقــافة الفرنسي ، جاك لانغ ، ومن وزيرة الثقــافة اليونانية ميلينا ميركوري . دعوة صدرت من وزيرين مسؤولين ، الا انها وجهت بصورة شخصية الى مفكرين وكتاب وفنانين لهم شهرتهم العالمية ، ينتمون الى مختلف بلدان البحر الابيض المتوسط دون ان يكون لهم ارتباط رسمى بحكومات بلدانهم . بل ان بعض المدعوين كانوا على خلاف واضح مع حكوماتهم ، مثل المخرج السينمائي التركى ايلماز كونـاى الفائز بالميدالية الذهبيــة فى مهرجان « كان » لهذا العام على فيلمـــه « الطريق » والذى تلقت اليونان اثناء انعقاد الندوة طلبا من الحكومة التركية لتسليمه اليها بصفته محكوما بالسجن المؤبد فى بلاده لسلوكه السياسي المعارض ..

قلت ان المدعوين كانوا ينتمــون الى مختلف بلدان البحر الابيض المتوسط ، لذا فان المنتمين الى البلاد العربية المتوسطية لم يكونوا قلة فى العدد بين نحو من سبعين مدعوا الى الندوة سوى اليونانيين . بعضنا مثل كاتب هذه السطور ، جاء من بلده ، وبعضنا جاؤوا من منافيهم او من مقر اقامتهم فى بلدان غير موطنهم . من هؤلاء مثلا محمود حسين الكاتب السياسي المصرى الذى يجهله العرب ويعرفه الفرنســيون معرفة جيدة . محمود حسين هذا ليس شخصا بمفرده ، بل هو كاتبان اسمهما عادل رفعت وبهجت النادى ، يقيمان فى فرنسا منذ زمن طويل وفيها يؤلفان كتبهما السياسية التى تصدر عن نزعة اشتراكية متطرفة تروتسكية او ماوية .

اذن فقد كان فى مؤتمرنا كتــاب عــرب وفنانون عرب كثيرون . فلسطين نفسها كانت ممثلة بريموندا الطويل المقيمة فى الارض المحتلة ، والتى عرفت السجن فى دفاعها عن مواطنيها وعرفها المتتبعون لنضال عرب فلسطين عن طريق كتابها عن هذا النضال . ولما كانت تهيئة الندوة ترجع فى نصفها ، اذا

حكايتي والمؤتمر

لم يكن فى اغلبها ، الى وزير الثقافة الفرنسي فما كان مستبعدا ان يدعو هذا الوزير مفكرين من اسرائيل الى الاشتراك بها ، وحقا كان هذا . فحين بلغت فى اثينا فندق خاندريس ، حيث حلت الوفود ،وتطلعت الى اسماء المشاركين وجدت بينهـــا اسمين لاسرائيليين قادمين من تل ابيب ، احدهما نائب سابق مشهور بمعارضته للسياســـة الصهيونية فى بلاده ، والثانى كاتب يسارى معروف كذلك بمواقفه العدائية لتلك السياسة . ذانك المشاركان هما اورى افنيرى واموس كينان . معارضان لاساليب الحكم فى اسرائيل ولطريقة الصهاينة فى معاملة العرب فى فلسطين بلدهم ، ولكنهما على كل حال اسرائيليان ، من اسرائيل .

ان يحضر اسرائيليان ، وان كانا معارضين لحكومة بلدهما ، كان بعض ما توقعت حدوثه فى هذا المؤتمر مادام الداعي الأول اليه هو ، كما قلت ، وزير الثقافة الفرنسي . انها البداية قلت لنفسي . فاحضار هذين الاسرائيليين الى ندوة البحر الابيض المتوسط واشراكهما فى ابحاثها يعنيان اعتبار شعب اسرائيل شعبا متوسطيا له انتماؤه الى بلدان هذا البحر وله مساهمته فى حضارة هذه البلدان . تلك افكار ستطرح فى جلسات الندوة ، ولكننا نحن العرب لا نقبل بمبدئها ولا بمحاولة جعلهـا مقبولة عند الآخرين . وليس عسيرا علينا ان نورد الحجج القطع فى دحضها اذا ما جرى اقحامها فى المناقشات الدائرة . قلت هـــذا لنفسي ، كما حدثت به بعض من انست منهم اهتماما بما اهتم انا به من المشاركين العرب ، ونحن فى السفينة التى اقلتنا من اثينا العاصمة الى مقر اجتماعاتنـــــا فى جزيرة هيدرا .

ذلك ان ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة والعلوم فى الجمهورية اليونانية ، اختـــارت لاقامة المؤتمر هذه الجزيرة الجميلة التى تبعد مسافة ساعتين عن اثينا بحرا فى اسرع الزوارق . فنحن لم نتلبث فى عاصمة اليونان الا ليلة واحدة حضرنا فى اولهـــــا حفلة الاستقبال الكبيرة فى قصر الثقافة ، ثم ركبنا فى صباح اليوم التالى سفينة سياحية فاخرة توجهت بنا الى جزيرة هيدرا فى جو منطلق تحرر فيه المشاركون من قيود الرسميات ، وانصرفوا الى التمتع بهذه النزهة البحرية مجتمعين فى حلقات يتعرف اعضاؤها بعضهم ببعض ، يتبادلون المعلومات عن اهتماماتهم وانتاجهم الفكرى والفني ، كطليعة للمناقشات التى ستدور حـــول الموضوع الرئيسي للندوة ، وهو العــــلاقات الثقافية بين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

فى هيدرا ، تلك الجزيرة الســـاحرة ، عقدنا اول اجتماعاتنا فى كنيستها الاثرية الكبيرة التى لم تكن تبعد غير خطوات عن شاطىء البحر ومرسى المراكب فيه . وجلست فى مقعدي من قاعة الاجتماع وحولي بعض زملائي الذين تهيأوا معي للتصدى لمحاولة اقحام اسرائيل بين الشعوب المتوسطيـــــة الأصيلة . الا ان ذلك التصدى لم يقـــع فى جلستنا الاولى . فما كدت احكم على اذني سماعة الترجمة الفورية حتى جاءتني مديرة مكتب الوزير الفرنسي لتقول لي بلهجة قلقة اني مطلوب لمكالمة عاجلة بالهاتف من اثينا . سمعت على خط الهاتف ، فى الغـــرفة المجاورة لقاعة الاجتماع ، صوت دبلوماسي عربي ، صديق قديم ما كنت اظنه يعمل فى اثينا ، يقول لي بعد التحية : ما هذا المؤتمر الذى تحضره يا فلان ..؟ هل تدرى باننا ، نحن الدبلوماسيين العرب ، لم نسمع به الا امس حين دعينا الى حفلة الاستقبال الرسمية .؟ قلت : ولكنكم لم تحضروها ... لم ار عربيا فيها غير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . قال : لاننا قاطعناها جميعا ، وسنعقد اجتماعا لبحث هذه القضية ... نرجوك ان تعود الى اثينا مساء اليوم لتحضر اجتماعنا فى صبيحة الغـــد ..

لم تكن عودتي الى اثينا متيسرة ذلك المساء ، فكان لابد من الانتظار الى صباح اليوم التالى . ولما ذاع اني سأترك اجتماعات الندوة لاحضر اجتماعا للسفراء العـــرب يتعلق بموضوعها كثر التســــــاؤل بين المؤتمرين عما وراء ذلك . وفي المساء ، عندما كنا نتناول جميعا العشاء على موائد متفرقة فى الهواء الطلق ، جاءت ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة ، الى المائدة التى كنت عليهـــا يصحبها معاون وزير الثقافة الفرنسي ، وهي تقول شاكية : ماذا يريد سفراؤكم من مؤتمرنا هذا .؟ انتم مدعوون بصفتكم الشخصية كرجال فكر ، فليس للساسة او الدبلوماسيين دخل فى امركم . قلت : يا سيدتي .. فقـــالت الوزيرة محتجة : لا تناديني بياسيدتي .. قل لي يا ميلينا ! ضحكت وناديتها باسمها الاول كما ارادت . فقد كانت فى مخالطتها للمؤتمرين وانا من بينهم ، تبتعد عن شكليات منصبها الرسمى مذكرة بماضيها كممثلة فنـــــانة وكمناضلة يسارية . قلت لها : ياميلينا .. ربما كان للدبلوماسيين العرب عـــــذرهم فى الاستيضاح عن هوية ندوتنا ، فهم لم يدروا بها الا مساء امس . قالت : كان خطا ان نضع فى كتاب الدعوة تحت توقيعينا لقبينا كوزير للثقافة فى فرنسا ووزيرة للثقافة فى اليونان .. سأصدر مع وزير خارجيتنا ، فى هذا المساء بيانا يؤكد ابتعاد المؤتمر عن الرسميات ويعلن انكم لاتمثلون بلادكم سياســـــيا بل تمثلون قيم الفكر والثقافة والفن فى حوض بحرنا المتوسط هذا ...

• • •

صدرت صحف اثينا فى الصباح التالى وفيها البيان الذى اشارت اليه ميلينا ميركورى . علمت بهذا فى اجتماع السفراء العرب الذى عرضت عليهم فيه الغاية من الندوة وبرنامج عملها ونوعية المشاركين فيها وكانت الوزيرة تنتظر مني هاتفا على رقمها الشخصي الذى سجلته بيدها فى دفتري ، كى اعلمها ان من اجتمعت اليهم قد ارضـــاهم بيانها ، واني عائد الى المشاركة فى اعمـــال المؤتمر . ولكني فى الواقع لم اتصل بالوزيرة . فقد نشرت احدى صحف الصباح الموالية للحكومة مع بيانها شيئا اخر يتعلق بي شخصيا ، ولم يدر بخلد المصطادين فى الماء العكر اني ساطلع عليه فى الوقت المناسب . كان فى تلك الصحيفة الواسعة الانتشـــار ريبورتاج مطول عن ندوتنا تضمن صورا عن رحلتنا البحرية من اثينا الى جزيرة هيدرا ، ومن بين هذه الصور واحدة تمثلني انا والاديب التونسي عز الدين قلوز جالسين على مائدة واحدة ..

لم يكن نشر هذه الصورة امرا غير عادى . ولكن غير العادى كان ما كتب تحتها . فقد كان الشرح عليها بهذه الجملة : « رجـــال الفكر فى العالم ليست بينهم حواجز .. انهم متكاتفون من اجل بحر متوسط عماده الثقافة والفكر .. فى الصورة مندوبا سوريا واسرائيل يجلسان على مائدة واحدة » .




بيار موروا
من يصدق انه وافق على التنديد باسرائيل ؟



جاك بيرك
انسحب من المؤتمر تاييدا لموقفي



ميلينا ماركوري
ابتعاد المؤتمر عن الرسميات

كان هذا افتراء مقصـــــودا ومبيتا . فالمشاركان الاسرائيليان ، افنيرى وكينان ، معروفان معرفة تامة عند الصـــــحفيين الحاضرين ولا يمكن ان تلتبس صورة احدهما بصورة المشارك التونسي . هذا التزوير المتعمد قصد به دون شك تسخير حضورى وامثالي لندوة البحر الابيض المتوسط للايهام بان رجال الفكر العرب يخالفـــــون ما تفعله دولهم وما تعلنه وسائلها الاعلامية من رفض العرب لوجود الكيان الصهيوني في المنطقة . واذا كان المـــقصود من بيـــــان الوزيرين الذى صدر عشية امس تبرئة الندوة من بعض الشبهات ، فان هذه الصورة بشرحها الكاذب جاءت مؤكدة واقعية تلك الشبهات وداعية اياى شخصيا ان اتخـــذ موقفا لابد من اتخاذه .

عدت في الواقع الى هيدرا بمجرد اطلاعى على صورتي هذه فى صحيفة « توفيمـــــا » اليونانية . ودخلت اجتماع الندوة فى قاعة الكنيسة الكبرى بينما كان احد المتحـــــدثين الايطاليين يلقى كلمته . لم تكن ميلينـــــا ميركورى ولا كان جاك لانغ ، وزير الثقــــافة الفرنسي ، بين الحاضرين ، فقد كانا فى اثينا يستقبلان بيير موروا ، رئيس وزراء فرنسا ، الذى قدم من بلاده وقيل لنا انه سيحضر كضيف حفل الندوة الختامي . وحين جاء دورى فى الكلام بعد عدة مشاركين بدأت بالحديث عن بعض ما كنت اريد التحدث فيه من امور الثقافة المتوسطية . ثم قلت انى لن اكمل حديثي فى الندوة لأن ثقتي بغايتها قد تزعزعت بسبب حادثة شخصية اخشى ان يكون لها انعكاسها على الندوة بصورة عامة . قلت هذا ووزعت على الحاضرين نسخا من تلك الصورة مع ترجمة لشرحها بالفرنسية ، وعقبت على ذلك بكلمات بينت فيها ما وراء هذا الافتراء من مقاصد مشبوهة ..

وهكذا حدثت الضجة التى ذكرها مراسل الفيغارو فيما رويته عنه فى مطلع هذا المقال ، ضجة حقيقية دفعت المسؤولين اليونانيين فى الجلسة الى الاعتذار ، وتحدث اثناءها عدد من المشاركين مستنكرين . وحين اعلنت انسحابي من الاجتماع انسحب مؤيدا لى المستشرق الكبير جاك بيرك ، وهو بين اعضاء الوفد الفرنسي الشخصية الثانية فى الاهمية بعد وزير الثقافة . واحتجاجا على ذلك التزييف فى الصورة وقع الحاضرون بيانا يشجبون به ما اوردته الجريدة ويطالبون بتصحيحه . اما انا فقد قلت للذين ارادوا مني ان اجد فى هذا ترضية كافية ، انى مصر على عدم العودة الى الاجتماعات وان كنت لا اطلب من غيرى مقاطعتها . كل ما يهمنى هو ان يحول المشاركون فيها ، وكلهم من ذوى النوايا الحسنة ، دون ان تستخدم ندوتهم الثقافية كحصان طروادة للغايات السيئة المبيتـــة لهـــا .

وكانت اجتماعات الندوة قد شارفت على الانتهاء على كل حال . ختام برنامجها كان حفلة موسيقية كبرى اقيمت فى مدرج ايبيدور حضرها ، كما كان مقررا ، موروا رئيس وزراء فرنسا وباباندريو رئيس وزراء اليونان . اما اخر اعمالها فهو بيان مشترك نشرته الصحف ونقلت خلاصته وكالات الانباء العالمية ، وفيه اجمع كل المشاركين فى المؤتمر على التنديد باسرائيل وشجب محاولاتها التوسعية وعلى المطالبة باقامة وطن مســـــتقل للفلسطينيين فى بلادهم . وهذا مناقض كل المناقضة لما اراد الموالون للصهيونية تسخير الندوة له ، مبتدئين من الصورة التى كشف زيفها غايتهم ولفت الانظار الى نياتهم .

وحين عدت الى بلدى تلقيت من الاستاذ جاك بيرك ، صديقى المستشرق الفرنسي الكبير ، قصاصة من جريدة الموند الباريسية فيها بيان الندوة الاخير ، مع رسالة منه يقول فيها : « وهكذا ترى ان المناورات التى حاكها ذوو النيات السيئة حول المؤتمر انقلبت عليهم ، وجاء البيان الختامي ضد ما ارادوا » .

• • •

حدث كل هذا فى فترة خمسة ايام ، بين ٢٠ و ٢٤ من ايار ـ مايو الفائت . رجعت بعـــد ما جرى من اليونان الى سوريا عن طريق بيروت ، وذلك فى الايام القليلة التى سبقت محنة لبنان ، بل محنة العرب ، الكبرى الاخيرة . حين عدت الى قراءة قصاصة جريدة الموند وانا الاحق اخبار النكبات المتتالية فى هذه المحنة لم املك غير ان اهز راسي ، والاسى يعتصر قلبى ، متسائلا عن قيمة كل الكلام الذى قلته فى الندوة ، والذى اثرت به تلك الضجة ، والذى انتهى الى النتيجة التى تضمنتها القصاصة . ما قيمة الكلام الذى نقوله ونعبر به عما نعتقده اذا افتقدنا القوة التى تعطى الكلام شكله كفعل . ما جرى امس فى فلسطين ، وفى لبنان ، وفى كل الساحات العربية يصدق ما امنت به دوما وما رددته دوما ، وما قاله قبلي بالف سنة المتنبي حين قال :

حتى رجعت واقلامي قـــوائل لي
المجـــد للسيف ليس المجـــد للقلم
اكتب بنـــا ابدا بعد الكتاب بـــه
فانمـــا نحن للاســـياف كالخدم

عبد السلام العجيلي
الرقة ـ سوريا



كوتشينة..!

بقلم :
محمود السعدني

واذا كان انور المعداوى هو اعظم ابناء قهوة محمد عبد الله ، فزكريا الحجاوى هو اخلص ابنائها واعظمهم فنا واشدهم تاثيرا فى الجيل الذى جاء من بعده . وعندما جذبت الصحافة زكريا ظل مواظبا على زيارة القهوة ولو لرشف فنجان القهوة على عجل ، واحيانا كان يتلكا قليلا لينهى نقاشا حادا بينه وبين الأصدقاء . ولكن لحسن الحظ لم يعمر زكريا طويلا فى بلاط صاحبة الجلالة . سرعان ما عاد الى القهوة من جديد . وقد امتلات نفسه مرارة من غدر الزمان وخيانة الأصدقاء ! ولكن زكريا الحجاوى الذى كان يتفجر حيوية ويفيض نشاطا لم يستسلم . بدأ رحلة حياة جديدة والقى بنفسه فى نهر الفن الشعبى وسبح فيه بمهارة ، وربما فاضت نفسه بشرا عندما اكتشف انه وجد نفسه وانه عثر على الطريق الصحيح ! وراح زكريا الحجاوى يجوب ريف مصر ، يقضى لياليه فى افقر الكفور وأصغر النجوم ، خادعاً نفسه بالوقوع فى قصص غرامية مع مطربات شعبيات لم يكن لهن صلة بجنس النساء إلا عن طريق الملابس والاسماء . وكان هذا هو راى الاصدقاء ولكن راى زكريا كان يختلف . وعندما كانت الفرصة تسنح له بالحديث عن هؤلاء النسوة ، كان يتحدث عنهن باحترام ، وبنعومة وكانه يتحدث عن غادة الكاميليا او ماجدولين او جولييت او بثينة التى خلبت لب الشاعر جميل ! ومادامت المسائل كلها نسبية ، فان زكريا كان صادقا فى احساسه تجاه هؤلاء الماجدولينات ، فهو فى النهاية اصدق كاتب ريفى انجبته مصر . وهو كان يعشق الأرض المصرية ، وكان بينه وبين الطرق الزراعية علاقة غرام ، وكان يهيم باشجار النخيل ويقف مبهوراً امام الخضرة الممتدة بلا نهاية فى الحقول . وكان يحمل عشقا خاصا لاشجار الجميز ، وينشرح قلبه كلما نفذت الى خياشيمه رائحة روث البهائم . وكثيرا ما كان يصرخ من شدة الوجد كلما راى فلاحة سمهرية العود تتلوى كالافعى وهى تخطر فى الملابس السود ! وحقق زكريا الحجاوى انجازات ما كان يمكن تحقيقها لو انه استمر فى عمله الصحفى . التقط الحانا ريفية كانت مجهولة ، وصنع نجوما فى المجتمع المصرى كانوا مجرد صعاليك يتسولون بالغناء . واســـتطاع زكريـــا الحجاوى ان يفرض على مصر عددا من هؤلاء . ادهشوا مصر بفنونهم الأصيلة ، وبعضهم ادهش العالم كله بعد ذلك كالريس متقال . ولمع داخل حدود الوطن العربى محمد طه وخضرة وفاطمة سرحان ومحمد ابو دراع وجمالات شيحا ، واصبح زكريا الحجاوى هو شيخ الطريق والطريقة وكان سرادقه فى سيدنا الحسين خلال شهر رمضان هو التعبير الاكثر صدقا عن التغيير الذى حدث فى مصر خلال فترة الستينات ! وانتعش زكريا الحجاوى ولكن ليس بالقدر الذى كان يجب ان يتوفر لفنان على هذا المستوى العظيم . أحيانا كان يشعر بالضياع فيعود عندئذ الى شـــلة الأصدقاء ، وكالصوفى التائه كان يتمنى لو جاء المخلص ليعتقه من الحياة ويخلصه من العذاب ! ولكن هذه الحالة كانت مجرد لحظات عابرة فى حياة زكريا . سرعان ما كان يتخلص منها ويعود إلى الدوامة من جديد ، ويختفى فى الريف . ولكنه حتى خلال غيبته الصغرى فى ريف مصر ، كان يحتفل بكل موهبة يصادفها فى طريقه ، ويدفع بكل ناشىء خطوات على الطريق ، ويحمى كل عود اخضر من النوايا الشريرة والظروف الحمقاء ! ولو اتيحت الفرصة لزكريا الحجاوى لترك لنا ميراثا ادبيـــا عظيما ، ولكن هذه الفرصة لسوء الحظ ، لم تتح له قط . كانت اعباء عائلته الكبيرة ، وموارده القليلة تقف حائلا بينه وبين التفرغ للابداع . وعندما ايقن ان الفرصة قد فاتت اكتفى بالحديث عن الكتب التى سيؤلفها فى المستقبل . ولكن حديثه اقتصر فى النهاية على كتاب واحد اطلق عليه اسم « كوتشينه » واعتقد انه كان يتمنى لو تتاح له الفرصة والوقت والامكانيات لتاليف هذا الكتاب ! وكتاب « كوتشينه » الذى كان يحلم به زكريا الحجاوى هو فصول عن شخصيات صادفها فى حياته ، وقد حصر الشخصيات التى كان ينوى الكتابة عنها ، وحدد أسماء الفصول أيضا . فالذئب عن شاعر معاصر شهير وعظيم ، ولكن بقدر عظمة شعره كان انحطاط الشاعر نفسه ، وبقدر لمعان أدبه كان سواد قلبه وخبث نواياه . وقد عانى زكريا الحجاوى من لؤم هذا الشاعر كما عانى اخرون من جيل زكريا لدرجة أن ألمع كاتب ساخر ربما فى قرننا هذا ضاع فى الحياة بسبب مكائد هذا الشاعر وغدره . والعقرب عن شاعر وكاتب شهير شغل الناس والحياة خلال عمره ، وبالرغم من طيبته كان مصـــــدر ضرر للكثيرين ، وكان لسانه كذنب العقرب يلطش الناس لطش عشواء . وكان يذبح اى صديق عزيز له إذا حبكت النكتة . وكثيرا ما كان يندم على ما فعله ولكن بعد فوات الأوان ، فهو كالعقرب لا يعض ولكن لسانه يلدغ لأنه هكذا وظيفته التى خلق لها فى الحياة ! والشرطى عن أديب كان يعمل فعلا بالشرطة ، ثم احترف الأدب واشتغل بالوظائف المدنية ، ورفعته الظروف إلى منصب كبير كان زكريا يعمل مرؤسا فى ادارته . ولكن زكريا الفنان الذى كان يخاف الشرطة واقسام البوليس ، ظل يخاف من هذا المديـــر كانـــه طفل عابث يشعر بالخوف تجاه ابيه . او كانه مواطن غير صالـــح



يشعر بعدم الطمأنينة اذا صادف شرطيا فى الطريق ! وفى الكتاب فصول اخرى عن الطيب ، والمجنون ، والضائع ، والموهوم ، والهايف ، والمزعوم ! ولعلنا خسرنا عملا ابداعيا عظيما لأن زكريا لم ينته من تأليف هذا الكتاب ، وكان كلما حثه احد على الشروع فى تأليف الكتاب ، زعم أنه بدأ فى التأليف بالفعل ، وكان يتعلل باعذار كثيرة ولكن اهمها هو وقوف القلم فى يده عند شروعه فى كتابة الفصل الاخير عن الجوكر والجوكر هو كارت الكوتشينة الذى تضعه فى أى موضع فينسجم ، وتستخدمه على أى نحو فتحصد من ورائه المطلوب ، وكان زكريا يقصد اديبا وشاعرا ، نصف فنان و نصف نصاب ، نصف عبقرى ونصف مجنون ، وقد مارس كل شىء ، القصة والرواية والشعر وكتابة المقالات والتمثيل والاخراج ، وتستطيع أن تذكره إذا كان الحديث فى أى فرع من هذه الفروع ، ولكنك ايضا تستطيع أن تسقطه فلا يحدث خلل على الاطلاق !

وكان كتاب زكريا الحجاوى الثانى المفضل ، والذى لم يكتب حرفا واحدا فيه ، هو «البكور» ، وهو عن حياته الأولى فى المطرية ، وتأثير بحيرة المنزلة على نفسه ، وحياته مع الصيادين ، وأيامه البعيدة المجيدة التى عاشها هناك . وكان يحكى عن شخصيات عظيمة صادفها فى صباه ، كان يذكر منهم واحدا اسمه «عبد العزيز السودة» وشيخ من المعممين هو الشيخ «السنطورى» ، وهو رجل نال قسطا من التعليم فى الأزهر ، ولكنه اشتغل بفن التواشيح ، وبالرغم من انه لم يشتهر إلا انه كان عالما بالمقامات والالحان ! ولعل الوفاء كان أهم صفات زكريا الحجاوى بعد الفن . فهو لم يتخل عن أصدقائه القدامى ، ولم ينس مراتع صباه ، ولم يعشق مكانا فى العالم قدر عشقه للمطرية مسقط رأسه ، وللجيزة حيث عاش بقية الحياة . ولو صادف زكريا الحجاوى ظروفا حسنة ، ولو وجد من يستخرج من داخله أصدق خصاله وانبل مشاعره ، فلربما كسبنا زعيما شعبيا مثل عبد الله النديم ، ولكن لأن الظروف كانت معاكسة ونبض الحياة فى مصر كان مختلا ، فقد جاء زكريا الحجاوى نسخة من النديم ولكن بالمقلوب . واذا كان الشعب عند النديم وسيلة والهدف هو الثورة ، فان زكريا كانت لديه نفس الوسيلة ولكن بلا هدف على الاطلاق ! بالرغم من أن مصر لم تنجب فى زمانه أديبا يستطيع أن يخاطب الفلاحين مثله ، ولا خطيبا يستطيع أن يؤثر فى العامة من طرازه ! إلا أن الأثر الوحيد الذى تركه زكريا فى جماهيره من البسطاء لم يكن أكثر من أثر العشرة الطيبة والذكر الحسن .. وكما بدأ زكريا غريبا فى المطرية عاد غريبا فى القاهرة فى نهاية المطاف ! وعندما جاء أنور السادات رئيسا لجمهورية مصر ، ظن زكريا الحجاوى أن الحياة قد طابت له أخيرا . فهو صديق قديم للرئيس الراحل السادات وله عليه أياد بيضاء ، فقد اشترك فى اخفائه عن اعين الشرطة فى الأربعينات ، وهو أحد المصادر التى استمد منها الرئيس الراحل ثقافته ، وتعبيرات السادات الشهيرة : العيب واخلاق القرية ، والاصول والقيم ، وديوان المظالم ، والتصحيح ، كلها من وضع زكريا الحجاوى ! ولكن زكريا الحجاوى فوجىء ، بمنع إذاعة أعماله الفنية من الاذاعة بقسوة ، ثم فوجىء بفصله من وظيفته بخشونة ! ولأن المصائب لا تجىء فرادى ، فقد انهار المنزل الذى يسكن فيه ولم يستطع رغم كل الجهود التى بذلها العثور على مسكن آخر وربما ادرك زكريا الحجاوى عندئذ أن زمانه قد ولى وأن نهايته قد حانت ، واضطر مرغما الى مغادرة مصر ليجد فى الدوحة على شاطىء الخليج ملجأ امينا . وربما ضاعف من سروره وجود الطيب صالح هناك وفى منصب يشرف فيه على العمل الذى يؤديه الحجاوى . ولكن قلب زكريا الحجاوى لم يحتمل الابتعاد عن مصر ، ورئتيه لم تتعود هواء غير هواء النيل ، فانفجر قلبه فجأة تحت ضغط نفسى هائل . وعاش مريضا عدة اشهر على شاطىء الخليج ، ولكنه لم يتوقف عن كتابة الرسائل لاصدقائه . وفى آخر رسالة كتبها لعبد الله يقول «لم تتغير مصر يا محمود ولكن الذى تغير هم ناسها ، أو بمعنى أصح ، الذين تغيروا هم بعض الناس الذين يطفون على السطح ، والذين يتمتعون بألف وجه ، وهم يقدمون وجها لعبد الناصر ، ووجها آخر للسادات ، ولو ضربة حظ ، أصابتك يوما وأصبحت مهما فى مصر فان هؤلاء الناس ، انفسهم سيرتدون وجها ثالثا لك ، وسيكتشفون عندئذ كم ساهم «برعى السعدنى» جدك فى حضارة مصر الحديثة ، ولأننى صديقك سيكتشفون ايضا كم ساهمت «بهانة الحجاوى» يرحمها الله مع برعى السعدنى جدك ، فى صد الغزو الصليبى عن مصر» !!

وبعدها بأيام أغمض عينيه وأسلم الروح ... بعيدا جدا عن أرض مصر !

وهكذا مات ، أخلص أبناء قهوة محمد عبد الله ، وأعظمهم فنا ، وأكثرهم تأثيرا فى الأجيال التى جاءت من بعده ، فنان الشعب .. زكريا الحجاوى .

محمود السعدنى

وثيقة تاريخية بالغة الأهمية

المسألة الصهيونية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي ١٩٤٣ - ١٩٤٥

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

مقدمة

يعلم القاريء الخاص ان ما كتب عن القضية الفلسطينية ، والحركة الصهيونية ، والصراع العربي الاسرائيلي يشغل حيزا كبيرا فى المكتبة العربية والمكتبة العالمية بمختلف اللغات . وتعكس هذه الكتابات بطبيعة الحال مختلف وجهات النظر بين مؤيدة ومعارضة او بين حيادية زائفة وموضوعية مزعومة ، ذلك انه فى المسائل الخلافية يصعب على الكاتب ان يكون حياديا مطلقا ، أي ان يكون فوق عواطف المختلفين ، او أن يكون موضوعيا بمعنى ان يفصل بين وضعيته الثقافية والعقائدية وبين موضوع الخلاف الذى يتعلق بالضرورة بحركة المصالح البشرية المتناقضة . ولا يعني هذا ان الامل قد اصبح مفقوداً فى الحيادية الفكرية ، او الموضوعية البحثية ، ولكن المعول عليه ان يتغلب دائماً الجانب الموضوعي على الجانب الذاتي باكبر قدر ممكن . وكثيراً ما يلجأ الكاتب الموضوعي الى استخدام الوثائق فى محاولة لاثبات موضوعيته . غير ان قراءة الوثيقة تختلف من كاتب إلى آخر طبقاً لوضعيته الثقافية والعقائدية مما قد يؤثر بدرجة او باخرى على الموضوعية المنشودة .

على كل حال .. فهذه الدراسة التى اضعها بين يدي القاريء العربي تمثل اسهاماً فى دراسة الصراع العربي الاسرائيلي . وهذا الصراع يظل مسالة خلافية فى التاريخ العربي المعاصر بصرف النظر عن الحلول السياسية التى قد ينتهي إليها ، إذ فى هذه الحالة يظل الخلاف منحصراً فى دوائر الاكاديميين شانه فى ذلك شان المسائل التاريخية الخلافية الأخرى التى ما تزال قائمة منذ كانت

وتقوم هذه الدراسة جملة وتفصيلا على مضابط لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الامريكي خلال الفترة من ١٩٤٣ الى ١٩٤٥ ، وهي اللجنة التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم لجنة العلاقات الدولية . وهذه المضابط لم يسمح بالاطلاع عليها إلا فى أواخر عام ١٩٧٦ ، أي بعد اكثر من ثلاثين عاما من حدوثها ، حيث درجت الحكومة الأمريكية على نشر « مختارات » من وقائع اللجان البرلمانية المختلفة بين حين وآخر ، ووفق ما تمليه طبيعة الظروف المتعلقة بالموضوع . وهذا يعني أن الدراسات المتعلقة بالموضوع التى نشرت قبل عام ١٩٧٦ لابد وانها جاءت خلوا من الافادة من هذه الوقائع مما يجعل لدراستنا هذه اهمية خاصة فى دائرة تلك الدراسات .

وكما قلت قبل قليل فهذه الدراسة تقوم اساساً على مضابط لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكي . وبمعنى اخر فهي بمثابة اخراج لهذه المضابط فى شكل دراسة تنقسم إلى فصول ، وتستند الى

● ● المؤرخ العربي الدكتور عاصم الدسوقي ، قام بزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وعكف ـ لأول مرة فى العالم العربي ـ على دراسة وثائق الكونجرس الامريكي حول القضية الفلسطينية فى مرحلة حاسمة بالغة الدقة هى المرحلة الممتدة ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، اى قبل قيام دولة اسرائيل بثلاث سنوات ، وهذه الوثيقة النادرة والبالغة الأهمية تكشف الكثير من جذور المسالة الفلسطينية فى الفكر السياسي الأمريكي ، وسوف تواصل « الدوحـــة » نشر هذه الوثيقة التاريخية الهامة فى الاعداد القادمة ، ونرجو أن تلقى هذه الوثيقة ما تستحقه من الاهتمام والدراسة من المورخين والباحثين والمؤسسات السياسية العربية ● ● « الدوحة »


روزفلت



تشرشل


امين الحسيني


عزرا وايزمان


بن جوريون

هوامش ، ولها ملاحق ايضا من واقع هذه المضابط ، ودون الرجوع إلى مصدر اخر . ومن المعروف لدى الباحث المتخصص ان المضابط البرلمانية اشبه بمطبخ كبير متسع يضم اشياء واشياء ، منها ما يتعلق مباشرة بالقضية المثارة ، ومنها ما يدور حولها ، ومنها ما هو بعيد عنها ـ واسلوب العمل البرلماني لمن خبر التعامل مع المضابط يجعل استخلاص المادة التاريخية من ثنايا المضابط امرا صعبا ، حيث تضم المضابط اسئلة واستفسارات واستجوابات من الاعضاء ، وردودا ورسائل وبيانات مقدمة من المسئولين او من الشخصيات التى تحتم الظروف استقدامها لالقاء اضواء معينة على بعض النقاط . وكثيرا ما تفرض المناقشات الدائرة على المتناقشين ان يذهبوا الى مسائل وقضايا قد تبدو للوهلة الاولى بعيدة عن الموضوع ، ولكنها تفيد ولاشك فى تقصي نقاط معينة من البحث للتعرف على الأصول ، وفى محاولة وصل حلقات سلسلة المادة التاريخية .

وهكذا .. ومن خلال هذه المضابط استطعت ترتيب مادة تاريخية متكاملة اخترت لها عنوان « المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية فى الكونجرس الامريكي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ » ، ذلك ان المناقشة فى لجنة الشئون الخارجية كانت تدور اساسا حول كيفية انقاذ يهود أوربا من يد النازية الألمانية ، ثم فرضت عملية الانقاذ نفسها على الوضع فى فلسطين حيث كانت الحركة الصهيونية تريد فتح ابواب فلسطين لأولئك اليهود . كما قسمت هذه المادة حسب رؤيتي إلى اربعة فصول تمثل مراحل معالجة لجنة الشئون الخارجية للمسالة ، وانزلت جزءا من هذه المادة منزل الهوامش ، وجزءا اخر موضع الملاحق حسب موقع كل منها من الخط الاساسي للدراسة .

وفى النهاية أمل ان يجد القارئ المتخصص فى هذه الدراسة اضافة لما يعرفه من دراسات سابقة فى هذا الميدان ، اما القارئ العام فيتعين ان يتزود مسبقا بالتفاصيل التاريخية الخاصة بالقضية الفلسطينية والحركة الصهيونية والمتاحة فى الكتب المتخصصة وغير المتخصصة حتى يستعين بها على متابعة مناقشات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي .

ولقد اسعدني أن يقرا الدكتور عادل غنيم استاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس واحد المتخصصين فى تاريخ القضية الفلسطينية مسودة هذه الدراسة . وكان للمناقشات التى دارت بيننا اهمية فى ضبط بعض المعاني والعبارات توصلا للكمال ، ولو ان الكمال للـه وحده سبحانه وتعالى وهو ولي التوفيق وعليه قصد السبيل .

د. عاصم الدسوقي

الاقتراب الامريكي من المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية

● حتى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كانت المشكلة الفلسطينية مسألة خاصة ببريطانيا التى كانت تستمد شرعية سياستها من نظام الانتداب الذى فرض على فلسطين فى ١٩٢٢ . ولكن انتداب بريطانيا على فلسطين كان يتضمن من ناحية اخرى الاعتراف « بوعد » بلفور (١٩١٧) ، وما يعنيه من انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وكان هذا الوعد قمة ما وصلت اليه الحركة القومية اليهودية (الصهيونية) التى بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر . ومن هنا كانت السياسة البريطانية فى فلسطين تتارجح بين الالتزام بسياسة الانتداب بمعناه القانونى والالتزام بانشاء الوطن القومى لليهود . ومن الطبيعى ان تؤدى لعبة التوازن الى اغضاب طرفى الموازنة ، خصوصاً وان التناقض بينهما لا يحل الا على حساب احدهما ولمصلحة الطرف الاخر . ومن ثم فقد وجدت بريطانيا نفسها فى مواجهة الحركة الوطنية الفلسطينية التى تتشبث بالوطن وهى تراه يذهب منها الى ايدى المهاجرين اليهود ، وبين الحركة الصهيونية التى تسعى الى ابعاد بريطانيا والانفراد بفلسطين وطناً قومياً لليهود . وعلى حين كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعتمد فى نضالها على مؤازرة الدول العربية والرابطة الاسلامية والحقوق التاريخية ، كانت الحركة الصهيونية تعتمد على ظهير يهودى متغلغل فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية فى بلدان غرب أوربا والولايات المتحدة الامريكية اسهم كثيراً فى اشتداد عود هذه الحركة ، وفى قدرتها على مناوأة السلطات البريطانية فى فلسطين .

ثم جدت ظروف موضوعية ادت الى بروز المشكلة اليهودية ودفعها الى الامام على حساب المشكلة الفلسطينية . ونعنى بها المواجهة التى حدثت بين هتلر عقب اعتلائه الحكم (١٩٣٣) ويهود المانيا والتى حدت بهم الى الفرار من المانيا ، حتى اذا ما اعلن هتلر الحرب العالمية الثانية بهجومه على بلجيكا فى صيف ١٩٣٩ ، وسيطرته على جانب من الدول الاوربية ، تعاظمت مشكلة اليهود وخاصة عندما اعلن هتلر فى ١٩٤٢ ان « الحل النهائى » يتمثل فى القضاء على اليهود . وهنا بدأ المجتمع الدولى تحت ضغط العناصر الصهيونية النشطة يطلب ضم مشكلة يهود المانيا الى مشكلة اللاجئين الدوليين الذين تركوا بلادهم نتيجة تسويات الحرب العالمية الاولى وآثار الثورة الروسية العارمة (١٩١٧) . وكانت ثمة جهود دولية قد بدأت منذ ١٩٢١ لرعاية شئون اولئك اللاجئين كما سوف نرى .

وبعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى فى ١٩٣٦ ، اضطرت بريطانيا الى اعادة تقييم سياستها فى فلسطين حيث انتهى الامر بعقد مؤتمر سانت جيمس بلندن ، واصدار الكتاب الابيض فى ١٩٣٩ الذى قيد بيع الاراضى لليهود فى فلسطين ، وقيد هجرتهم ايضا فى حدود ٧٥ الف مهاجر خلال خمس سنوات تبدأ من اول ابريل ١٩٣٩ . ويشترط ان يتحدد ثلثا هذا العدد وفق الامكانيات الاقتصادية لفلسطين . وبعد هذه الخمس سنوات تكون الهجرة بموافقة العرب ، وكان ذلك يعنى أن تضييق فرص الهجرة امام يهود المانيا (١) .

وإزاء هذه السياسة الجديدة علت موجة من السخط ضد بريطانيا بين الجالية اليهودية فى فلسطين دفعت بهم الى تنظيم دروب للهجرة باساليب مختلفة رغما عن القيود البريطانية . ثم تشددت الادارة البريطانية فى منح تاشيرات الدخول الى فلسطين بحيث صعب حتى على اليهود الذين يستطيعون الهروب من أوربا الحصول على مثل هذه التاشيرات .

وفى الوقت الذى تغيرت فيه السياسة البريطانية فى فلسطين على ذلك النحو ، تصادف ظهور موجة معادية لهجرة الاجانب الى الولايات المتحدة بشكل عام من ناحية ، وعدم رغبة الادارة الامريكية فى ممارسة اية ضغوط على بريطانيا فيما يتعلق بسياستها فى فلسطين من ناحية اخرى .

وكانت الولايات المتحدة قد بدأت فى تحديد الهجرة اليها منذ نهاية الحرب العالمية الاولى بعد ان كانت ابوابها مفتوحة دون قيود . ففى ١٩٢٤ تقرر ان لا يزيد عدد المهاجرين عن ١٥٣٧١٤ مهاجرا سنويا مع اعطاء أولوية خاصة للمهاجرين من بريطانيا والمانيا وايرلندة ودول اسكندنافيا . وبعد الازمة العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) قررت الادارة الامريكية الا تقبل مهاجرين يحتمل ان يكونوا عبئا على الاقتصاد القومى . ومنذ صدور قانون عقد العمل للاجانب فى ١٨٨٥ والذى نص على ضرورة حصول المهاجر على وظيفة او عمل مقدما قبل الاذن له بالهجرة ، انحصرت فرصة الهجرة الى الولايات المتحدة بين الاغنياء القادرين فقط . وعلى هذا فقد انخفض معدل الهجرة الى الولايات المتحدة بشكل ملحوظ من ٢٤١٧٠٠ مهاجرا فى عام ١٩٣٠ الى ٩٧١٣٩ فى عام ١٩٣١ الى ٣٥٥٧٦ فى عام ١٩٣٢ ثم الى ٢٣٠٦٨ فى عام ١٩٣٣ وهو اقل عدد للهجرة منذ ١٨٣١ .

ولقد استمرت هذه القواعد المنظمة للهجرة سارية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، اذ تشير الاحصاءات الرسمية الى ان الذين هاجروا الى الولايات المتحدة خلال المدة من اول يولية ١٩٣٣ وحتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ بلغ ٤٧٦٩٣٠ مهاجرا من جميع بلدان العالم منهم ١٦٥٠٠٠ يهوديا ، بينما النسبة المخصصة لعدد المهاجرين خلال نفس المدة ووفقا للقانون المعمول به كانت تسمح بمليون ونصف مهاجر . وخلال المدة الباقية من الحرب استمرت القيود الادارية فى وجه الهجرة قائمة وذلك بناء على توجيهات بريكنريدج لونج Breckinridge Long مساعد وزير الخارجية لشئون تاشيرات الدخول للولايات المتحدة .

لقد كانت هذه السياسة اذن انعكاسا للشعور المعادى لهجرة الاجانب الى امريكا ، وهو الشعور الذى بدا اكثر وضوحا خلال الثلاثينات بسبب نتائج الازمة الاقتصادية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) ، وما صحبها من ارتفاع فى معدل البطالة بين الامريكيين . وثمة منظمات وطنية نشأت فى المجتمع الامريكى عززت من هذا الشعور المعادى . وبعض هذه المنظمات كان متعاطفا بشكل صريح مع النازية الالمانية . ولم يقتصر الامر على هذه المنظمات ، بل ان فيدرالية عمال امريكا American Federation of Labour (الاتحاد العام للعمال) التى تضم فى عضويتها خمسة ملايين عامل والتى لم تكن تتعاطف مع الشعور النازى ، كانت مترددة تماما فى تشجيع اية خطوات لتعديل قوانين الهجرة بسبب استمرار ارتفاع معدل البطالة بشكل ملحوظ حتى موقعة بيرل هاربور على

الاقل . وحتى فى اعقاب مذبحة كريستالنخت Kristallnacht التى اقامهـــــا هتــــلر لليهود ، كشف استطلاع للراى اجراه ، معهد جالوب (بامريكا) فى نوفمبر ١٩٣٨ ان ٧٧٪ من الامريكيين يرفضون فكرة قبول اعداد متزايدة من اللاجئين اليهود .

ولقد اتضح هذا الموقف المعادى اكثر واكثر عندما رفض الكونجرس الامريكى مشروع واجنر – روجرز Wagner-Rogers فى ١٩٣٩ الخاص بقبول عشرين الف طفل المانى خارج الحصة السنوية المقـــــررة للهجرة (٢) . كما اتضح ذلك ايضا خلال دور الانعقاد السادس والسبعين (١٩٤١ / ١٩٤٢) للكونجرس الامريكى حيث قدم اكثر من سبعين مشروع قرار متشدد بشان الهجرة وتسجيل الاجانب .

وفى اواسط ١٩٤٢ بدات انباء التخلص من يهود اوربا تتسرب الى وزارة الخارجيـــة الامريكية ، فبادرت الوزارة الى حصرها فى حدود ضيقة بحيث لا يعرف بها الا النفر القليل . ولكن سرعان ما طرقت الاسماع انباء « الحل النهائى » الذى توصل اليه هتلر بابادة اليهود . فتكاتفت المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة فيما بينها لتقف يدا واحدة فى مواجهة المناخ غير الودى الذى يسيطر على محاولات انقاذ اليهود . لكن الزعامة اليهودية فى الولايات المتحدة المتمثلة فى الحاخام ستيفن وايز Wise رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference كانت متمنعة فى الجهر بالخصومة مع الرئاسة الامريكية (روزفلت) التى كانت راغبة انذاك عن الدخول فى صراع مع المعسكر المعادى لهجرة الاجانب . ومع ذلك فقد تاثر عدد كبير بالقضية وبدات معالجتها تدخل فى اسلوب المساومات .

وصول العناصر النشطة

ومنذ عام ١٩٤٠ بدات عناصر نشطة من يهود فلسطين تصل الى الولايات المتحدة لتحريك الراى العام الامريكى نحو تفهم قضية يهود اوربا ومساعدتهم .

كان على راس هذه العناصر بيتر برجسون وصموبل مرلين Merlin اعضاء منظمة إرجون زفاى ليومى الصهيونية بفلسطين التى قادت نضالا مسلحا ضـــــد القيود التى فرضتها السلطات البريطانيـــة على هجرة اليهود الى فلسطين .

اما برجسون فكان الاكثر نشاطا (ولد فى روسيا ١٩١٠ وذهب الى فلسطين ١٩٢٠ واسمه الحقيقى كوك Kook) حيث قام بتاسيس مجموعات صهيونية مختلفة فى الولايات المتحدة مثل : الاصدقاء الامريكيون لفلسطين اليهودية American Friends of a Jewish Palestine والعصـــــبة الامريكيـــــــة من اجــــل فلسطين الحرة The American League for a Free Palestine ولجنة اعـــــداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم The Committee for an Army of Stateless and Palestinian Jews ، والمنظمة الصهيونية الجديدة فى امريـــكا The New Zionist Organization of America

ولقد قامت هذه التشكيلات الصهيونية بحملة دعائية ضخمة لصالح قضية يهود اوربا حتى لقد استطاعت فى اواخر ١٩٤٣ ان تحصل على تاييد عدد كبير من اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء الكونجرس الامريكى وبعض اساتذة الجامعات ، وعــــــدد من الشخصيات العامة ، مما شجع برجسون فى النهاية على تاسيس انشط هذه التشكيلات قاطبة فى نيويورك وهى المعروفة باســــم : اللجنة العـــاجلة لانقاذ يهود اوربـــــا Emergency Committee To Save The Jewish People of Europe حيث ضم ويل روجرز وهو نائب الكونجرس الديموقراطى عن ولاية كاليفورنيا ، احد رؤساء مجلسها التنفيذى (٣) . وويل روجرز هذا كان احد اثنين تقدما بمشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ للكونجرس فى نهاية عام ١٩٤٣ بشان انقاذ يهود اوربا على نحو ما سنرى .

ولقد قامت هذه اللجنة العاجلة باعمال ونشاطات كثيرة بحثا عن مؤيدين لقضية انقاذ يهود اوربا من قبضة المانيا النازية بكل الوسائل الممكنة ، من ذلك انها جمعت تبرعات مالية من مختلف الشخصيات الامريكية اليهودية والشخصيات المتعاطفة مـــع الصهيونية . وقد انفقت معظم الاموال فى نشر اعلانات مدفوعة بالصحف الامريكية الكبرى انذاك مثل : التايمز ، والتريبيون ، والتلجراف ، والبوست Post ، والصن Sun حيث كانت هذه الاعلانات تناشد الراى العام الامريكى والمهتمين بقضايا اليهود القيام بشىء تجاه انقاذهم .

كما قامت اللجنة العاجلة ايضا بصياغة التماس عام موجـــــه من « المواطنين الامريكيين » الى الرئيس روزفلت والى الكونجرس الامريكى خلال دور انعقاده . وقد جاء فى هذا الالتماس : « .. اننـــــا نحن الامريكيين الموقعين ادناه ندعوا السلطة التنفيذية والتشريعية لحكومتنا لانشاء وكالة دولية مشتركة خاصة لانقاذ يهود اوربا تكون لها السلطات والوسائل التى تساعدها على العمل فورا وعلى نطاق واسع .. كما نلتمس من حكومتنا بكل الاحترام ان تقوم بتبليغ الحكومة البريطانية التى عهد اليها بالانتداب على فلسطين ، برغبة الامريكيين فى فتح ابواب فلسطين لكل يهود اوربا الذين يفلتون من مصيدة الموت هناك ، وانه ليس من العدالة ان تغلق ابواب فلسطين امام اليهود فقط من بين كل الشعوب . ونحن نهيب بالرئيس الامريكى والكونجرس وهما الامناء على تقاليد امريكا الانسانية ، القيام بهذا العمل فورا » .

وكانت اللجنة العاجلة تهدف الى الحصول على خمسة ملايين توقيع ، واهابت بمن يصل اليه الالتماس ان يقوم بتوزيعه ونشره .

وعندما نوقش برجسون فى جلسات الاستماع فيما بعد (٤) ، عن تعارض هذا الالتماس مع مضمون مشروع قـــــرار الكونجرس (رقم ٣٥٠ / ٣٥٢) قال بوضوح ان هذا الالتماس جزء من جهود اللجنة العاجلة ويختلف عن قرار الكونجرس . فقـــــرار الكونجرس يهدف الى انشاء هيئة امريكية U.S. Commission ، ولكن الالتمـــــاس يهدف الى انشاء وكالة دولية مشتركة لانقاذ يهود اوربا ، وانه يعنى بذلك مطالبة بريطانيا بتنفيذ جوهر سياسة الانتداب التى تقوم على فتح فلسطين لليهود اعتمادا على اعتراف الانتداب بوعد بلفور ، وان هذا كفيل بانقاذ مائة الف او مائتى الف يهودى من اوربا .

ولقد نجحت هذه اللجنة العاجلة فى عرض المشكلة اليهودية على جماهير الشعب الامريكى من خلال البرامج الاذاعية ، والكتب

والدوريات ، والنشرات المختلفة ، فضلا عن الاعلانات المدفوعة بالصحف كما سبقت الاشارة . كما كانت وراء حركة الالتماس الشاملة والمظاهرات السلمية الشاملة ، والمواكب الدرامية لتنظيم الراى العام الذى طالب بالعمل الفورى . وهى التى رتبت قدوم خمسمائة حاخام يهودى الى واشنطون ، وطلبت من الكنائس الامريكية تخصيص اسبوع للصلاة والتماس الرحمة من اجل اليهود . وقد استجابت لذلك النداء ستة آلاف كنيسة . كما بادرت اللجنة بتوجيه الشكر والامتنان الى السويد التى فتحت ابوابها ليهود الدنمرك الهاربين . ونظمت مظاهرة لذلك الغرض فى اول نوفمبر ١٩٤٣ حضرها مبعوث السويد فى الولايات المتحدة واعلنت اللجنة عن هذه المظاهرة فى صفحة كاملة من النيويورك تايمز بعنوان It can be done حضرها جمهور غفير من المؤيدين (٥) . كما كانت اللجنة ايضا وراء حركة الاحتجاجات العامة بشأن تجاهل بيان موسكو (الصادر فى اول نوفمبر ١٩٤٣) الاشارة الى ما يتعرض اليه اليهود من بشاعة على يد النازية .

وحتى بعد تقديم مشروع الكونجرس الخاص بانشاء « هيئة لانقاذ يهود اوربا » وتخصيص جلسات استماع بشأنه على نحو ما يجرى ، وصلت اللجنة العاجلة الى اقتناع بعدم جدوى جهود الكونجرس فى هذا السبيل ، فنشرت اعلانا فى صفحة كاملة بالنيويورك تايمز (٢٤ نوفمبر ١٩٤٣) تقول فيه « ان اللجنة تطلب من الشعب الامريكى معونات مالية جوهرية تساعدها على مواصلة العمل لانقاذها الاربعة مليون يهودى فى اوربا » ، مما ادى الى حرج رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (صول بلوم) الذى يدير جلسات الاستماع (٦) .

ولقد اعلن بيتر برجسون مؤسس اللجنة العاجلة اكثر من مرة خلال الاستماع الى شهادته امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس انه يهدف الى اقامة حكومة معينة فى فلسطين ومستويات معينة من الحياة المدنية هناك ، وان لديه خطة سياسية كاملة لاعادة بناء البلد من جديد من خلال مشروع للدستور تم اعداده (٧) .

ولقد تسببت « اللجنة العاجلة » بنشاطها الواسع المكثف فى وقوع شقاق بينها وبين المنظمات اليهودية الامريكية خاصة وان مؤسس هذه اللجنة « مواطن » فلسطينى ، وليس امريكيا كما سبقت الاشارة . ومن المنظمات الصهيونية فى امريكا التى كانت تعارض اللجنة العاجلة ما يعرف باسم اللجنة اليهودية الامريكية American Jewish Committee التى يرأسها القاضى بروسكاور Proskauer ، والمؤتمر اليهودى الامريكى ويمثله الحاخام ستيفن وايز الذى لم يكن هو ومعه ابا هليل سيلفر يرغبان فى المواجهة العلنية لسياسة الولايات المتحدة المترددة تجاه مسألة اللاجئين (٨) . اما ستيفن وايز فلم يكن يعترف باللجنة العاجلة قائلا انها ليست عضوا فى « المؤتمر اليهودى الامريكى » ، وبالتالى فهى ليست مفوضة من قبل احد ، ولا تمثل الا حفنة قليلة من اليهود وعددا من المسيحيين الذين اصبحوا يهتمون بقضية اليهود واستطاعت اللجنة العاجلة ان تكسبهم لصفوفها (٩) .

ولقد بلغ الصراع بين اللجنة العاجلة وسائر المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة حدا مؤثرا عندما قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس عقد جلسات الاستماع المشار اليها حيث اتصلت بعض الشخصيات الامريكية الصهيونية برئيس اللجنة طالبة منه عدم عقد الجلسات احباطا لخطط اللجنة العاجلة .

مشكلة يهود اوربا

وقبل ان يدخل الكونجرس الامريكى فى موضوع انقاذ يهود اوربا بشكل تشريعى ، كانت الحكومة الامريكية قد ارتبطت بالمشكلة من خلال جهود عصبة الأمم لتوطين اللاجئين الدوليين ، وهم العناصر التى ارغمت على ترك ديارها لسبب او لآخر من جراء الحرب العالمية الأولى . ثم ما حدث من محاولات لكى تمتد هذه الجهود لتشمل يهود اوربا الذين بدأت اوضاعهم تتأثر بسياسة هتلر فى المانيا وسائر الدول التى وقعت تحت سيطرته خلال الحرب العالمية الثانية .

ففى ١٩٢١ انشأت عصبة الأمم منظمة نانسن لمعاونة اللاجئين Nansen Organization for help to refugees وكانت مهمتها تنحصر فى اعادة توطين الذين فقدوا اوطانهم بسبب الحرب العالمية الأولى . ولما كانت المصادر المالية لهذه المنظمة محدودة الى حد ما ، فلم يكن فى مقدورها اكثر من اصدار جواز سفر دولى صالح لمدة عام واحد لكل لاجىء ، فضلا عن تشجيعها للدول العصبة على المشاركة فى مشروعات اعادة التوطين . وبينما استطاعت منظمة نانسن تخفيف بعض مصاعب هؤلاء اللاجئين الا انها عجزت عن مواجهة مشكلات الهاربين من المانيا والنمسا وكانت اعدادهم فى ازدياد مستمر . ولهذا فقد انشأت عصبة الامم فى ١٩٣٣ مكتبا خاصا بلاجىء المانيا باسم Autonomous Office of High Commissioner for Refugees from Germany لكنه لم يقدم الا مساعدات محدودة .

ومما جعل اعادة توطين اللاجئين شيئا مستحيلا ، موقف دول عصبة الأمم التى اغلقت ابواب بلادها امام قبول مهاجرين اليها بسبب المصاعب الاقتصادية التى كانت تعانيها هذه الدول من جراء استمرار الكساد العالمى احيانا ، وبسبب الشعور المعادى لليهود خفية او علانية وخاصة بين دول امريكا اللاتينية التى كانت قد اقترحت كأماكن لتوطين المهاجرين . وفى مارس ١٩٣٨ دعا وزير الخارجية الامريكى (كورديل هال Hull) بتوجيه من الرئيس روزفلت ، الى عقد مؤتمر دولى لبحث مشكلة اللاجئين . وقد انعقد هذا المؤتمر فى يوليه ١٩٣٨ تحت رعاية فرنسا فى افيان بجبال الالب حيث اشتركت فيه ثلاثون دولة . وفى تلك الاثناء كانت المانيا قد ابتلعت النمسا وضمتها الى الرايخ الكبير ، فبدأت اعداد المهاجرين تطرق بشدة ابواب سائر الدول الاوربية .

ولقد اثبت هذا المؤتمر (مؤتمر افيان) عبث المحاولات المطروحة لحل المشكلة . فالوفد الامريكى كان يصر على عدم تجاوز الحصة المخصصة سنويا للهجرة الى الولايات المتحدة (لا تزيد عن سبعة وعشرين الفا من المانيا والنمسا) ، والتزمت بريطانيا بما جاء فى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ معترضة على الهجرة الشاملة لفلسطين . ثم فكر المؤتمرون فى استخدام امريكا اللاتينية

لهذا الغرض لكن باءت المحاولات بالفشل لوجود اقليات في تلك البلاد تعمل لصالح المانيا النازية .

وعلى هذا انتهى مؤتمر افيان الى نتيجة محددة وهي انشاء اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين Intergovernmental Committee on Refugees (IGCR) وتضم الدول التي ترغب في المشاركة (١٠) وقد كان لهذه اللجنة مجلس تنفيذي في لندن وانحصرت مهمتها في الاشخاص الذين يفرون من المانيا والنمسا ، ولم يناقش المؤتمر مصادر تمويل هذه اللجنة بشكل رسمي حيث تركت كمنظمة تطوعية بحتة . ولهذا فقد بقيت تلك اللجنة لا حول لها ولا قوة ، بل كان وجودها برهانا على عجز الدول المشاركة فيها عن عملية انقاذ يهود أوربا .

وفي نهاية ١٩٤٢ عندما تناقلت الانباء عمليات « ابادة » اليهود في المانيا وفي الدول الأوربية التي خضعت لها ، بادرت جماعات مختلفة لممارسة ضغوط اعلامية توصلا لاجراءات حاسمة . ومن ذلك ما قامت بـ « اللجنة العاجلة » كما سبقت الاشارة . كما تعرضت بريطانيا لانتقادات شديدة بشأن سياستها في تحديد الهجرة الى فلسطين ، ادت في النهاية الى ان دعت بريطانيا لعقد مؤتمر انجلو ـ امريكي بشأن اللاجئين برعاية اللجنة الدولية المشتركة المحبطة . وقد انعقد المؤتمر بالفعل في هاملتون في برمودا حيث احيط بسرية تامة حتى لا تتسرب الى الخارج اى خطط يتم التوصل اليها بشان المشكلة كما زعم بذلك المؤتمرون . على ان هذا المؤتمر انتهى بالفشل ايضا حيث تمسكت كل من انجلترا والولايات المتحدة بسياستهما تجاه الهجرة كما سبق اعلانها . وكان هذا الفشل بمثابة « احياء » لـدور اللجنة الدولية المشتركة على الرغم من كونها اصبحت عديمة الجدوى من الناحية الواقعية .

مطالب المنظمات الصهيونية

وبعيداً عن اللجنة الدولية المشتركة كانت للولايات المتحدة جهود خاصة « لانقاذ » اليهود لعبت الدور الأساسي فيها وزارة الخارجية من خلال القنوات الدبلوماسية المباشرة قبل دخولها الحرب ، واستمرت بعد دخولها الحرب بطرق اخرى غير مباشرة .

فقبل ان تدخل الولايات المتحدة الحرب ذهب وفد لمقابلة بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الامريكي (١١) ، يمثل حاخامات اليهود في مناطق ليتوانيا وشمال بولندة وشمال شرق المانيا وشرق بروسيا قائلين له : إن بهذه المناطق عدداً من الحاخامات والمدارس اليهودية والعناصر التي تمثل خلاصة العقيدة اليهودية ، وهم يقومون على تربية النشء اليهودي بما يحفظ على الشعب اليهودي عقيدته ، ويطلبون من الخارجية الامريكية تقديم المساعدات اللازمة . وفي هذا الخصوص قدم هذا الوفد للمستر لونج قوائم بالاف الاشخاص المراد انقاذهم في تلك المناطق .

وقد أرسلت الخارجية الامريكية لسفارتها بموسكو هذه القوائم لكي يقوم السفير بالاتصال بكل اولئك الاشخاص واخطارهم بالحضور للسفارة للحصول على تاشيرة دخول لامريكا .

ونظرا لتعقد اجراءات الاقامة في موسكو لهؤلاء الناس انتظارا لتاشيرة الدخول وفقا للتعليمات المتبعة في الاتحاد السوفيتي ، إذ لم يكن من حقهم المبيت في موسكو ، فكان عليهم أن يخرجوا بالقطار إلى الحدود عند المساء ثم يعودوا مع الصباح وهكذا .. مما ترتب عليه في النهاية أن عدداً بسيطا تمكن من الحصول على التاشيرة اللازمة . اما الباقي فقد ذهب إلى سيبيريا ومنها إلى كوريا ثم منشوريا ثم إلى اليابان ، ووصل بعضهم إلى الولايات المتحدة . ثم ابرقت الخارجية الامريكية إلى سفارتها في اليابان وفي الصين باسماء من تبقى من القوائم لاعطائهم التاشيرة إذا ما كانوا باليابان او الصين .

فلما دخلت الولايات المتحدة الحرب بعد قصف بيرل هاربور ، توقفت خطوط الملاحة في المحيط الهادي ، ولم يعد هناك مفر من بقاء هؤلاء المهاجرين في طوكيو حيث سمحت لهم الحكومة اليابانية بالبقاء بضعة شهور ثم امرتهم بمغادرة البلاد ونقلتهم السلطات اليابانية بمعرفتها إلى شنغهاي .

ولقد وضعت الخارجية الامريكية في برنامجها الخاص باللاجئين القيام بالمحاولات الممكنة لاستقدام عشرين الف طفل يهودي من المانيا عن طريق السويد . وتحقيقا لذلك طلبت من الحكومة السويدية أن تتصل بالحكومة الالمانية لكي تسمح لها (السويد) بالاتصال ببعض المؤسسات الخيرية في المانيا لهذا الغرض وتنقلهم إلى الأراضي السويدية . وقد تعهدت امريكا بالمشاركة في نفقات الاقامة والايواء اللازمة لهذا العدد . غير ان الحكومة الالمانية لم تستجب لهذا الطلب رغم استمرار اتصالات الحكومة السويدية .

كمـا ان الخارجية الامريكية ساعدت اللجنـة اليهودية المشـتركة لشئون التوزيع Jewish Joint Distribution Committee في مهمة ارسال الطعـام اللازم لهؤلاء الصـبية من خلال تركيـا وبواسطة الصليب الاحمـر الدولي في ترانزنستريا Transnistria (وهو اقليم اقتطعه الالمان من اوكرانيا بهذا الاسم) ، ولو ان الحصار الذي فرضته المانيا على المناطق التي احتلتها كان يحول دون سهولة مثل هذه الاجراءات .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان الخارجية الامريكية ساعدت المنظمات الصهيونية في امريكا على ان تتقدم بطلبات لوزارة الخزانة الامريكية للسماح لهذه المنظمات بارسال الاموال اللازمة عن طريقها الى سويسرا لاستخدامها في اخراج اليهود من فرنسا ورومانيا . وكانت الطريقة التي اتفق عليها تتلخص في أن يودع يهود رومانيا القادرين اموالا كافية في اي بنك روماني ، ثم يسحبون من ودائعهم بالفرنك السويسري المحول ، وبعد ذلك يسهل تحويل الفرنك السويسري إلى الدولار . وبهذا يكون مع يهود رومانيا من الأموال ما ما يكفى لنفقات خروجهم من رومانيا إلى سويسرا إذا ما سمحت لهم السلطات الالمانية بذلك ، او يذهبون الى تركيا ، او يتم اخراجهم من رومانيا باية طريقة أخرى إلى البحر الاسود ومنها إلى فلسطين . اما يهود فرنسا فيمكنهم الخروج من خلال اسبانيا بنفس الطريقة السابقة في ايداع الأموال .

وبالاضافة الى هذا فقد دخلت الحكومتان الامريكية والبريطانية في مشروع يهدف إلى اخراج عدد من اللاجئين من البلقان إلى فلسطين عن طريق تركيا . ولقد تمت مناقشة هذا الامر في مؤتمر برمودا على اساس تاجير مركبين ببحران من احـد الموانىء على البحر الاسود الى تركيا ومنها الى فلسطين مباشرة . واتفق على ان ينقل هذان المركبان فيما بينهما خمسة الاف طفل يهودي . وكانت المسالة مكلفة للغاية . إذ كانت الرحلة الواحدة

تتكلف نصف مليون دولار . وقرر البيت الأبيض تخصيص ثلاثمائة الف دولار لدفع ما يخص الحكومة الامريكية من اجمالي النفقات (نصف التكاليف حسب الاتفاق) . لكن الخطة فشلت لأن المانيا علمت بها ومنعت رومانيا من المشاركة فيها باي شكل من الاشكال .

وعندما وصلت الأنباء إلى المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة بان السلطات التركية تمنع دخول اليهود الهاربين من اوربا إلى أراضيها ، طلبت إحدى هذه المنظمات (وهي لجنة اعداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم والتى أسسها برجسون كما سبقت الاشارة) من وزارة الخارجية السماح لأحد اعضاء المنظمة وهو إيرا هيرشمان Ira Hirschmann (نائب مدير محلات بلومينجدال إحدى المحلات الكبرى في نيويورك) بالذهاب بنفسه إلى تركيا ليتاكد من مدى صدق هذا الأمر . وقد منحته الوزارة جواز سفر خاص لهذا الشأن حيث ادى مهمته بنجاح في ازالة العقبات التى تحول دون تدفق موجات اليهود المهاجرة .

وعند ذلك طلبت المنظمات اليهودية الأخرى التى لها ممثلون في تركيا من وزارة الخارجية الأمريكية ان تسمح لها بارسال مندوبين لنفس الغرض . لكن الوزارة رفضت قائلة لهم إن من الأفضل ان تتفق كل المنظمات على وكيل واحد لها يباشر هذه المهمة وذلك مراعاة لأوضاع العمليات الحربية .

ولو أن السفير الأمريكي في تركيـا وهو يهودي (واسمه شتينهاردت Steinhardt) شهد بان السلطات التركية لم تمنع دخول المهاجرين إليها ، ولكن القوات الالمانية مع البلغارية كانت تحرس الشواطىء البلغارية وتمنع الدخول والخروج .

كما أن إحدى المنظمات الصهيونية اتصلت بالخارجية الأمريكية طالبة الحصول على ترخيص من وزارة الخزانة لارسال بعض الأموال إلى سويسرا لتكون تحت تصرف اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وعندما تحين الفرصة يمكن استخدام هذه الأموال لتوفير الطعام اللازم لبقايا اليهود الذين كانوا ما يزالون في اجزاء من تشيكوسلوفاكيا وبولندة من خلال الصليب الاحمر الدولي . فوافقت وزارة الخارجية بشرط الاطمئنان الى سرية العملية بين اللجنة الدولية المشتركة والصليب الاحمر دون علم الحكومة الالمانية حتى لا تقع في ايديها الأموال والاغذية . ولقد اوضحت تلك المنظمة أن العملية كلها قد تتكلف عشرة ملايين دولار، وانها سوف تضع مبدئيا مليونين تحت حساب العملية ، وترسل فقط ٢٥٠ الف دولار كدفعة اولى إلى سويسرا . وتحقيقا لهذا قامت الخارجية الأمريكية بتحويل طلب المنظمة الى الخزانة ، وحدث أن اشتركت الحكومتان الامريكية والبريطانية في التكاليف الاجمالية حيث دفعت كل منهما اربعة ملايين دولار . واما المليونان الباقيان فقد اسهمت بهما المنظمات اليهودية والعناصر المتعاطفة داخل الولايات المتحدة

ولم يقتصر الامر على الاسهامات المادية بل ان الحكومة الأمريكية كثيرا ما كانت تعرب عن شعورها المتعاطف مع مشكلة اليهود . فعندما فتحت السويد ابوابها ليهود الدنمرك استدعى لونج (مساعد وزير الخارجية) السفير السويدي لمقر الوزارة وقال له : « اود أن اعبر لك عن شكر الحكومة الأمريكية وتقديرها العميق لاسهامكم في قضية اللاجئين بفتح ابواب بلدكم لهؤلاء المساكين . وإذا كان هناك اي شيء يمكننا القيام به في هذا الخصوص سوف يسعدنا المشاركة متى ابلغتمونا بذلـك » .

ومع ان الولايات المتحدة لم تكن طرفا في مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) الذى قرر انتداب بريطانيا على فلسطين ، إلا انها عقدت معاهدة مع بريطانيا فيما بعد (١٩٢٤) ليكون لها حق حماية حقوق الرعايا الامريكيين في فلسطين . ومن هنا اعلن مستر لونج ان الحكومة الأمريكية لاتتجاهل ما يحدث في فلسطين ولا يصح ان يقال انها لا تهتم بالقضية المثارة . بل هي على العكس من ذلك في اهتمام متزايد على أساس مسئوليات الأمن والسلام العالمي والحقوق الانسانية وما تتضمنه هذه المبادىء من شعور ديني وانساني .

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثاني في العدد القادم

الهوامش :

(١) كانت فعالية الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ فيما يتعلق بهجرة اليهود الى فلسطين تنتهى في ٢١ مارس ١٩٤٤ . ولكن وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى حالت دون اتمام هجرة العدد المستهدف صرح الكولونيل اوليفر ستانلى وزير المستعمرات البريطانى في البرلمان يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ مد العمل بالكتاب الابيض دون ان يضع تاريخا محددا . غير ان مناقشات البرلمان البريطانى التى دارت في اعقاب تصريح ستانلى اثبتت انه لم يكن في نية السلطات البريطانية ادخال اى تعديل على الأحكام الخاصة بالقواعد الشرعية التى يخضع لها المهاجرون اليهود . وكل ما فعله التصريح انه مد اجل العمل بالكتاب الابيض حتى يمكن الانتهاء فقط من تهجير الخمسة وسبعين الف يهودى المتفق عليهم سلفا . وبناء على مضمون تصريح ستانلى الذى نشرته النيويورك تايمز في حينه ، اثار صول بلوم Sol Bloom نائب الكونجرس عن نيويورك (ديمقراطى) موقف بريطانيا هذا . (انظر هامش رقم ١٧ من الفصل الثاني ، وايضا ص ٣٤ من نفس الفصل) .

(٢) كان مشروع قانون واجنر – روجرز (نسبة الى روبرت واجنر واديث نورز روجز من الحزب الجمهورى) يسمى بمشروع قانون الطفل اللاجىء . ويقضي بقبول عشرة الاف طفل كحد اقصى داخل الولايات المتحدة في ١٩٣٩ ، وعدد مماثل في ١٩٤٠ خارج الحصة المسموح بها في نطاق نظام الهجرة المعمول به انذاك . وقد تمت مناقشة التشريع المقترح في ابريل – مايو ١٩٣٩ . ولكن الضجة التى اثارتها مختلف المنظمات الوطنية ضد المشروع ادت الى انه لم يتلق اية مساندة من السلطة التنفيذية . ثم اعيد المشروع في اول يولية ١٩٣٩ ببعض تعديلات تقول ان العشرين الف تاشيرة دخول التى تصدر لهؤلاء الاطفال تكون من النصيب المخصص للهجرات الالمانية الى الولايات المتحدة وليس زيادة عليها . وعندئذ سحب السناتور روبرت واجنر المشروع لان هذا التعديل يؤدى الى حرمان الافراد البالغين الهاربين من المانيا من فرص دخولهم إلى الولايات المتحدة .

(٣) سوف نشير الى هذه اللجنة في ثنايا البحث بعد ذلك باسم « اللجنـــة العاجلة » على سبيل الاختصار . اما المجلس التنفيذى لهذه اللجنة فكان يتكون من كل من :

الرؤساء : بيتر برجسون ، ولويز بروفيلد ، ودكتور ماكس ليرنر ، وبن هيخت ، وويل روجرز (النائب الديمقراطي) ، ومدموازيل سيجريد اوندست Sigrid Undest .

نواب الرئيس : دين الفانج Alfange ، ووليام بينيت Bennet وكونراد بركوفيشى Bercovici وجو دافيدسون ، واوسكار اهيرهورن Ehrohorn ووليام هليز Helis ، والبروفيسور فرانسيز مكماهون ، ودين جورج ماتيسون Matheson ، وهربرت مور Moore وفليتشر برات Pratt ، وهدانى رافائيل ، وليزا سيرجيو ، واندرو سومرز (عضو الحزب الجمهورى) ، ودكتور موريس وليام .
امانة الصندوق : وتتولاها مدام جون جنتر Gunther

الاعضاء : ستيلا ادلر ، و ج . اميل Amiel وال بووير Al Bauer ، وبن عامى Ben-Ami وبن اليعازر ، وبيرشن Berchin ، والحاخام بوكستابر ، والاسقف جيمس كانون ، وليستر كوهين وبابيت دويتش Babette Deutsch ، وصمويل ديكشتين (عضو الحزب الجمهورى) ، وناثان جورج هورويت Horwitt ، وجابوتنسكى ، وروز كاتير ، واميل لينجيل Lengyel ، وليبشوختز Lipschutz ولورنس ليبتون ، واميل لودفيج ، وادوارد مارتن (محافظ ولاية بنسلفانيا) ، وهوارد مكجرات (محافظ ولاية رود ايلند Rohad Island) ، وصمويل مرلين ، وميتشيل نوتر ، وفيكتور رانفر ، وكورت رايس ، وشريدها رانى ، وجوهان سمرتنكو ، وارثر سيرايت ، وارفنج تابتل ، وتوماس واطسون ، وجابرييل ويخزلر Wechsler ، والكس ويلف .

(٤) الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٤٣/١١/٢٢ من جلسات الاستماع .
(٥) نفسه .
(٦) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٤ .
(٧) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٣ .
(٨) نفسه .
(٩) جلسة ١٩٤٣/١٢/٢ .

(١٠) سوف نشير الى هذه اللجنة فى الصفحات التالية باسم «اللجنة الدولية المشتركة» وذلك على سبيل الاختصار . ولقد بلغ عدد الدول المنضمة اليها فى نهاية ١٩٤٣ اثنان وثلاثون دولة هى : الولايات المتحدة ، والارجنتين ، واستراليا ، وبلجيكا ، وبوليفيا ، وانجلترا ، والبرازيل ، وكندا ، وشيلى ، وكولومبيا ، وكوبا ، والدنمرك ، وجمهورية الدومينكان ، واكوادور ، وفرنسا ، وهايتى ، وهندوراس ، وايرلندة ، والمكسيك ، ونيكارجوا ، والنرويج ، ونيوزيلندة ، وبارجواى ، والاراضى المنخفضة ، وبيرو ، والسويد ، وسويسرا ، واورجواى ، وفنزويلا . ثم وجهت الدعوة الى سبع عشرة دولة اخرى للانضمام .

(١١) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ القى لونج بيانا طويلا استغرق القاؤه ومناقشته اربع ساعات ونصف فى جلسة استماع بمعرفة لجنة الشئون الخارجية للكونجرس . وقد شمل هذا البيان سياسة الولايات المتحدة تجاه المهاجرين وقوانين الهجرة واللجنة الدولية المشتركة .

قصيدة إلى الشاعر أمل دنقل

« ... اليه فى فراش مرضه »

شعر الدكتور نصار عبد الله

الأرض لم تزل تدور والأيام
وأنت لا ينقذك الصمت ولا يقتلك الكلام !
عام يمر إثر عام
منذ أتيت من جنوب مصر .. شاهرا
نصل حسام الشعر .. ملقيا
على قلوبنا اللعنة والسلام ..
وهائما بين دروب هذه المدينة التى
يكسو رموشها الضوء وقلبها الظلام

• • •

صاحبت من صاحبت فى قوافل الزحام
خاصمت من خاصمت
رميت ما رميت من سهام
حوصرت بين الصمت واجتراع كاس الموت
بين انحناء الهام واحتساء السم فى موائد اللئام
(وكنت دائما
تخرج سالما
مرتفع الهامة ممشوق الحسام)

• • •

الكون لم يزل يدور والأيام
هذا زمان تستطيل فيه قامة الأقزام
ويسقط الكرام
إلاك يا مستندا الى جدار قلبك النبيل
حين تراع النفس أو تميل
وحينما تزعزع الأقدام

• • •

هانتذا تنـــام
مبتسم وساخر ، حتى وأنت فى فراش الداء والسقام
فذلك الذى يقر فى العظام
موقعة من الخصام
وأنت لم تزل تمتشق الحسام
والأرض لم تزل تدور والأيام

الشيخ رفاعة الطهطاوي

بقلم : فتحي رضوان

العمامة الثانية فى تاريخ مصر الحديث ، هى عمامة رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى كان ازهريا ، نشا فى رحاب الأزهر ، وتتلمذ على شيخ من شيوخه ، هو شيخ الأزهر الأكبر حسن العطار ، الذى كان بدوره ، رائدا ، وداعيا الى عهد جديد ، وفكر حديث ، ومنهج فى الحياة والحكم ، يختلف كثيرا عما كان عليه الحال ، حتى شب هو عن الطوق ، وفرغ من طلب العلم فى طهطا ، موطنه ومسقط راسه ، وفى القاهرة موئل الأزهر الشريف . فرفاعة الطهطاوى لم يكن مجرد رجل علم ، ولم يكن بشيراً باسلوب لا عهد للناس به ، وإنما كان فوق ذلك ، قائد الجماعة التى آمنت بهذا العهد الجديد ، وعملت على اخراجه الى حيز الوجود ، وبنته بيديها لبنة لبنة ، وملأت عقول وقلوب الناس بمبادئه وافكاره .

ولد رفاعة الطهطاوى فى عام من اخطر اعوام تاريخ مصر الحديثة ، ونعنى به عام ١٨٠١ م ، الذى غادرت فيه جنود الحملة الفرنسية التى قادها القائد الفرنسى الفذ نابليون بونابرت ارض مصر وبذلك يكون رفاعة قد استقبل الحياة ، فى حين استقبلت مصر دوراً عظيم الشان بعد ان رات لأول مرة ، صوراً من أوروبا وحضارتها ، وقوتها العسكرية والعلمية ، واسلوب حياتها وطرائق نظمها ، راتها غازية فاتحة ، وراتها مجددة فى حياة المصريين ، ومغيرة لكثير من قواعد حياتهم ، وراتها بعد ذلك محاربة تنتصر وتنهزم ، وتشتد وتلين ، حتى جمعت متاعها ، ولملمت سلاحها وعتادها ، ورحلت عن ارض الكنانة مهزومة فى الظاهر ، منتصرة فى الواقع ، إذ انها بذرت من البذور ما بقى فى تربة مصر اجيالا .

وقد شاء القدر ان يوافى رفاعة رافع الطهطاوى ، بداية الحياة ، والفرنسيون يتركون مصر ، وصفحات من تاريخ مصر ، تبدا وتتوالى ، فى تلاحق رهيب ، اشبه شىء بوقائع قصص المغامرات وقصص العجائب .

ولـد رفاعة الطهطاوى ، كما يدل اسمه فى «طهطا» ، وهى قرية فى اقصى الصعيد لم يكن فيها من معاهد العلم ، ولا اساتذته من يمكن ان يفتح لرفاعة الغلام ، ابواب المعرفة ، التى احبها فيما بعد ونهل منها ، ما جعله قادراً على ان يؤدى دور الامام والرائد والمجدد والمؤلف والمترجم ، فاداها جميعا فى كفاية واقتدار واخلاص ، بحيث اصبح الأستاذ والمربى الحقيقى لكل من ساهم فى نقل مصر ، من القرون الوسطى الى العصر الحديث ، وكل من نبه اذهان شباب مصر الى المعانى الجديدة التى اصطنعتها الامم فى أوروبا ، وعضت عليها بالنواجذ ، من مثل الحرية السياسية للشعوب ، والمساواة بين



مجموعة من العمائم التى اثر اصحابها فى التاريخ الحديث لمصر والوطن العربى كله

المواطنين ، والاقبال على العلم الوضعى الحديث ، الى جانب علوم الدين ، وإدراك ان للمراة دوراً غير دور الأم التى تعيش فى البيت ، تنشىء اطفالها ، وتعنى بصحتهم ، دون ان تدرى شيئا ذا بال عما يجرى فى الدنيا ، من امور الحكم والسياسة .

ولكن كل انسان ميسر لما خلق له ، فرفاعة اضطرته حياته ، وهو بعد صبى صغير ، أن يترك طهطا ، وان يرحل مع ابيه الى قرى اخرى فى الصعيد مثل قنا وفرشوط ، راكبا حمارا حينا ، سائرا على قدميه حينا آخر ، فقد دفعت الضائقة المالية اباه ، الى ترك بلده ، بحثا عن الرزق ، فتفتحت نفس رفاعة على مجتمعات غير قريته ، وعرف معنى الضيق ، ومعنى التماس الرزق بالسعى والداب ، فلما بلغ السادسة عشرة من عمره ، سافر الى القاهرة ، فى رحلة نيلية شاقة ، استنفدت من الزمن ، على سطح النيل ، فى مركب بدائية ، اسبوعين انهكت جسده ، ولكنها عوضته عن ذلك ان راى مدن النيل الكبرى واحدة واحدة ، فعرف وطنه ، واحبه واشتد عوده ، فلما وصل الى القاهرة تلقفه اخواله ، وهم جميعا طلبة علم فى الازهر ، وشيوخ دين وقد حفظ لنا التاريخ اسماءهم : فراج وابو الحسن ومحمد الانصارى . ولكن الذى تولى عقل (رفاعة) بالتهذيب والصقل لم يكن اخواله ، بل كان عالما من علماء ذلك العصر الافذاذ ، هو الشيخ حسن العطار ، الذى كان حبه للعلم ، وتوقه للمعرفة ، ورغبته فى الوقوف على كل حديث وطريف ، قد اهله ليكون زعيما من زعماء الفكر فى تلك الأيام ، وقد كان من ثمار حيويته ، وقوة شخصيته ، رفاعة رافع الطهطاوى ، فقد كان مدينا له بكل التقدم الذى حققه فيما بعد : رعاه وهو طالب فى الأزهر ، وحبب اليه الأدب ،

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث

والقراءة فى مختلف الفنون ، وتحدث اليه فى شئون الوطن ، وفيما آل اليه الاسلام ، فاخرجه من نطاق التقليد الى فريق المجددين . وقد نجح حسن العطار فى اقناع (محمد علي) والي مصر ، بتعيين (رفاعة) إماما فى الجيش ، ولما قرر الوالى ايضاً أن يوفد عدداً من شباب مصر الى باريس عام ١٨٢٦ م ، عاد (حسن العطار) فزين لمحمد علي ان يجعل لهؤلاء المبعوثين إماما ، يبصرهم فى باريس الهائجة المائجة ، وأن يكون رفاعة هو الامام فاقبل على دراسة العلوم المقررة على طلاب البعثة ، باكثر مما اقبل طلاب البعثة نفسها ، فبدأ باتقان اللغة الفرنسية ، وبها قرأ التاريخ والجغرافيا والادب ، فلفت بهذا الاجتهاد نظر رئيس البعثة الفرنسى ، الذى احبه وشجعه وسعى فى تحويله مترجماً ، ينقل الى العربية ما تحتاج اليه القوة الجديدة الناشئة ، قوة الجيش ، من علوم عسكرية وهندسية وطبيعية وكيمياء ، فدرس كل تلك العلوم ، كما درس الى جانبها الفلسفة وعلوم الاجتماع ، ولكن الذى زاده علماً ، وزاد شخصيته اتساعاً ، انه لم يكن يقرأ فقط ، وإنما كان يقرأ وينظر الى ما حواليه ، فيفهم جميع الأنظمة التى تكونت منها فرنسا ، فعرف ما هو الدستور وما هى الانتخابات وما هما المجلسان اللذان يكونان السلطة التشريعية ، وكيف تجرى الانتخابات ، وكيف تصدر الصحف وراقب المظاهرات التى تجرى فى الشوارع واهتزت نفسه للهتافات التى كانت تصدر عن الحناجر ، ومعناها ، ورأى فى بعض الأحيان ، جنود الشرطة يحيطون بالمتظاهرين ، وينهالون عليهم ضرباً ، وعلى جموعهم تفريقاً ، ثم يرى فى اليوم التالى اثر ذلك ، فى مقالات المحررين الذين ينهالون بدورهم على الحكام الذين قمعوا المظاهرات ، وضاقوا بطلبات المتظاهرين ذرعاً ، لوماً وتقريعاً بعبارات حادة .

كل ذلك خلق من (رفاعة) انساناً آخر ، عرف الأدب الفرنسى ، وبصفة خاصة الأدب السياسى ، وعرف التاريخ وتطورات الدولة الفرنسية ، فى عهود الطغيان وعهود التحرر ، فعاد الى مصر سنة ١٨٣١ م ، وقد امتلأت نفسه بالأفكار ، واحتدمت فيها الرغائب والطلبات ، وجاشت بآمال التطوير والتجديد ، بلا اندفاع ولا طيش .

ومما يدل على نضجه ، ان أولى بواكير اعماله ، انه انشأ (مدرسة الألسن) فى سنة ١٨٣٦ ، وعينه الوالى ناظراً لها ، فكأنه عينه ناظراً على مصر الحديثة كلها ولم يكن هدف (رفاعة) من هذا المعهد ، الذى أصبح عتيداً وعريقاً ، أن يخرج مدرسين ، بل هدف منه الى تخريج طائفة أعمق اثراً ، ونعنى (المترجمين) ولم تنقض سوى عشر سنوات ، حتى تخرج فى هذه المدرسة ، مائة مترجم ، يساوون كتيبة كاملة ، من المعلمين ، والرواد ، والمجددين وراح هؤلاء يصلون الليل بالنهار ، وهم يترجمون فى كل فن وعلم ، كتباً ومراجع تعد أمة كاملة ، فقد ترجمت هذه الطليعة الفى كتاب ، وكان (رفاعة) يراجع كل ما يترجمه افراد هذه الكتيبة .

وكان (رفاعة) قبل تعيينه رئيساً لمدرسة الألسن ، قد اشتغل مترجماً فى مدرسة الطب ، والمدفعية ، وكان الذين يدرسون هذه العلوم فرنسيين ، ويترجم لهم سوريون ، بلغة عربية ركيكة ، فقام رفاعة وتلاميذه ، مقام هؤلاء المترجمين ، فاستقامت اللغة العربية ، والف هو كتباً منها كتاب عن (الجغرافيا) .

ولما انشأ محمد علي سنة ١٨٣٤ (مدرسة الادارة) التى كانت نواة مدرسة الحقوق ، انضم رفاعة الى هيئة التدريس فيها ، والغيت مدرسة الادارة ، وحلت محلها فى سنة ١٨٣٦ مدرسة (الألسن) الأم الحقيقية لمدرسة الحقوق ، المعهد العظيم الذى اتسعت رحابه للدراسة القانونية ، والدراسة الادبية ، وللخطابة كما ادمجت فيها مدرسة التاريخ والجغرافيا ، وكانت اللغات التى تدرس بها هى الفرنسية والتركية والفارسية والايطالية والانجليزية ، وقد كان تلاميذ هذه المدرسة يترجمون من اللغات الاجنبية كتب العلوم التى يدرسونها ويقوم الأساتذة بتنقيح هذه الترجمة ، ثم يطبع فى كتاب ، وبذلك كانت الترجمة أساس النهضة العلمية التى قام على تأسيسها رفاعة الطهطاوى ، ولذلك كان طبيعياً ان يصبح اسم هذه المدرسة نهائياً (مدرسة الالسن) ، وقام رفاعة بنفسه بتدريس اللغات والادارة والشريعة والقانون الفرنسى .

وقد شابت حياة رفاعة ، شوائب الألم والحزن ، ليكون مثالاً كاملاً للمجاهد من اجل رسالة ، فقد جاء الى حكم مصر ، الخديو عباس الأول ، وكان ضيقاً بنهضة المدارس والمعاهد ، فاغلق المدارس جميعاً بما فيها مدرسة الألسن ، ونقل رفاعة الى السودان ليشاهد كيف تتحول المعاهد التي انشئت إلى خرائب بغير ذنب ارتكبه ولم ينى (رفاعـــة) ولم تصده هـــذه الكـــارثة التى صدت زميلـــه الاستـــاذ (محمد البيومى) الذى مات أسى وحزناً ، أما رفاعة فقد تحمل المصاعب متجلداً ، حتى عاد الى مصر ، بعد أن انقضى عهد عباس الأول ، وفى فترة منفاه ، ترجم من الفرنسية قصة (وقائع تليماك) ونشرها فى بيروت ، واقبل فى همة يعلم أولاد أبناء السودان ، فكان هذا عملاً مجيداً ، إذ بذر به رفاعة ، البذور الأولى للنهضة العلمية والثقافية فى النصف الجنوبى من وادى النيل .

ويعتبر بعض مؤرخى الفكر الحديث ، أن رفاعة الطهطاوى هو أبو الصحافة المصرية الحديثة ، إذ أن علي باشا مبارك عينه فى سنة ١٨٧٠ م رئيساً لتحرير مجلة «روضة المدارس» التى صدر العدد

الأول منها فى ١٧ ابريل سنة ١٨٧٠ م ، وقد جعلها رفاعة الطهطاوى ، مجالا لرواد العمل الثقافى فى مصر . فكتب فيها على باشا مبارك ناظر المعارف ، وعبد الله باشا فكرى ، ومحمد قدرى باشا ، واسماعيل باشا الفلكى ، وصالح بك مجدى ، وهو تلميذ رفاعة الطهطاوى النجيب ، والشيخ حمزة فتح الله ، واسماعيل افندى صبرى (اسماعيل صبرى باشا) .

وقد كانت هذه المجلة ـ نصف الشهرية ـ هى المجلة الرابعة التى ظهرت فى مصر بعد المجلتين الفرنسيتين اللتين أصدرهما نابليون لجنود وضباط الحملة وبعض الأجانب ، باسم الكورييه دى جيبت ، اى (بريد مصر) و (الديكاو) المصرية اى العشرية المصرية ، تلتهما فى سنة ١٨٢٨ الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وكانت تكتب باللغتين التركية والعربية ، بحيث كانت اللغة التركية تحتل القسم الايمن ، وتحتل العربية القسم الأيسر ، باعتبار ان التركية هى اللغة الرسمية ، ولما عين رفاعة الطهطـاوى رئيسا لتحرير الوقائع ، قلب الوضع ، فجعل القسم الاساسى هو القسم العربى ، وكان فوق ذلك يجعل الصدارة فى الجريدة لاخبار مصر ، تليها الاخبار الآتية من الخارج ، ولكن العناصر التركية تالبت عليه ، فاعادت كل شيء الى أصله ، إلا ان الاثر الطيب لرفاعة فى هذا المجال ، هو انه فتح باب الأدب والتحرير ، لأصحاب الاقلام ، يرسلون نفثات اقلامهم لجريدة الوقائع ، بعد أن كانت وقفا على الأخبار ، اما مجلة النهضة ، فقد استمرت منبر المثقفين ، ومجال الكتاب المصريين سبع سنوات ، رققت خلالها الأساليب ، وفتحت باب المنافسة بين حملة الاقلام .

إلا ان الاثر الخالد لرفاعة الطهطاوى ، الذى ارتفع به الى سواء القيادة ، بل الى صفوة الثوار ، فهما كتاباه العظيمان «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» الصادر سنة ١٨٣٤ م رواية لرحلة الطهطاوى الى فرنسا ، أما الكتاب الثانى فهو «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» الذى صدر سنة ١٨٦٩ م .

فى هذين الكتابين ، فعل الطهطاوى ما يساوى الدعوة المتاججة للثورة والانقلاب إلا انه لم يفعل اكثر من وصفه لما رآه فى فرنسا ، من صور الحياة ، حياة النساء والرجال ، وحياة الحكام والمحكومين ، وحياة العمال وارباب الصنائع وهو وصف دقيق ، على بساطته ، وعلى عدم ترسله فى معانى هذه الحياة الفرنسية التى تقوم أساسا على حرية الشعب فى اختيار حكامه اولا ، وفى محاسبتهم ثانيا ، وفى انزال العقوبات ثالثا ، يعمل هذا كله فى حكمة مأثورة «سلطان الملوك على أجسام الرعايا لا على قلوبهم» .

وقد أخذ المصريين على انهم لم يساهموا قط فى شيء من التصميمات التى رآها فى باريس واعجبته ، فقد كانت آفات الشعب المصرى فى رأى رفاعة ، عدم المبالاة ، والتكاسل عن تاييد الاعمال الصالحة التى تشاد فى بلده ، كما حدث فى عهد محمد على ، الأمر الذى ذكره كلوت بك ، ونقله عنه الأستاذ لويس عوض فى كتابه تاريخ الفكر الحديث «ولا ياخذ احد بجريرة هذه النزعات ، فان الروسيين لم يشدوا ازر بطرس الاكبر فيما تصدى لاجرائه من جلائل الأعمال ، وادخله على شئونهم ، من نافع الاصلاحات . وتلك شنشنة معروفة عن الامم فى ادوار ارتكاسها ونكستها ، كلما ظهر من بينها مصلح يريد الأخذ بيدها والنهوض بامرها ، والسمو بها الى الغايات الغالية فى الحضارة والرفاهية ، تعرض على إحباط مساعيه ، والقت فى طريقه العقبات والمصاعب ، ولم يذكر التاريخ قبلا لأمة نهضت بدافع من نفسها لبناء صرح المدنية ، وإقامة معالمها ، وإنما الذين تعرضوا لذلك افراد امتازوا بذاتية متينة وعبقرية عالية ، فدعوا الى مشاركتهم فى عملهم ، أبناء وطنهم ، وكثيراً ما لجاوا فى تنفيذ مقاصدهم إذا ما ارهقتهم من هؤلاء نزعة الجمود على القديم ، الى وسائل العنف والشدة» .

هذان الكتابان اللذان بشرا بافكار جديدة ، تلك الافـكار التى بقيت زمانا طويلا يتحاشاها ويتحاشى الكلام فيها ، الكتاب والمفكرون ، حتى الذين ذهبوا بعد رفاعة الطهطاوى الى اوروبا باجيال . وكان الجو فى مصر ، وفى العالم العربى كله ، قد تهيا لمناقشة افكار لم تعد تخيف كثيراً، من مثل الدعوة الى إقامة نظم دستورية ، والى نشر التعليم بين العمال والفلاحين ، والى إتاحة فرص المشاركة فى الشئون العامة ، للمرأة العربية ، ولو على سبيل التدرج ، وذلك يدل على امرين :

اولهما ان رفاعة الطهطاوى ، رجل بطبيعته متقدم عهده ، وانه بدا فى كتابه الاول «تخليص الابريز» اكثر اعتدالا منه فى كتابه الثانى المباهج العصرية ، الذى يفصل بينهما اكثر من ربع قرن .

وثانى الامرين ، اننا نبالغ فى القول ، إذا اعتبرنا أن كتابى رفاعة قد مهدا لشيء مما جاء فيهما ، فالكتابان بقيا مغمورين فى رفوف المكتبات ، لا يطالعهما إلا المؤرخون ، الذين يريدون تسجيل ما احتوته الكتب ، دون أن تتصل هذه الكتب بفكر الكتاب ، ولا القراء . وهذا يكشف عن مدى الجحود والاهمال الذى يصيب اهل الفكر فى بلادنا ، فان ما يكتبونه ، يبقى بعيداً عن تداول الأيدى ، وتناقل الالسن ، وتعليق العقول .

ولكن هذا ـ على مرارته وقسوته ـ لا ينقص من قدر اصحاب العمائم الذين ادوا واجبهم فاحسنوا الأداء ، وارتادوا الأصقاع المجهولة فى شجاعة وجراة . يستحقون معها التمجيد وإحياء الذكرى ،

فتحـي رضـوان

قطعة حية من تاريخ البطولة العربية

قلعة الشقيف

فتحها صلاح الدين واستبسل فيها الفلسطينيون

بقلم : نبيل خالد الأغا

في اليوم السادس من شهر يونيه « حزيران » الماضي بدأت قوات الغزو الصهيوني في اجتياح جنوب لبنان تحت شعار « السلام في الجليل » !

وبعد معارك طاحنة مع بضع عشرات من المقاتلين الفلسطينيين استطاع العدو الصهيوني احتلال قلعة « الشقيف » التاريخية الشهيرة ، بعد ان خسر عشرات القتلى والجرحى من وحدات كتيبة « غولاني » الخاصة ذات التاريخ الارهابي الطويل .

ونظرا لخسائرها البشرية الكبيرة فقد عمدت القيادة الصهيونية إلى إنهاء المعركة باستعمال القنابل العنقودية والجرثومية والغازية لانها لم تستطع انهاء صمود المقاتلين الفلسطينيين عبر الأسلحة التقليدية .

وسيسجل تاريخ النضال العربي الفلسطيني ان سبعة وثلاثين فدائيا من ابطال الثورة الفلسطينية قد صمدوا اكثر من اربع وعشرين ساعة يتحدون احدث اسلحة الترسانة الامريكية الاسرائيلية التي كان من ضمنها قنابل الاعماق التي تزن الواحدة منها ٩٠٠ كجم ، والتي تصل في عمقها الى عشرة امتار في باطن الارض وهي نفس القنابل التي استعملها الاسرائيليون في تدمير مفاعل تموز النووي العراقي في حزيران عام ١٩٨١ م . ولكي نكون على ثقة مطلقة ببطولة مقاتلينا وبسالتهم فسنورد مقتطفات من تصريحات اثنين من كبار العسكريين الصهيونيين

انها مذبحة رهيبة !

شرح المقدم « دوف » قائد الحملة الاولى لجريدة « دافار » الاسرائيلية كيفية احتلال القلعة والصعوبات التي واجهتها قواته فقال :

« كان معي ٩ دبابات ، و ١٣ ناقلة جنود تقدر طواقمها بتسعين فردا لديهم اربعة ضباط ، وجميعها من وحدات « غولاني » الخاصة . وفي البداية كنت على قناعة بان هذه القلعة تضم مئات المقاتلين الفلسطينيين لان كثافة النيران التي تعرضنا لها ، والمقاومة الشرسة التي ابداها الفلسطينيون دلت على صحة تكهناتي ، ولم يخطر ببالي ابدا بان اعدادهم في هذه القلعة لا تزيد عن بضع عشرات . وحمي وطيس المعركة ، وقطعت جميع الاتصالات بيننا وبين القيادة ، وشعرت عندها كمن وقع في مصيدة ، وحينما اردت الانسحاب الى الخلف لتنظيم قواتي كان الوقت قد فات ، فالدبابات والناقلات المصفحة تلقت اصابات مباشرة .. لقد كانت حقا مذبحة رهيبة لم اشهد مثيلا لها في جميع الحروب التي خضتها من قبل .

لقد كان عدد الناجين ـ اضافة لي ـ سبعة جنود تم اخلاؤهم الى الخطوط الخلفية بعد أن جاءتنا تعزيزات ضخمة في الثالثة صباحا .. وفي السادسة والنصف دار قتال عنيف بيننا وبين من تبقى من المقاتلين الفلسطينيين احياء داخل القلعة ، وفي النهاية قتلوا جميعا لان احدا منهم لم يرفع علما ابيض ولم يستسلم لنا رغم كل نداءاتنا لهم برفع اعلام بيضاء والاستسلام .

انني احترم جدا واقدر هذا النوع من المقاتلين الاشداء ، واني احيي هذه الشجاعة النادرة التي ابدوها ، واني اعتقد بأن صورة المقاتل العربي الذي يهرب امامنا او يلقي بنفسه مستسلما قد اختفت هذه المرة ، وكل ما استطيع قوله الآن هو انني اصلي لسلامة الجنود الذين يخوضون حربا حقيقية شرسة في لبنان » .

وقعنا في المصيدة

اما اللقاء الثاني فقد اجرته اذاعة الجيش الصهيوني ظهر يوم الثامن عشر من حزيران الماضي مع الجنرال شاؤول تكديمون الراقد في مستشفى «تل هشومير» العسكري لمعالجته من الاصابات التي لحقت به في منطقة النبطية ، وقد اضطر الاطباء بالمستشفى الى بتر ساقه انقاذا لحياته .

ونظرا لطول اللقاء مع الجنرال فاننا سنورد فقط ما ذكره عن معركة الشقيف فقال :

« قبل الهجوم بيومين قامت ١٣ طائرة اسرائيلية بقصف مكثف لهذه القلعة ، وكنا نعتقد بأن اطنان القنابل التي القيت عليها لم تدمرها فقط وانما مسحتها عن وجه الارض واننا لن نجد اثرا لفلسطيني واحد ولكن حينما اقتربنا من هذه القلعة ـ وكانت اول موقع فلسطيني نواجهه في الجنوب اللبناني ـ اتضح لنا انها ما تزال على حالها ، وان احدا من المقاتلين الفلسطينيين لم يصب باذى نتيجة لكل تلك القصف الجوي الطويل .. ربما كان طيارونا يلقون بحمولة طائراتهم بعيدا عن القلعة نظرا للمقاومة الأرضية العنيفة التي ابداها اولئك الفلسطينيون داخل القلعة . والحقيقة التي يجب ان اقول هنا بان



العميل سعد حداد فى قلعة الشقيف التى لم تسقط إلا بعد معارك طاحنة بين قوات الغزو الصهيوني وبضع عشرات من المقـــاتلين الفلسطينيين .

المعارك الطاحنة التى دارت حول قلعة الشقيف وفى داخلها ، والخسائر الكبيرة التى تكبدتها قواتنا فى هذه المعارك كانت بمثابة علامات الشؤم بالنسبة لنا .. لقد فقدنا خلال هذه المعارك خيرة ضباطنا وجنودنا من قوات غولاني والمظليين .. إن لي بين الضباط الذين سقطوا فى معارك قلعة الشقيف العديد من الاصدقاء مثل الركن افنير شماعيا ، والمقدم جوني هدنيك والمقدم بتسلئيل مزراحي ، والرائد يفتاح ابن حاسو واخرين . وحينما ابلغوني عن مدى الخسائر التى تكبدناها من اجـــل احتلال موقع فلسطيني واحد سبق لطائراتنا ان قصفته طوال ايام ، قلت في نفسى بان هذه الحرب ليست مثل الحروب السابقة ، فهذه الحرب كانت تبدو كالمصيدة التى وقعنا فيها كالفئران الصغيرة .. وقد اجريت اتصـــالا عاجـــلا مـــن موقعـــى بالجنرالين ايتان ودوري وابلغتهما باننا نواجه مقاومة غير متوقعة ، وكنت اعني ما اقول ، وطالبت بارسال المزيد من التعزيزات .. لقد دخلنا الحرب بـــ ٢٨ الف جندي من القوات النظامية . لكن العدد ارتفع خلال اليومين الاولين لهذه الحرب الى ٨٣ الف جندي ، وان عنف وضراوة المقاومة وشراسة العدو الذى نواجهه هى التى كانت تدفع بنا الى الاستعانة بالمزيد من التعزيزات خاصة بعد استدعاء قوات الاحتياط ، والتى اشك فى انه قد بقى لدينا سلاح متطور واحد لم نستخدمه فى هذه الحرب الا اذا كان الحديث عن سلاح نووى .. لقد فقد الفلسطينيون فى قلعة الشقيف ثلاثين مقاتلا او ما يزيد قليلا ، اضافة الى بعض المواقع وراجمات الكاتيوشا وبعض الأسلحة الخفيفة ، لكننا فقدنا خمسة اضعاف ما فقدوه .. حقا لقد ذهلت مما رات عيناى ..

... هذا وبرغم كل تلك الخسائر التى منيت بها قوات «جيش الدفاع الاسرائيلي» الا ان احتلال قلعة الشقيف الاستراتيجية قد ادخل البهجة فى قلوب القادة الاسرائيليين ، حيث ذهب الارهابي ميناحيم بيجن لزيارة القلعة ظهر يوم الاثنين بصحبة وزير الدفاع اريل شارون ، ورئيس اركان الجيش رفائيل ايتان ، والعميل سعد حداد ، وبعد أن تفقد الارهابيون اسوار القلعة نظر بيجن إلى حداد وقال له حرفيا : هذه قلعة اجدادك .. نقدمها هدية لك ! !

شيء من التاريخ

ولكن ماذا نعرف من تاريخ هذه القلعة الشهيرة . ؟ .

للقلعة اربعة اسماء : بوفور ، ارنون ، تيرون ، اضافة الى الشقيف وهو اسمها الاكثر شيوعا ، ويقال انه لفظ سرياني الأصل ومعناه « الصخر الشاهق » . وقد اطلق عليها ابن خلدون اسم شقيف بيروت لوقوعها على جبل مطل على بيروت وصيدا .

وقد ورد فى معجم البلدان لـيـــاقوت الحموي ان « المجي » قد اطلق على القلعة اسم شقيف ارنون حيث قال « والشقيف يعرف بشقيف ارنون وهو اسم رجل اضيف الشقيف اليه ، والرجل اما رومى واما افرنجى ، ويعرف ايضا بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة فى الصخر ، وبعضه له سور وهو فى غاية الحصانة » .

كما أن ارنون اسم لقرية تقع الى الجنوب من القلعة ، وتنسب القلعة اليها كذلك .

اما اسم بوفور فهو نسبة الى أول قائد فرنسي دخلها اثناء حكومة فيشى ، حيث اوقف زحف الحلفاء من الجانب الفلسطيني ثم اتخذها مقرا لقيادته .

ويقال أن تيرون كلمة لاتينية الاصل ومعناها « الجندى الشجاع » . وتفيد المعلومات التاريخية بان ملك القدس الصليبي « فولك » هو اول من شيدها عام ١١٣٥ للميلاد ، على انقاض حصن روماني قديم .

وقد تم بناؤها على طريقة بناء قلاع القرون الوسطى من حيث نظامها الداخلي ووظائفها الدفاعية .

ويتفق المؤرخون على أن البطل الاسلامى صلاح الدين الايوبى حاصر القلعة عام ١١٨٩ م أى بعد عامين من انتصاره الساحق على الصليبيين فى معركة « حطين » ، واستسلمت له فى النهاية بعد مراوغات قائدها الصـــليبي « رينالد » .

لكن البهجة بتحرير الشقيف من الاحتلال الصليبي لم تدم طويلا ، فلقد اعيدت القلعة إلى الصليبيين ضمن معاهدة جائرة قام بتوقيعها معهم المدعو الصالح اسماعل باشا سلطان دمشق انذاك مقابل ان يكونوا ظهيرا له على ابن اخيه الصالح ايوب فى مصر وعلى الناصر داود فى الأردن !!

وفى مقابل ذلك تعهد الصالح اسماعيل باعطاء الصليبيين مدينة بيت المقدس

قلعة الشقيف

ولكي يبرهن على حسن نيته نحوهم قام بتسليمهم القدس وطبريا وعسقلان . اضافة الى قلعتي صيدا ، والشقيف .

ولكن حاميتها الاسلامية ابت ان تسلمها مجانا إلى الافرنج ، ثم جاء السلطان بنفسه وتسلمها من الحامية وقام بدوره بتسليمها إلى الاعداء عام ١٢٣٨ ميلادية .

وفى عام ١٢٦٠ قام فرسان الهيكل بشرائها من صاحبها جوليان مع مدينة صيدا . وبعد ثمانية اعوام شن الظاهر بيبرس هجوماً عنيفاً على القلعة واستولى عليها وقام بتوزيع حاميتها ارقاء على مرافقيه ، ثم عمرها وبنى فيها مسجداً ودارا للنيابة على نحو ما ذكر المؤرخ ابو الفداء .

وفى عام ١٦١٠ م وخلال العهد العثماني استولى عليها الأمير فخر الدين المعني الثاني وضمها الى جملة القلاع التى استولى عليها لتعزيز نفوذه ، فرممها ونظم شؤونها لكي تصبح مرتكزاً له فى حروبه مع الدولة العثمانية .

ولما حاول الأمير ان يستقل فعلا عن السلطة العثمانية امر السلطان العثماني بالقبض عليه ومعاقبته فالتجا الى قلعة الشقيف ، فاضطر الجيش العثماني الى محاصرته وتضييق الخناق عليه مما اضطره إلى الاستسلام وتم الحكم عليه بالاعدام .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى مطلع العصور الحديثة فقدت القلعة الكثير من اهميتها الاستراتيجية نظراً لتطور الاســـلحة الهجومية .

التاريخ الحديث للقلعة

مع استقلال لبنان عام ١٩٤٣ م ، ومع نشوء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ م استعادت القلعة اهميتها ، وبرزت الى ساحة الاحداث من جديد . واقام عليها الجيش اللبناني التحصينات العسكرية ، والرادارات والأضواء الكاشفة .

ولكن الجيش اللبناني الشرعي اضطر الى الانسحاب منها فى بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ م ، بعد ان استولى عليها الملازم احمد الخطيب وضمها الى قيادة « جيش لبنان العربي » .

وبعد عامين اصبحت القلعة تحت سيطرة القوات الفلسطينية ــ اللبنانية واصبحت مدافعها تواجه مباشرة مدافع الرائد الصليبي المتمرد سعد حداد الذى اتخذ من قرية القليعة مقراً لقيادته حينئذ ، ومنذ ذلك الوقت بدات بين الطرفين اشتباكات عنيفة بالمدفعية ، ومن ثم اصبحت الشقيف هدفاً رئيسياً للقصف الصهيوني براً وجواً انتقاماً من الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يقذفون منها مدافعهم البعيدة المدى وصـــــواريخهم « الكاتيوشا » لتصب فى المستعمرات الاسرائيلية فى الجليل الاعلى .

واثناء الاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني فى شهر اذار (مارس) عام ١٩٧٨ م تعرضت القلعة ــ على مدى ثلاثة ايام لقصف جوي عنيف اشتركت فيه عدة اسراب من الطائرات الامريكيـــــة ــ الاسرائيلية ، وقد فشلت فى احتلالها جميع عمليات الانزال المظلي ، والزحف البري الصهيوني .

وتقوم قلعة الشقيف فوق جبل عال جدا يكشف بالعين المجردة جزءاً كبيرا من فلسطين المحتلة وخاصة منطقة الجليل الاعلى ، التى تتواجد فيها كثير من المستعمرات الصهيونية مثل « المطلة » التى تبعد عن القلعة مسافة ٥ كم جوا ، وترتفع القلعة مسافة ٨٠٠ م عن سطح البحر المتوسط ، وتطل من الناحية الشرقية على سهل مرجعيون وبحيرة طبريا ، واعالي الجولان ، وتطل من الناحيـــــة الشمالية على منطقة الشوف ، ومن الناحية الغربية على مدينة النبطية ، وقراها .

ويبلغ طول واجهة القلعة ١٢٠ متراً ، وعرضها ٣١ متراً ، وترتفع جدرانها الى حوالى ٢٣ متراً .

والقلعة على هيئة مثلث ، وقد شيدت من الصخر الأصم الكبير القطع ، ويحيط بها خندق كبير يبلغ عرضه حوالى ٢٠ متراً داخل الصخر . وهى تتالف من اربعة طوابق ، ولها اربعة ممرات داخلية تؤدى الى الغرف داخلها ، ويقال ان بها ممراً سريا يربطها بنهر الليطاني من الناحية الشرقية ، وعن طريقه استطاع الجنود العثمانيون ان يصلوا الى الأمير فخر الدين ، فضيقوا الخناق عليه واجبروه على الاستسلام .

القلعة والشعراء

وبرغم رفع العلم الصهيوني على القلعة ، فان الجنود الصهاينة فى داخلها يتعرضون ــ ومنذ اكثر من شهرين على احتلالها ــ الى هجمات فدائية جزئية تكلف المحتلين خسائر ليست قليلة .

وقد تفاعل كثير من الشعراء العرب باحداث القلعة ، فانشدوا القصائد الوطنية المعبرة .

يقول الشاعر المعروف معين بسيسو ضمن « رسالة مفتوحة الى قلعة الشقيف » :

يا قلعة الشقيف
لم يرفع الراية البيضاء
لا كيس من الرمل
ولا حجر
قاومت الشمس
وقاوم القمر
وقاومت الجذور
والصخور
وقاوم الشجر ..

ويقول الشاعر خليل السواحري :

كومة من حجارة
وكومة من اجساد
سبع وثلاثون وردة حمراء
تملأ التاريخ زهواً
افق من الخلود
ضــوء يملأ الأجيال
مجداً
وفخراً
وكبرياء
كومة من حجارة
وجبال من بطولة
يا قلعة الشقيف
يا منارة الرجولة .

نبيل خـــالد الاغـا

ملاحظات حول مقال:

شكوى الحيوان من ظلم الإنسان

بقلم : يوسف الشاروني

فى عدد يوليو الماضى من مجلة الدوحة نشر الدكتور احمد الحوفي مقالا سريعاً بعنوان « صفحة طريفة من التراث العربي » عن شكوى الحيوان من ظلم الانسان التى وردت فى رسائل اخوان الصفا . ولاشك ان صغر حجم المقال ظلم بدوره هذا الموضوع العظيم الطريف . وقد تساءل الدكتور الحوفى فى نهاية المقال بضعة تساؤلات نجملها ـ ونعلق عليها ـ فيما يلي :

اولا : لماذا لم يذكر بنو ادم فى الاستدلال على تفوقهم وسيادتهم على الحيوانات ان الخالق عز وجل منح بني ادم العقول والتفكير والنطق ؟ ... وإذا كان الانس قد عرض لها فان عرضه موجز عابر .

والواقع ان زعيم الانس حين اعلن فى اليوم الاول من هذه المناظرة او المحاكمة الفريدة فى تاريخ الادب ان قومه يتميزون عن الحيوان بالذكاء ورجحان العقول ، رد عليه زعيم البهائم قائلا « لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من افعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه . وإنما العقلاء يفتخرون باشياء هي افعالهم من الصنائع المحكمة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها » (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، المكتبة التجـــارية ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ١٨٢)

ثانيا : كذلك لم يذكر بنو أدم أن الله عز وجل اختصهم بالرسل والشرائع والتكاليف ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ولو رجعنا إلى ثالث يوم من أيام المناظرة لوجدنا ان الانس يعلنون أن الله اكرمهمبالوحي النبوءات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من الوان الحلال والحرام والحدود والاحكام ، والأوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد ... وما وعدنا من الجنان والنعيم وما اكرمنا به من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والأعياد والجمعات ، والذهاب إلى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات ... وكل هذه الخصال كرامات لنا وانتم بمعزل عنها ، وكل ذلك دليل على اننا ارباب وانتم عبيد (المرجع السابق ص ٢٧٠/٢٧١).

وقد رد الحيوان هذا السهم إلى صدر الانسان حين اجاب ان الله لم يبعث انبياءه للانسان إلا لكفره وجهله وانكاره لربوبية الصانع وجحوده لوحدانيته . اما الحيوان فهو بريء من ذلك كله . اما الصوم والصلوات والصدقات فهي عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات . والحيوان لا يحتاج لشيء من هذه الأوامر والنواهى لانه بريء من الذنوب والفحشاء . هنا يفخر الحيوان على الانسان بانه لا يتصل بانثاه إلا مرة واحدة فى السنة لا لشهوة غالبة ولا للذةراغبة ولكن لبقاء النسل . واما ما جاء فى الكتب المنزلة من بيان للحلال والحرام فهذا لقلة معرفة الانسان بما ينفعه وما يضره . بينما الحيوان قد الهم جميع ما يحتاج إليه من اول الأمر ، واما كون الانسان له اعياد وجمعات وذهاب إلى بيوت العبادات وليس للحيوان شيء من ذلك ، فان صاحب النواميس اقتضى ذلك لأن الانسان ينقصه التعاون عند الشدائد . فاقتضى اجتماع الخلائق فى الاعياد والصلوات حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة، اما الحيوان فليس لديه شيء من ذلك لأنه لا يحتاج إليه فالأماكن « كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة . اينما توجهنا فثم وجـــه اللـــه . والأيام كلها لنا جمعات وعيد ، والحركات كلها صلوات وتسبيح » . (المرجع السابق ص ٢٧٤)

ثالثا : أن الحيوانات لم تذكر فى مفاخرها ان بعضها اقوى جسدا من الانسان ، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

والواقع انه بعد انتهاء اليوم الاول من المناظرة (وقد استغرقت اربعة أيام) وقبل عودة المحكمة للانعقاد تجمعت كل مجموعة تتشاور فيما بينها استعداداً لليوم التـــالي (الانس والجن والبهائم) . وقد انتهت البهائم إلى راي اكثر ديمقراطية بلغة ايامنا ، إذ رات ان تبعث رسلا إلى سائر اجناس الحيوان لارسال زعمائهم وخطبائهم ليعاونوا فى قضيتهم .

وعندما وصل الرسول إلى الأسد ملك السباع أعلن الأسد انه إذا كان الانسان يفتخر بالقوة والشجاعة فانه سيجمع جنوده ويذهب لمحاربته وإبادته . وهنا يعلن الرسول ان قوة الانسان فى عقله أكثر مما فى جسده ، وإن كان هناك من الناس ممن يفتخرون بقوتهم الجسدية . وبهذا العقل اخترع الانسان من السلاح ما يتفوق به على مخالب السباع وأنيابها ، ومن الحيل ماياسره بها كالفخاخ المنصوبة والخنادق المحفورة ، ولكن المناظرة بحضرة ملك الجن لن يكون فيها شيء من هذا وإنما الحجاج بفصاحة اللسان وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز . فلما اجتمعت السباع لاختيار من ينوب عنها ، بادر النمر مستعرضا قوته الجسدية قائلا : إذا كان الامر هناك يمشي بالقوة والجلد ، والغلبة والقهر ، والحقد والحنق والحمية ، فانا لها ، كما قال الفهد : إن كان الامر يمشى بالوثبات والقفزات ، والقبض والبسط ، فانا لها ... ولكن الاسد ملك السباع افهمهم ان هذه الخصال لا تصلح إلا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم ، وقادة الجيوش لان انفسهم سبعية وإن كانت اجسادهم بشرية وصورهم ادمية . اما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء فان اخلاقهم وسجاياهم اشبه باخلاق الملائكة .. (المرجع السابق ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥) .

وإنما الذى لم يثره استاذنا الدكتور الحوفي فهو إلى أى حد تقترب « شكاية الحيوان من جور الانسان » من الفن القصصى بمعناه المعاصر . ولكن هذا موضوع دراسة مستقلة .

● ● تنشر الدوحة هذا المقال للأستاذ الفاضل عبد الرحيم عنبر عملا بحرية الرأي مع تأكيد احترامنا واعتزازنا بالأستاذ الكبير فتحى رضوان الذى نعتبره عضوا فى أسرة تحرير الدوحة ● ●

رد هادىء على فتحي رضوان عن :

سعد زغلول في قفص الإتهام

بقلم : محمد عبد الرحمن عنبر
المحامي بالنقض

لقد افزعنى حقا – كما افزع العديدين من المواطنين المخلصين لوطنهم – ما جاء بمقال الأستاذ فتحي رضوان بعدد يونيو ١٩٨٢ من مجلة الدوحة عن سعد زغلول .. ذلك العملاق الوطنى الذى لم يستطع احد حتى الآن – ولن يستطيع – مهما كان مركزه ان ينال من عظمته او ان ينزله عن « عرشه الخالد فى التاريخ » رغم كل المحاولات الشرسة المتعددة فى هذا الشان ، والتى باءت كلها بالفشل ، والخزى المبين ! !

وإذا كان سعد زغلول – وهذا دليل عظمته – لا يحتاج إلى دفاع .. فسيرته الذاتية ، وما كتب عنه كافيان وحدهما فى الدفاع عنه .

ولكن الأجيال الجديدة .. لما لها من هموم ومشاكل حياتية انية ومستقبلية قد تصرفهم عن الالمام بالحقائق الوطنية التاريخية فلا يفرقون بين الحق والباطل ، ويقعون أسرى لمن يزيفون التاريخ ، ويطمسون الحقائق سواء عن حسن قصد أو سوء قصد .

وإلى هؤلاء يجب ان نتوجه ان يقراوا الراى والراى الآخر لعلهم يصلون إلى الحقائق .. وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

وقبل ان ارد على ما جاء بالمقال من وقائع ، وتخريجات ، واستنتاجات ضعيفة وتتعارض مع بعضها البعض .

قبل ذلك اقرر ان لصديقى الأستاذ الكبير – الذى احترم شموخه ، وعلمه الغزير ، ونضاله الكبير – هواية قديمة مثيرة . تلك هى « سلخ جلود الشوامخ من الأموات » . وعيب هذه الهواية الغريبة ليس دينيا « اذكروا محاسن موتاكم » وليس اخلاقيا « الضرب فى الميت حرام » لانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه . فالشخصيات العامة قد تشذ عن هذه القاعدة لانها ملك للامة وللتاريخ . فنقدها مباح ، بل ومطلوب حتى لتاخذ موقعها الصحيح من التاريخ ، ومن قلوب الجماهير .. بل حتى لا تتكرر الاخطاء ... إن الزعماء ليسوا معصومين من الخطا كالانبياء ، بل هم بشر مثل سائر البشر لهم نقاط ضعف ، ولحظات ضعف . ولكن بطولاتهم ، وتضحياتهم فى سبيل اوطانهم ومواطنيهم ، تغطى على هذه الثغرات فى حياتهم الخاصة أو العامة .

ونعود إلى هواية صديقنا الأستاذ الكبير . فبالأمس ليس بالبعيد اقام « سلخانة كاملة » لعشرين من كبار ادبائنا وشعرائنا الذين لم يختلف حتى الآن إثنان فى علو كعبهم ، وسمو اقدارهم فى فنهم وابداعهم .

وتصادف ان طلب منى ان انسخ له هذا الكتاب على الآلة الكاتبة فى مكتبى المجاور لمكتبه وقتذاك فى البنك المركزى الرئيسى بشارع قصر النيل حتى يقدمه للناشر (مكتبة الانجلو المصرية) منسوخا لا مخطوطا .

وتصادف ايضا – فليس من طبعى الفضول – ان اطلعت عرضا على بعض صفحات الكتاب فافزعتنى كذلك كمية



سعد زغلول .. قصة كفاح بطولى يجب الا ننساها

الدماء الرهيبة التى تسيل من بين السطور وكانه « سلخانة » حقيقة لا نقد ادبى !!

اتصلت به وصارحته برايى فقال إنهم يستحقون هذه المجزرة فعلا . ودهشت حين عدل قليلا عن رايه ، وترك لي « حرية التصرف » رغم معارضتى الشديدة له باننى كاتب ولست اديبا .. فضلا عن انه اجدر بهذه المهمة باعتباره المؤلف . فهو وحده الذى يستطيع ان يقرر من « تقطع رقبته » ومن يكفيه « نتف ريشه » !! وذلك سر اذيعه لاول مرة .

ورغم ما حذفته فى الكتاب من العبارات الجارحة .. او المهينة .. او الخادشـــة للشرف لمن عالج سيرتهم فقد قابله بعض النقاد بالاستنكار وتجاهله معظمهم . بل ان صديقنا العتيد ، الأستاذ حافظ محمود ، الاديب المخضرم وشيخ الصحفيين خرج على هدوئه ، ومجاملاته ، وكتب يهاجمه فى مقال عنيف جداً !!

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ شغل عدة مناصب وزارية هامة لمدة ست سنوات .

وحدث ذات يوم أن فوجئنا بتعـديل وزارى لم يخرج فيه من الوزارة سواه ، وقد كنا نقول ـ لطول بقائه فى الحكومة ـ إنه من الثوابت الذين لا يتناولهم اى تعـديل وزارى .

ومع ذلك ظل صامتا .. بعيداً عن الأضواء .. لا يتناول النظام او الـــرئيس عبد الناصر بكلمة سوء او نقد واحدة . وما انتقل الرئيس عبد الناصر إلى جوار ربه فى سنة ١٩٧٠ حتى فاض قلمه الســـيال .. ومازال بالطعنات الحادة فى أمور اشترك ـ كما قلت ـ فى المسئولية عنها !!

وحدث ان قابلت الأستاذ أمين شاكر ..ير السياحة السابق ، غداة ذلك التعديل الوزارى وكان وقتها مديرا لمكتب الرئيس عبد الناصر ، فسالته عن سر هذا التعديل الغريب فقال لي بعد تردد ـ لانه متحفظ بطبعه ـ إن الأستاذ فتحى كان يسبب صداعا دائما للرئيس لمعارضته فى كل شىء تقريبا دون سبب مقنع .

ســـموم فكرية

وكنت قد انضممت إلى « حزب الوفد » برئاسة مصطفى النحاس سنة ١٩٥٠ ، ونجحت فى المعركة الانتخابية . اقول ذلك لانى كنت فى « حزب مصر الفتاة » ثم فى « لجنة شباب الحزب الوطنى » مع الاستاذ فتحى رضوان فاكتشفت كمية « الســموم الفكرية » التى كنا نتجرعها عن سعد زغلول . ومقال الأستاذ فتحى الذى نحن بصدده خير مثال !!

فقد قامت ثورة سنة ١٩١٩ بزعامة سعد وخطبه التى كانت تلهب شعور الجماهير وحماستهم .

وانتهى الأمر بصدور قرار باعتقال سعد ورفاقه ، وتفيهم الى مالطه فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ .. واشتعلت الثورة فى اليوم التالى لرحيلهم ! ولم يعلم سعد بالثورة إلا بعد وصولهم إلى مالطة عندما زارهم حاكم الجزيرة ، وقال لهم عرضا :

ـ لقد جئتم إلى هنا بعد ان اشعلتم الثورة فى مصر !!

وكان أول عمل قام به سعد فى المنفى ان استانف جهاده .. فارسل برقية باسمه إلى رئيس الوزارة البريطانية يستنكر فيهـــا ما حدث ، ويصر على رفض فرض الحماية على مصر . وقال فيها ايضا قولته المشهورة « ان دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة » .

وامام هذا الكفاح البطولى لسعد وشعب مصر .. اضطر المارشال البريطانى حاكم مصر ان يكتب لحكومته يحثها على الافراج عن سعد وصحبه عاجلا .. وانحنت الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس راسها ! وافرج عنهم فعلا فى ١٩ ابريل ١٩١٩ . اى بعد شهر !

ولكن سرعان ما تحولت مظاهرات الفرح والابتهاج بعودة سعد إلى مظاهرات دامية .. فاستقالت وزارة رشدى باشا ، وامتنع السياسيون المصريون الآخرون عن تاليف وزارة جديدة !!

كان سعد كذلك

وقد كتب عباس العقاد عن سعد زغلول « كان لقومه مدد من عزمه .. وكان لعزمه مدد من قومه » .

وكتب عنه عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير واحد زعماء الحزب الوطنى الـذى ينتمى إليه الأســتاذ فتحي حتى الآن :

« ان الزعامة هى قدرة الانسان على ان يقود الجماهير ، وان يجمع حوله اكثر ما يمكن من الانصار . ولاشك ان سعداً كان كذلك من اواخر سنة ١٩١٨ إلى ان توفى سنة ١٩٢٧ .. فزعامة سعد أصبحت حقيقة من حقائق التاريخ القومى المصرى » .

ولقد كان غاندى ـ الذى يعجب به الاستاذ فتحى وكتب عنه اول كتبه ـ يصرح دائما بانه مدين فى ثورة الهند واستقلالها لسعد زغلول ، ولثورة سنة ١٩١٩ التى اتخذ منها نموذجا ونبراسا .

ولما زار خليفته ـ نهرو ـ مصر فى اوائل ثورة ١٩٥٢ الح فى مقابلة مصطفى النحاس خليفة سعد ليقدم له تحية الوفاء النادر فى هذا الزمان !!

لمصلحة من ؟

إذا راينا كل هذا ، ونظرنا على ضـوئه ما أورده الأستاذ فتحى سقطت كل حججه واستنتاجاته التى بنيت على اراء شخصية بل ومتناقضة لزملاء سعد الذين اختلفت اراؤهم ومواقعهم معه ، وهو أمر طبيعى فى كل الحركات الثورية التى لا تخضع للمقاييس العادية للأمور .

فهى :

أولا : ـ لم تنقض زعامة سعد لثورة سنة ١٩١٩ ، ولا من قدره كزعيم وبطل شعبى اسطورى بكل المقاييس .

ثانياً ـ لا تعارض بين تلك الحقيقة الثابتة تاريخيا ، وشعبيا وبين مالزملائه من قدر ، وجهاد كبير ، وعلم غزير .

ثم لا ندرى لمصلحة من يقوم فينا بين الحين والحين من يحاول ـ لا إضافة ولو قدر ضئيل من امجادنا ـ بل هدم جزء كبير وثمين من هذه الامجـــاد ؟ وذلك فى وقت وصلنا فيه إلى التمزق والضياع عربيا واســـلاميا بسبب « الاضــطرابات والصراعات » التى ترجع إلى الاطماع الشخصية والزعامات الوهمية ؟

ان الدول تخلق لنفسها امجاداً وهميـة اذا لم تكن لها امجاد حقيقية . فما بالنا نحن ننكر امجادنا الحقيقية ؟ !

هذه هى المسالة .. كما يقول شكسبير !

الجامعة الإسلامية العالمية

تحيـــة كريمـــة :

فكرة جيدة تلك التى تدعو الى انشـــاء جامعة يتمناها كل جامعي وكل مسلم غيور وكل شاب طموح .

ذلك ان لا جامعة عندنا اليوم ـ تقليدية كانت كالأزهر ام حديثة ـ تفى بالاهداف الاكاديمية والاسلامية . الفكرة جيدة اذن والغاية شريفة وانا كاستاذ جامعى درست فى ست جامعات عربية لنيف وعشرين سنة اتمنى لو يتم تحقيق مثل هذه الجامعـــة الاسلامية العالمية وان لي زملاء فى جميع العالم الاسلامى يتمنون لو توجوا حياتهم الاكاديمية بالتدريس فى مثل هذه الجامعة المقترحة .

ان فى بديهيات الحياة الجامعيـــة ان الاستاذ الحق هو روح الجامعة . هكذا كان افلاطون روح الاكاديميـــــة وكان ارسطو طاليس روح اللوقيون ـ وهاتان جامعتان شهيرتان فى العالم اسستا قبل اربع وعشرين قرنا وتخرج فيهما علماء وفلاسفة وعندنا كان حجة الاسلام الغزالي قبــل ما يقرب من الف عام روح النظامية . وطاغور فى القرن العشرين اسس جامعة ادبية فنية وهكذا ..

وفى الاسلام الحديث يمكن ان نختار اسماء كجمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده وساطع الحصرى ومحمد اقبال وابى الأعلى المودودى وعدد قليل غيرهم لينشئوا الجامعة الاسلامية العالمية . لكن اين امثال هذه الاسماء عندنا اليوم ؟

على اية حال لا داعى للتشاؤم ولو عنينا بالتشريع الصحيح ووضعنا فى اول مجلس جامعة عددا من الرؤوس المفكرة والقلوب المخلصة ، فان التشريع الصحيح سوف يوجه التوجيه الصحيح .

الاستاذ :

اذن فى الامكان ان نقترح او نجمع عددا من الاسماء اللامعة بمؤلفاتها وماضيها العلمى والاكاديمى وبرغبتها الصادقة فى المشاركة . ولئن هيانا البناء المناسب فى المكان الجيد واوجدنا الظروف العلميـــة الحرة فى نشر العلم والاسلام ، عند ذلك سيتجمع عدد من الاساتذة الجيدين وسوف تقوى ثمارهم العلمية وثمارهم الحية فى تلاميذ نجباء .

واى أستاذ مهما كان ماضيه العلمي يجب ان لا يجدد اختياره للتدريس اذا ظهرت عليه امارات الضعف والعجز ، وان كان فى الامكان ابقاؤه فى حرم الجامعة يستفاد من اشارته واشرافه على الرسائل العلمية والمناقشات لو امكن ان يكون فى ذلك فائدة والا يصار الى غيره .

والاستاذ الجيد ليس هو المطلوب فى التدريس فقط ، وانما العالم الحقيقى يظهر له وجه فى التدريس وله وجوه اخرى فى التاليف والمناقشة وسواهما . اذن سيكون هناك مجال فى حرم الجامعة لعدد من العلماء الذين وان عجـــزوا عن التدريس ـ مثلا ـ فان فى الامكان الافادة منهم فى وجوه علمية اخرى .

هذا ويجب ان تهيا التشريعات للحرية الاكاديمية وهذا معناه ان يتوفر الأمن العلمى والفكرى وان تتوفر النوايا الطيبة معا . ليس فى جامعتنا مجال ان تنقلب الى دار عجزة او ان يكون فيها اوكار الحاد او اى ارهاب شيطانى فى اى شكل كان .

المكان : وأرض الله واسعة :

هناك الأماكن المقدسة وعلى راسها مكة والمدينة وهناك المناطق الصحية والجميلة كسواحل المحيط الاطلنطي او سواحل البحر الابيض المتوسط او سفوح الهملايا او فى جزيرة قليلة السكان فى اندونيسية .

فاذا اصابنا التوفيق فى اختيار المكان قامت امامنا مشكلة او مشكلات الانشاءات ـ قاعات الدرس والمختبرات والمكتبـــات وسواها .

التلميذ : واختياره ايسر بكثير من اختيار الاستاذ وحسبنا ان يتقدم لنا التلميذ الذكي ذو العقيدة ، ولسوف ينضج النضج الصحيح اذا تيسرت امامه بقية الامور الأخرى ـ الاستاذ والكتاب والامانى والحرية . اذا وجدنا مثل هذا التلميـــــذ فلا يهم بعد ذلك ان كان سيدفع اجر تعليمه ام لا يدفع لانه إن كان نقدا ففى امكان الهيئـــات والحكومات الغنيـــة ان تدفع عنه . اللغات الرسمية والمدروســـــة فى الجامعة : العربية ضرورية دون شك وفيها يتم تدريس معظم المحاضرات وفيها تتم المناقشات فى معظم المناسبات . لكن التخريج ـ وحسب اختيار كل فرد ـ يجب عند حصوله على الشهادة ان يلم الماما كافيا بلغة اسلامية واحدة على الاقل الى جانب العربية كما يجب ان نعطى دروسا فى جميع المراحل فى عدد من اللغات الحديثة العالمية بحيث ان التلميذ عند تخرجه يعرف عدا العربية ولغة اسلامية واحدة على الاقل لغة او اكثر من اللغات العالمية الحديثة .

ان تعدد اللغات ضرورى فى تحصيل العلم وضرورى فى نشر الاسلام وتقويته فى نفوس ابنائه عامة وعلمائه بشكل خاص .

العلوم والمناهج :

ا ـ العلوم الاسلامية وهى معـــروفة للمختصين ، هناك علوم العربية وعلوم القران والحديث والتاريخ الاســــلامي والشريعة والقوانين الاسلامية والمذاهب الفقهية ويمكن تنويع الاختصاصات وتوزيع كل هذا فى كليات واقسام .

ب ـ العلوم الفلسفية والرياضـــــية والطبيعية والبيولوجية والنفســـــية والاجتماعية .

هذه العلوم كثيرة وعلى التلميذ المختص فى اى قسم من الاقسام ان يختار فى اى سنة من سنوات دراسته احد هـــذه العلوم حسب هواه ورغبته واذا كان التلميذ نشيطا فى امكانه ان يحصل على دروس اختيارية فى اكثر من علم واحد من العلوم الأخيرة .

المنــــاهج :

الجامعة الاسلامية العالمية هى ليست لتدريس الطب او الهندسة كطب وكهندسة وتحويل الأزهر الى المناهج الحديثة جعله معهدا تجاريا الى حد كبير واخرجه عن اغراضه الاصلية .

بلقيس الراوى

ورد خطا فى . العدد الماضى من الدوحة ان اسم الســـيدة زوجة الشاعر نزار قبانى هـــو بلقيس العانى وصحة الاسم هو بلقيس الراوى .

العلوم الاسلامية هى العلوم الاصلية الاساس فى الاقسام المختلفة . لكن الى جانب العلوم الرئيسية توضع ساعات للغات وللعلوم الفلسفية والطبيعية والاجتماعية يجب ان ياخذ التلميذ عدداً منها ، انما هو يختار منها حسب اهوائه واستعداداته .

هذا واقترح ان تكون هناك سنة اعدادية للتاكد من التوفيق بين المرحلة الثانوية والمرحلة القادمة . يتاكد فيها التلميذ من قابلياته وقد يكون فى امكانه فى نهايتها ان يبدل الجامعة اذا شاء ، اذ ما الداعى الى ابقاء تلامذة غير راغبين فى العلوم التى يدرسونها . ثم ان السنة الاعدادية تؤكد للمشرفين مدى صلاحيات المناهج والساعات والاختصاص . بعدها تكون هناك دراسة جادة لأربع سنوات يعطى فى نهايتها اختصاص ابتدائى فى مقدمات العلوم الاسلامية التى درسها الطالب . وفى امكان الطالب الذى لم يثبت كفاءة كبيرة فى دراسته ان يكتفى بالشهادة الأولى . ولا يسمح بمواصلة الدراسات العليا الا لعدد اقل . ان الاشراف على طلبة الدراسات العليا فى حاجة الى عدد كبير متدرب جاد اكاديمى من الاساتذة الذين يخلصون للبحث الحق ويخلصون تربوياً فى اشراف عميق ومفصل على الرسائل والابحاث التى يتسلمونها بعيداً عن التهويل والتجارة والسطحية التى نراها سائدة الآن فى اوساطنا العلمية مع الأسف .

وختاماً : ان الافكار الجيدة فى حاجة الى افئدة مخلصة وعزائم ثابتة تدعمها . ان الاسلام الحق الذى اخذ يبتعد تدريجياً عن الجو الاكاديمي فى بضعة القرون الاخيرة فى حاجة الى جامعات اصيلة كالازهر فى صورته الأولى عند انشائه وكالمستنصرية والنظامية .

هذا مع العلم ان هناك بذرات طيبة اليوم توجد فى انحاء من العالم الاسلامى من فاس والقيروان ومروراً بالقاهرة والنجف وانتهاء بمدن اسلامية عريقة كان لها ماض عظيم وفى الامكان احياء هذا الماضى اليوم بهمة ابناء نشطين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . صالح الشماع — جامعة بغداد

أعدموا سليمان الحلبي في «تل العقارب» وليس في تل العقاب

صفحتان جاء فيهما ذكر « تل العقارب » وهما فى الجزء الخامس من تاريخ الجبرتى .. والجزء السادس من الطبعة الفرنسية لنفس الكتاب

واسود
، والعسكر بأيديهم
نصب ذراعة بخرقة حرير سود
يها قصب مخيش ، وضربوا عند
وا من بيت الأزبكية على باب الخرق
فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة
وا أحضروا سليمان الحلبي والثلاثة المذكو
ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر ال
لى علوة من التراب بوسط تخشيبة ص
وفوقه كساء أبيض وزرعوا حول
ببنادقهما ملازمان ليلا ونها
ضه في السر عسكر

MERVEILLES BIOGRAPI
en marche, on tira de
cortège, parti de l'Ezbék
suivit la rue de Djamamiz
au monticule Akareb, dev
édemment construite par le
endroit, le convoi fut salué
l'Alépin et ses trois compli
xécutés conformément aux
poursuivit ensuite sa marc
el Aïni. Là, le cercueil fu
le recouvrit de terre
ombragée par une t
avait planté des
pour veiller

حول مقال « الموت على تل العقاب » الذى كتبه الاستاذ صلاح عبسى فى العدد (٧٦) ابريل ١٩٨٢ والذى تناول فيه وقائع مصرع القائد الفرنسى كليبر على يد ازهري من حلب هو سليمان الحلبي ، جاءنا من الدكتور احمد حسين الصاوي تصحيحا حول اسم المكان الذى اعدم فيه الرجل الذى طعن قائد جيش الشرق كليبر ، واعتمد فى هذا التصحيح على ما ذكر فى كتاب الجبرتي ، الذى يتضح منه ان الحلبى وزملاءه اعدموا فوق « تل العقارب » وليس « تل العقاب » ، وهو اول تلال منطقة زينهم (زين العابدين) ، ومازال يحتفظ باسمه حتى الآن ، ويقع بعد نهاية شارع السد قبل الاتجاه شرقا إلى قصر العيني ..

ففى الجزء الخامس من كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ، جاء فى وصف جنازة كليبر وإعدام سليمان الحلبى التالي :

« ... وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الازبكية على باب الخلق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى « تل العقارب » حيث القلعة التى بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا احضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فامضوا فيهم ما قدر عليهم ، ثم ساروا بالجنازة إلى ان وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها واعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء ابيض وزرعوا حوله اعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى امره واستقر عوضه فى السر عسكرية قائمقام « عبد الله جك منو » وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم وقد كان ظهر انه اسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامراة مسلمة .. الخ » .

ويرى الدكتور احمد حسين الصاوي انه اراد بهذا التصحيح أن يدعم الدراسة الجادة التى جاءت فى المقال الذى نشرته مجلة الدوحة ..

العلوم الاسلامية هى العلوم الاصلية الاساس فى الأقسام المختلفة . لكن الى جانب العلوم الرئيسية توضع ســاعات للغات وللعلوم الفلسفية والطبيعيــة والاجتماعية يجب ان ياخذ التلميذ عدداً منها ، انما هو يختار منها حسب اهوائه واستعداداته .

هذا واقترح ان تكون هناك سنة اعدادية للتاكد من التوفيق بين المرحلة الثانوية والمرحلة القادمة . يتاكد فيها التلميذ من قابلياته وقد يكون فى امكانه فى نهايتها ان يبدل الجامعة اذا شاء ، اذ ما الداعى الى ابقاء تلامذة غير راغبين فى العلوم التى يدرسونها . ثم ان السنة الاعدادية تؤكد للمشرفين مــدى صلاحيات المنــاهج والساعات والاختصاص . بعدها تكون هناك دراسة جادة لأربع سنوات يعطى فى نهايتها اختصاص ابتدائى فى مقدمات العلوم الاسلامية التى درسها الطالب . وفى امكان الطالب الذى لم يثبت كفاءة كبيرة فى دراسته ان يكتفى بالشهادة الأولى . ولا يسمح بمواصلة الدراسات العليا الا لعدد اقل . ان الاشراف على طلبة الدراسات العليا فى حاجة الى عدد كبير متدرب جاد اكاديمى من الاساتذة الذين يخلصون للبحث الحق ويخلصون تربوياً فى اشراف عميق ومفصل على الرسائل والابحاث التى يتسلمونها بعيداً عن التهويل والتجارة والسطحية التى نراها سائدة الآن فى اوساطنا العلمية مع الأسف .

وختاماً : ان الافكار الجيدة فى حاجة الى افئدة مخلصة وعزائم ثابتة تدعمها . ان الاسلام الحق الذى اخذ يبتعد تدريجياً عن الجو الاكاديمى فى بضعة القرون الاخيرة فى حاجة الى جامعات اصيلة كالازهر فى صورته الأولى عند انشائه وكالمستنصرية والنظامية .

هذا مع العلم ان هناك بذرات طيبة اليوم توجد فى انحــاء من العــالم الاسلامى من فاس والقيروان ومروراً بالقاهرة والنجف وانتهاء بمدن اسلامية عريقة كان لها ماض عظيم وفى الامكان احياء هذا الماضى اليوم بهمة ابنــاء نشطين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . صالح الشماع — جامعة بغداد

أعدموا سليمان الحلبي في "تل العقارب" وليس في تل العقاب

صفحتان جاء فيهما ذكر « تل العقارب » وهما فى الجزء الخامس من تاريخ الجبرتى .. والجزء السادس من الطبعة الفرنسية لنفس الكتاب

، والعسكر بأيديهم

قصب ذراعة بخرقة حرير سود

عليها قصب مخيش ، وضربوا عند

وا من بيت الأزبكية على باب الخرق

فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة

وا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكور

ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر ال

إلى علوة من التراب بوسط تخشيبة ص

وفوقه كساء أبيض وزرعوا حول

ببنادقهما ملازمان ليلا ونهار

ضه فى السر عسكر

MERVEILLES BIOGRAPH

en marche, on tira de

cortège, parti de l'Ezbek

suivit la rue de Djamamiz

au monticule Akareb, dev

édemment construite par les

endroit, le convoi fut salué

l'Alépin et ses trois compli

xécutés conformément aux

poursuivit ensuite sa marc

el Aïni. Là, le cercueil fu

le recouvrit de terre

ombragée par une t

avait planté des

pour veiller

حول مقال « الموت على تل العقاب » الذى كتبه الاستاذ صلاح عيسى فى العدد (٧٦) ابريل ١٩٨٢ والذى تناول فيه وقائع مصرع القائد الفرنسى كليبر على يد ازهري من حلب هو سليمان الحلبي ، جاءنا من الدكتور احمد حسين الصاوي تصحيحا حول اسم المكان الذى اعدم فيه الرجل الذى طعن قائد جيش الشرق كليبر ، واعتمد فى هذا التصحيح على ما ذكر فى كتاب الجبرتي ، الذى يتضح منه ان الحلبى وزملاءه اعــدموا فوق « تــل العقارب » وليس « تــل العقــاب » ، وهو اول تلال منطقة زينهم (زين العابدين) ، ومازال يحتفظ باسمه حتى الآن ، ويقع بعد نهاية شارع السد قبل الاتجاه شرقا إلى قصر العيني ..

ففى الجزء الخامس من كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ، جاء فى وصف جنازة كليبر وإعدام سليمان الحلبى التالي :

« ... وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخلق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى « تل العقارب » حيث القلعة التى بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا احضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فامضوا فيهم ما قدر عليهم ، ثم ساروا بالجنازة إلى ان وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها واعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء ابيض وزرعوا حوله اعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى امره واستقر عوضه فى السر عسكرية قائمقام « عبد الله جك منو » وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم وقد كان ظهر انه اسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامراة مسلمة .. الخ » .

ويرى الدكتور احمد حسين الصاوي انه اراد بهذا التصحيح أن يدعم الدراسة الجادة التى جاءت فى المقال الذى نشرته مجلة الدوحة ..

الأسرة البهمانية

تواصل التطلع للعرب والثقافة الإسلامية العربية

بقلم : أحمد العناني

اريد ان اقول ان ما افعله الآن هو مجرد نظرة طائر من عل على امتدادات واسعة ، ومحاولة لاستخراج القصة المتصلة للعلاقات العربية الهندية ـ فلقد بدأ محمد ابن القاسم بداية حضارية رائعة بتاسيس مراكز للدعوة الاسلامية فى الديبل (كراتشى الآن) وفى الرور والملتان ، واذا كان الوضع السياسى لدولة الخلافة فى الهند قد انحسر بعد ماساة محمد بن القاسم فان الأمثولة والأثر الحضارى ظلا متصلين ، وليس من المبالغة فى شىء ان نقول ان بطولة محمد ونزعته الحضارية فى الاهتمام بترسيخ قيم العدالة والأخوة والمساواة الاسلامية فى الهند ، وهى من احوج بلاد الله لذلك ، قد ظلت المثل الاعلى الماثل فى خيال كل من السلطان محمود الغزنوي وملوك دلهي اللاحقين من الغوريين ومحمد بن تغلق وخلفائه .. الذين انتهى امرهم بظهور السلطنة البهمانية بين عامى ١٣٤٧ ـ ١٥٢٧ م .

لقد أدرك السلطان محمد الثانى ـ من احفاد علاء الدين بهمن شاه ـ والذى حكم من (١٣٧٨ ـ ١٣٩٧) م اهمية صبغ الحياة الهندية بالصبغة العربية الاسلامية فما زال يشجع من يستطيع من علماء العرب والمسلمين ـ وبخاصة العرب ـ للقدوم إليه ومباشرة العمل فى تعليم العربية ونشر الثقافة الاسلامية فى دولته وفى عهده تحول الكثيرون من الهنود فى هضبة الدكن والبنغال الى الاسلام .

العناصر العربية تركز نفسها فى جوجارات

وحدثت احداث كثيرة قبل ان تؤول قيادة المسلمين فى دلهى الى امبراطورية المغول التى حكمت من (١٥٢٦ ـ ١٧٦١) تم خلالها تركيز واضح للتجار والجاليات والوعاظ والمدرسين من العرب بخاصة فى موقع جوجارات على ساحل المحيط الهندى لكن ثورة قامت فيها ضد السلطان المغولى اكبر ادت الى اضعاف المركز المعنوى المتميز لسكان جوجارات بمن فيهم العرب ولاشك بان الأباطرة المغول العظام الذين توصلوا الاسلام الى قمة مجده فى شبه القارة الهندية قد رفعوا شان العلاقات الثقافية مع العرب فضلا عن العلاقات التجارية ، ويكفى المرء اعتزازا واكبارا ان يرى معظم كتاب الله منقوشا بطراز من الخط الثلث الرائع على ارضيات من القيشانى الأزرق فى اطارات مزخرفة تحف بكل الاقسام الرئيسية من تاج محل ، وفى فترة هذه الدولة العظيمة نشط الأوروبيون فى الاتصال بالهند اتصالا بلغ قمته فى ترسيخ النفوذ والاحتلال البريطانيين حيث بدأت المؤامرة الكبرى ضد الاسلام طوال قرنين من الزمان امتدا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية .

الوجود الأوروبى يضعف العلاقات العربية الهندية

هنالك علاقة عضوية بين تاريخ شبه القارة الهندية والخليج العربى وشرقى افريقيا اعتبارا من بداية القرن السادس عشر ، والواقع ان اى بحث فى تاريخ الخليج خلال فترة الوجود الأوروبى فى المحيط الهندى وشرقى افريقيا لا يمكن ان يكون واضحا وموضوعيا بغير دراسة تاريخ الهند بخاصة وشرقى افريقيا .

لقد افتتح القرن السادس عشر بالهجمة البرتغالية المتعصبة الشرسة على خطوط الملاحة العربية فى المحيط الهندى والخليج .. وكانت المقاصد الأساسية للبرتغاليين الاستمرار فى الحرب التى كانت دائرة بينهم وبين المغاربة فى البحر المتوسط والهيمنة على الخطوط التجارية للمسلمين والعرب بعامة . وفى نطاق الحملة الدينية الصليبية بحث البرتغاليون عن القوى المسيحية كالحبشة وبعض قدامى النصارى فى سواحل الهند الغربية فاحكموا تعاونهم معها ثم جعلوا همهم انشاء قواعد ومحطات محصنة فى جوا وسورات بالهند وفى هرمز ومسقط والبحرين فى الخليج وفى مواقع أخرى فى شرقى افريقيا ملتجئين لكل وسيلة مهما كانت بربرية فى هجماتهم المباغته ولا سيما على الساحل العمانى . وقد كانوا ينشئون قلعة ضخمة غاية فى التحصين فى كل موقع هام يستولون عليه . كما عنوا بالسفن الكبرى المزودة بمدافع ثقيلة لتجوب البحر بين تلك المواقع وتحطم اية سفينة تجارية للمسلمين تستخدم الخطوط البحرية بين مواقعهم وقلاعهم الساحلية ، وقد استغلوا فرصة ضعف الدولة المغولية التى كانت تعانى الانقسام وتواجه حروبا متصلة من الثائرين عليها من غير المسلمين الهنود .. ومن المؤسف حقا ان المغول الذين اعطوا تراخيص لطلائع البرتغاليين على سواحلهم برهنوا على انهم لم يكونوا على ادنى تصور للخطر الكامن فى ذلك التسامح الغافل .. وقد باشر البرتغاليون العنف فى

محاولة تنصير الأهالى فى المواقع التى احتلوها فى مواقع كجوا وسيلان وبعض سواحل ولاية مهارشترا حتى اصبح عدد هؤلاء الكاثوليك الآن خمسة ملايين نسمة فى مختلف المواقع المذكورة ..

ثم جاء الهولنديون فى مطلع القرن السابع عشر فوضعوا خطتهم على اساس تجارى محض وهو احتكار تجارة البهارات كالكمون والفلفل يشترونها بالمنسوجات التى يحصلون عليها من الهند وبعض بلدان الشرق الأقصى وقد ركزوا على السفن الكبرى المسلحة وعلى احتلال بواغيز ملقا والجزر الاندونيسية جاعلين مقرهم فى بتافيا (جاكرتا الحديثة) بجزيرة جاوا .. وقد حصلوا على ارباح هائلة جدا كانت من قبل من نصيب العالم العربى .. وقد ادى الهولنديون دوراً هاماً فى طرد النفوذ البرتغالى وتعاونوا بادىء الامر مع الانجليز فى الخليج للاجهاز على البرتغاليين .. ومهما يكن من امر ذلك النزاع فان ضم البرتغال الأم الى اسبانيا لواخر القرن السادس عشر والكره الشديد لهم فى سائر الشرق ادبا الى اضعاف هائل لنفوذ البرتغال فى الشرق باسره .. وقد ظل الانجليز ضعافا الى جانب الهولنديين طوال القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، وان كانوا بمعاونة ملوك الصفويين فى الخليج قد تغلبوا مبكرين على خصومهم الهولنديين .. غير ان النفوذ السياسى الخطير للانجليز انما بدا فى اعقاب انتصارهم على الفرنسيين فى حرب السنوات السبع الأوروبية (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣ م) ، وكان هؤلاء قد مدوا نفوذهم هم الآخرون فى مواقع متعددة من ساحل الهند الغربى فالت مستعمراتهم هناك للانجليز .. وكانت الطفرة الكبرى الثانية للانجليز بعد هزيمة بونابرت عام ١٨١٥ حيث لم يلبث نفوذهم ان امتد الى الخليج العربى اعتبارا من هجوم الجنرال سير كير ـ جرانت على القواسم واملاء معاهدة السلام البحرى على شيوخ الخليج عام ١٨٢٠ .

ومهما يكن من شان التصرف الاستعمارى البريطانى فى الهند والخليج على السواء فان خضوع منطقة المحيط الهندى لسلطة واحدة ، وان قضى على اخر نشاط تجارى ضخم للعرب من الخليج الى الهند فى منتصف القرن الماضى ، إلا أن وحدة المنطقة اداريا (حيث كان حوض الخليج يحكم من الهند) ادى الى تنشيط العلاقات العربية الهندية والى عودة بعض الجاليات العربية للظهور على الساحل الهندى الغربى ولا سيما فى بومباى كما ان التجار الهنود من رعايا الهند البريطانيين وجدوا من تشجيع بريطانيا وحمايتها ما ادى الى كثرة وجودهم كممولين لصناعة اللؤلؤ ينالهم نصيب الأسد من ارباحها ، كما اصبحت بومباى هى المركز العالمى الاول لتجار اللؤلؤ فى العالم باسره . كذلك كان الهنود يظهرون فى الخليج كجنود فى اسطول الهند البريطانى وكموظفين لبعض الاعمال التجارية والفنية فى معظم بلدان الخليج العربى ..

لكن الوجود الملحوظ للهنود انما بدا فى اعقاب عصر البترول ولجوء شركاته الى استخدام الايدى العاملة الرخيصة من الهنود فى اعمال كالمحاسبة والطباعة والمهن الكهربائية والميكانيكية ، وبعض المهن الطبية وأعمال الخدمة فى المكاتب والبيوت ، وكذلك قيادة السيارات وخياطة الملابس وانواع من المتاجرات والحرف الأخرى ... وقد تزايدت هذه الحركة كثيرا بتنفيذ الخطط الكبرى للتنمية فى الخليج فكثر استخدام الناس من شبه القارة الهندية فى حرف البناء وأعمال الطرق وغيرها .

الحاجة الى دراسات علمية

مما ورد حتى الان يتبين بوضوح أن بابا واسعاً للدراسات التاريخية الاكاديمية فى تاريخ العلاقات العربية الهندية ما يزال مفتوحاً دون أن يدخله منا غير القلائل فى دراسات سريعة معظمها قائم على اوراق وزارة الهند البريطانية ووثائق مكتبتها فى لندن وهى تمس فى اغلبيتها الساحقة مجرد القرن التاسع عشر والعشرين وقليل منها يتعلق بما قبل ذلك .

فى هذا الصدد هنالك مجال كبير لدراسة عملية مدققة عن القبائل العربية من أيام الفتح الأول عهد محمد بن القاسم ، وهى قبائل ظلت متشبثة بحدود ولاية السند فى باكستان مع خراسان ، كما أن المجال مفتوح لدراسات للفترات التى انتعش فيها وجود جاليات عربية فى الهند فى عهد المماليك وايام الاسرة البهمانية التى حكمت فى الهند نهاية القرن الرابع عشر وعملت على تشجيع الاتصال الهندى ـ العربى ... كل ذلك بالاضافة الى العلاقات الدائمة الناشئة عن الثقافة الاسلامية الواحدة التى ادى لها الهنود خدمات جلى ...

اما فى القرن الماضى فان هناك علاقات اخرى اكيدة فى المجال السياسى حيث كان الهم واحداً فى مقارعة الاستعمار البريطانى ، ومقاومة حملات التبشير فى الهند كما فى البحرين ، كما كانت هناك علاقات ود وتجاوب فى الشعور بين حركات التحرير الهندية ، الاسلامية منها وغير الاسلامية وبين قادة الكفاح من اجل الاستقلال فى العالم العربى وهذا امر معروف ...

وفى المجال الادبى والفنون الشعبية هناك صلات قديمة ومتصلة بين شبه القارة الهندية والعالم العربى ، فاثار الهند واضحة فى القصص الشعبى كألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة وفى كتب الرحالة العظام كابن بطوطة وفى مؤلفات وحياة كبار الفقهاء والعلماء الهنود ، وفى مذكرات الحجاج الهنود فى رحلاتهم للديار المقدسة وفى اشعار وفلسفة الهنود المسلمين بخاصة كمحمد اقبال وغيره .

كما أن دراسة العائلات العربية التجارية التى ما يزال بعضها يعيش فى الهند ، ودراسة تاريخ الجاليات الهندية فى البلاد العربية والأثر اللغوى لكل جانب منها فى الجانب الآخر هو موضوع كبير قائم بذاته كما يقال .

وفى مجال المخطوطات حسبى ان اشير الى وجود الوف مؤلفة من المخطوطات العربية فى الهند ولاسيما فى جامعتى عليكرة وحيدر اباد ، كما اشير الى الوثائق وما تحويه فى دور الوثائق الهندية والباكستانية كدلهى وبومباى وجوا وكراتشى وعليكرة وغيرها ... إن وجود دراسات علمية وافية للعلاقات العربية الهندية هو امر غنى عن التعريف باهميته بالنظر لتزايد تلك العلاقات المرتقب بعد ذوبان ثلوج الاستعمار واخذ الجميع باسباب التطور والتحديث وارتباط المصالح بيننا وبين شبه القارة الهندية بعامة ... وعسى أن يكون ذلك موضع اعتبار جامعاتنا ومراكز دراساتنا فى سائر شبه الجزيرتين العربية والهندية والله ولى التوفيق .

أوري أفنيري

الصهيوني الخائف من التاريخ

دأب «أوري افنيري» على طرح نفسه ، فى صورة الاسرائيلى غير الصهيونى ، وهى صورة تكتنفها ظلال كثيفة من الشك ، لكن هذا الطرح بحد ذاته ، يشكل ظاهرة من جملة الظواهر التى اخذت الحركة الصهيونية تتمخض عنها فى السنوات الاخيرة ، وهذه الظاهرة ـ ظاهرة افنيرى ـ تستحق التامل والتقصي والدرس فيما اعتقد ، لأن ذلك يعين العقل العربى على رصد التفاعلات الجارية داخل الحركة الصهيونية والكيان الصهيونى من جهة ، وصياغة موقف تكتيكى ، اكثر تناسبا وتلاؤما مع المرحلة الراهنة من جهة اخرى .

وفى إطار هذه الصورة ، كان اخر اهم ما كتبه أورى افنيرى ، مقالة فى «هعولام هازية» بتاريخ ١٩٨٢/٣/١٧ ، حمل فيها بشدة على الحاكم «المدنى» للضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين «البروفسور» مناحيم ملسون ، وقال إن اسلوب ملسون القمعى ضد عرب الضفة والقطاع «يقود الى فاجعة وربما الى كارثة لا يمكن اصلاحها» .

وكان افنيرى قد كتب مقالة مهمة اخرى فى «هعولام هازية» فى ١٩٨١/١/١٤ ، انتقد فيها الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية المحتلة ، ووصف المستوطنين الجدد بانهم إما رعاة بقر يهود ، او معادين للديمقراطية .

وفى العاشر من شباط (فبراير) ١٩٨١ ، رفع افنيرى فى الكنيست الصهيونى العلم الفلسطينى الذى كان ملصقا على كرسى مطوى يحمل فى واجهته الأخرى صورة العلم الاسرائيلى ، وادعى افنيرى ، وهو يرفع الكرسى «ان هذين العلمين الواحد الى جانب الاخر هما مفتاح السلام .. كذا ..» «وان على الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى أن يعيشا جنبا الى جنب ، ولكل منهما علمه الخاص وضميره الوطنى .. !!» . وادعى ايضا ان هذا هو السبيل «لحل النزاع الذى يمزقنا» و «الخوف» من مواجهة «اهم مشكلاتنا» ـ اى القضية الفلسطينية ـ بطريقة واقعية ، تلك المشكلة التى «تجعلنا نعيش فى حالة هذيان» .

وبالطبع فان ردود الفعل داخل الكنيست على بادرة افنيرى ، تراوحت ما بين الاستهجان والازدراء ، من شمعون بيريس الى مناحيم بيجن ، ثم الى النائبة الشوفينية جيئولا كوهين التى عقبت على بادرة افنيرى بالقول : ان رفع هذين العلمين يعادل تماما رفع علم واحد فقط ، هو العلم الفلسطينى ، وذلك يعنى تدمير اسرائيل .

وكان الجنرال (المتقاعد) ماتى بيليد (متتياهو) ، قد رفع العلم الفلسطينى فى ١٩٨١/١/١٢ ، خلال اجتماع عقده ما يسمى بـ «مجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين» الذى يشترك فيه أورى افنيرى نفسه ، وفى ذلك الاجتماع الذى عقد فى القدس المحتلة ، قال الجنرال بيليد : «ان العلمين الاسرائيلى والفلسطينى مجتمعين سيشكلان منذ الآن شعار المجلس» .

وفى الواقع فان ظهور ما يسمى «بمجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين «الذى أسسه افنيرى وبيليد ، يشكل ظاهرة تستلفت الانتباه ـ لكن دون إعطائها حجما اكبر من واقعها ـ وهى إن دلت على شىء ، فانما تدل على المازق الايديولوجى والسياسى الذى بدا يواجهه الكيان الصهيونى المصطنع .

واذا عدنا الى تقصى الاسباب الخفية لهذه الظاهرة ، فاننا نلمس عقدتها فى وقت مبكر من حياة افنيرى . فهذا الصهيونى الذى هاجر الى فلسطين المحتلة مع ابويه من مدينة هانوفر الالمانية فى عام ١٩٣٣ ، كان متشبعا اولا بالافكار الصهيونية ، وخاصة لجهة نفى حقوق الشعب الفلسطينى ، واعتبار فلسطين «أرض الميعاد والأجداد» بالنسبة لليهود .

وهكذا نرى افنيرى يكتب فى عام ١٩٣٨ «... قتل العرب وإلقاء الانجليز خارج البلاد وتغيير زعماء اليهود ، هو الاسلوب الوحيد الذى كان يبدو مقبولا بالنسبة إلي» . لكن افنيرى الذى انتسب الى المنظمة الارهابية «الارغون» ، بدا بالتفكير بشكل اعمق بعد الانشقاق الذى عرفته هذه المنظمة ، لذا نراه يكتب فى وقت لاحق عن افكار جديدة بدات تتسابق الى ذهنه ، وقادته الى تشكيل مجموعة صغيرة ، اخذت تزاول العمل السياسى ، واثارت بعض الضجة قبيل عام ١٩٤٨ ، وعرفت هذه بـ «جماعة الكفاح» ، وكانت «عقيدة» هذه الجماعة فى غاية البساطة : «... لقد ولدت امة جديدة فى فلسطين واصبحت جزءاً من الشرق الاوسط عليها ، ومن خلال كفاحها للتحرر من النير البريطانى ، ان تساعد الامم الاخرى فى هذه المنطقة على طرد اسيادها الامبرياليين ... وكان على «حركتنا القومية» ان نقيم «جبهة سامية» منسقة مع حركة القومية العربية : نضال مشترك هدفه توحيد المنطقة السامية» .

هكذا نرى من خلال طروحات افنيرى المبكرة ، ان هذا الصهيونى بدا يكتشف «خللا ما» فى صلب الايديولوجيا الصهيونية ، وهو يقول إن تحولا جذريا طرا على تفكيره بعد قيام اسرائيل ، بحيث اصبح «داعية تفاهم مع العرب» على حد ادعائه .

وقبل ان نوغل اكثر فى استعراض افكار اورى افنيرى ، نشير الى ان هذا الرجل الف فى أواخر عام ١٩٤٧ ، كتيبا تحت عنوان : «الحرب والسلام فى المنطقة السامية» ، حذر فيه من اخطار مشروع تقسيم فلسطين انذاك ، وخلال

بقلم : عصـــام شـريـح

حرب عام ١٩٤٨ ، كان افنيرى يقاتل فى صفوف جيش العدو على الجبهة الجنوبية ، وقد جرح انذاك ، وعند خروجه من المستشفى كتب يومياته تحت عنوان : «فى حقول الفلسطينيين» ، وجنى من حقوق التاليف ما يكفى لشراء صحيفة اسبوعية كانت على وشك الزوال ، هى صحيفة «هعولام هزيه» (١٩٥٠) ، ومنذ ذلك الوقت استخدم افنيرى الصحيفة كمنبر لنشر افكاره السياسية ، وكاداة عمل سياسى ، سعى من خلالها الى تكوين تجمعات وحركات ذات هدف سياسى : الحركة السامية (١٩٥٧) ـ البيان السامى (١٩٥٨) ـ اللجنة اليهودية ـ العربية لالغاء الحكم العسكرى (١٩٦١) .

وفى عام ١٩٥٦ ، فاز افنيرى بمقعد فى الكنيست ، وبقى فيه حتى فبراير ١٩٨١ عندما تخلى عن مقعده لعربى من نفس الحزب «شيلى» . وكان قد اصدر منذ عام ١٩٦٦ ، مجلة شهرية باللغة العربية اطلق عليها اسم «هذا العالم» ، وهو يوزعها فى الأوساط العربية فى الارض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وبعدها . وفى عام ١٩٦٨ ، نشر كتابا بالانكليزية والألمانية ، يعتبر خلاصة افكاره ونشاطاته ، وكان بعنوان «اسرائيل دون صهيونية» ، وقد اعاد نشره باللغة الفرنسية ، لكنه اصدر طبعة منه باللغة العربية تحت عنوان مختلف تماما هو : «حرب اليوم السابع» ، فيما يبدو انه تهرب من مواجهة انتقادات صهيونية .

تسوية مستحيلة

من خلال قراءة افكار واراء افنيرى ، يتبين ان هذا الصهيونى القديم اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيونى افكار وهواجس مختلفة تصب كلها فى محاولة البحث عن تسوية للصراع العربى ـ الصهيونى ، يقبل بها العرب ، ولا تمس «اسرائيل» فى خطوط عام ١٩٦٧ . ولهذا نلحظ ان افنيرى يحاول تقليص الصراع بل ومسخه ، من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة على الاخرى فى نهاية المطاف ، الى ترتيبات هامشية توقف التمدد الاستيطانى فى الاراضى العربية المحتلة ـ ولو بصورة مرحلية ـ وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين فى عام ١٩٦٧ ، واقامة كيان فلسطينى الى جانب الكيان الصهيونى ، على ان يتعايش الكيانان بموجب صيغة سلام مكتوبة ، وهو يقول فى هذا السياق : «... إن فلسطين بكاملها وطن لامتين : «الأمة العبرية» (اليهودية) و«الأمة الفلسطينية» ، وإن وحدة البلاد ضرورية بجميع سكانها من الناحية الروحية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، ولا يمكن تحقيق هذه الوحدة إلا بفضل اتفاق «الشعبين» اللذين يعيشان فوقها ، ويحق لكل منهما الاستقلال الوطنى .

ويمضى افنيرى فى عرض تصوراته لحقلة السلام المقترحة ، فيقول : إن المناعة القومية للشعبين فى البلاد تتحقق بوجود دولتين : «دولة اسرائيل» و «دولة فلسطين» ، وتكونان مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى اسرائيل ان تشجع قيام دولة فلسطين العربية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، شريطة ان تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل !!!

اما بالنسبة للحدود او بالأحرى الخطوط الفاصلة بين «الدولتين» المقترحتين ، فان افنيرى يربطها بخطوط عام ١٩٦٧ ، ويقول انه لا يمكن تعديل هذه الخطوط إلا بموافقة «الدولتين» ، لكن افنيرى يتخبط بشكل فاضح عندما يصل الى تحديد وضع مدينة القدس ، فهو يدعو الى جعل «القدس الموحدة» عاصمة لاسرائيل والدولة الفلسطينية فى آن ، ومركز «مؤسساتها المشتركة» ثم نراه يتخبط مرة اخرى ، عندما يحاول تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم ، ولكى يبرر هذه العلاقة ويسبغ عليها صفة الشرعية ، يقول فى خطته ، انه لا يجوز ان تمنع الروابط القائمة بين اسرائيل والدولة الفلسطينية قيام علاقات وشراكة خاصة بين الدولة العبرية ويهود العالم من جهة ، وبين فلسطين والعالم العربى من جهة اخرى ، على ان لا يمنع ذلك احتفاظ كل من الكيانين بسيادته الكاملة فى جميع الامور غير المدرجة صراحة فى بنود تحالفهما ويشير افنيرى فى مشروعه الى ضرورة انضمام الأردن الى الحلف (الاسرائيلى ـ الفلسطينى) المنشود ، إما باندماج الضفة الشرقية لنهر الأردن مع الدولة الفلسطينية ، وإما بادخالها فى الحلف كدولة ثالثة .

ويشرح افنيرى افكاره حول هذا الحلف بشىء من الاسهاب ، فيقول إنه لا توجد حواجز اقتصادية غير تلك التى يتفق عليها الطرفان الاسرائيلى والعربى ، وانه لا يسمح لتواجد قوات عسكرية اجنبية ، كما يتوجب توفير ضمانات فعلية لمنع «التهديدات المسلحة الموجهة ضد احدى الدولتين» ، وهذه قد تشمل مناطق منزوعة السلاح ، او قواعد عسكرية لكل دولة داخل اراضى الدولة «الشقيقة» على حد تعبيره ، او انشاء جيش فدرالى .. الخ . وبالنسبة للتنقل والاقامة يدعو افنيرى الى حرية واسعة فى هذا النطاق ، كما ينادى بجعل اللغتين العربية والعبرية ، لغتين رسميتين فى كلا «الدولتين» ، لكنه عندما يتطرق الى موضوع الاستيطان اليهودى نراه يتهرب من اتخاذ موقف واضح من هذه القضية ، ويطلق حرية الاستيطان «للدولتين» ليبرر بذلك مضي اسرائيل فى استقدام وجلب المهاجرين اليهود اليها .

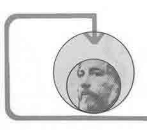
وبشكل عام ، فان بيت القصيد من «الحلف الاسرائيلى ـ الفلسطينى» المفترض لدى افنيرى هو تحقيق «اندماج البلاد بدولتيها» فى إطار إقليمى عريض ، يرتكز الى «سلام عادل وتعاون اقتصادى وسوق اقتصادية مشتركة» ، كما يعتمد مشروع افنيرى على وسائل دفاعية جماعية بغية الوصول الى اقامة كونفدرالية اقليمية .

تخبط وعموميات .. أيضاً

وفى وثيقة اخرى وضعها اورى افنيرى تحت عنوان : هذه مبادئنا (نشرها فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩) ، نلحظ نفس التخبط السابق لدى افنيرى ، اضافة الى اطلاق العموميات دون حساب وفى خفة تبلغ حد التفاهة احيانا . كما نراه فى هذه الوثيقة ، يجتر معظم افكاره السابقة ، فهو يقول فى المبدأ الاول مثلا : ان « دولة إسرائيل » المستقلة ذات السيادة بحدودها القائمة ، ملك لجميع مواطنيها دون فرق فى القومية او الطائفة او الدين او الاصل او اللغة . يكرر هذا النص او ما يشبهه فى اكثر من مبدأ واكثر من موضوع .

أوري أفنيري

الصهيوني الخائف من التاريخ



كما ان افنيري يدعـــو فى نطـــاق العموميات التى يسردها فى «هذه مبادئنا» الى دمج العرب فى الحياة الاسرائيلية !! والغاء التمييز العنصرى ضدهم ، والغـاء « قانون الغائب » الصادر فى عام ١٩٥١ ، وقانون شراء الأراضى الصادر فى عام ١٩٥٣ ، وهذان القانونان يسبغان الصفة القانونية المظهرية على استيلاء السلطات الاسرائيلية على الأراضى العربية .

وفى خطوة تبدو اكثر تقدما ، نلحظ افنيري يدعو الى تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم .. وبالعكس ، بحيث لا يكون لأي منهما تدخل فى الشؤون الداخلية للآخر . لكنه لا يضمن الوثيقه دعوة صريحة إلى فسخ « الزواج الكاثوليكى » القائم بين الطرفين .

وفى بادرة خجولة لتاييد الهجـــرة اليهودية واستمرارها ، نراه يقـــول :

« ... تســـتقبل الدولة باحترام اليهـــود القادمين ، او أى قادمين اخـــرين !! ، يستطيعون مد المساعدة والعون لتقوية الدولة وتقدمها » .

لكن المسالة الاكثر اهمية فى « هـــذه مبادئنا » ، تكمن فى دعوة افنيري « لدولة اسرائيل » ، لكى تكون « جزءاً لا يتجزا من منطقة شرق اسيا وشمال افريقيا » ، ثم تحديده الهدف الأساسي للجيل الحـــالى من الاسرائيليين ب « ضمان الاندماج » فى المنطقة كشريك مستقل ومتساو فى الجسم السياسى والاقتصادى « لهذه المنطقـــة المتعددة القوميات » !! ، ويكمل افنيرى دعوة الاندماج هذه ، بدعوة اسرائيل « الى التجاوب بشكل مبدئى مع رغبة العالم العربى فى التحرر القومى والتقـــدم الاجتماعى والنمو الاقتصادى » ويقول : إن « على دولة اسرائيل الا تمد يد المساعدة الى اى جسم عالمي او من المنطقة يهدف إلى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة فى كنوزها ، الطبيعية ، او الى استعبادها للمصالح الاستعمارية او الراسمالية » ، كما « على اسرائيل ان تعمل على قيام تجمع حر لشعوب المنطقة ، اقتصادى وعسكرى ، وتحييد الشرق الأوسط ، واخلائه من السلاح الذرى » .

الصهيونية والصليبية

فى ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز افنيرى على اعتبار اسرائيل جزءا لا يتجزا من المنطقة العربية !! على حد قوله طبعا ، ودعوته إياها الى الاندماج فى المنطقة ، نطرح سؤالا : لماذا هذا الالحاح على هذه النقطة بالذات لدى افنيرى؟؟! .. وما هى رؤياه فى هذا النطاق ؟! فى وقت لا يتورع فيه عن الاعلان عن رفضه للنضـــال الفلسطينى ، ومباركته للكيان الصهيوني .

فى الحقيقة تشكل « العقدة الصليبية » مفترقا حاسما فى تفكير افنيرى ، فهو يخشى ان تلاقى اسرائيل فى نهاية المطاف ، نفس المصير الذى لقيته الدولة الصليبية فى الشرق ، وإن كان افنيرى يحاول استبعاد هذه الكاس المرة عن اسرائيل ، بالاشارة الى فرضية تقول ان التـــاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمي وميكانيكى . لكن نرى افنيرى يعقد مقارنة بين الحركتين الصهيونية والصليبية ، فيروى انه بعد عدة سنوات من حرب عام ١٩٤٨ ، وقـــع صدفة على كتاب « ستيفان رونسيمان » البارع ، وهو بعنوان « تاريخ الحروب الصليبية » . ويقول انه عندما وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين الهادفة الى حماية مملكتهم من العرب ، مقابل قطاع غزة ، اصيب (اى افنيرى) باضطراب ، بسبب تفكير اسرائيل فى احتلال نفس المواقع ، عندما كان هو نفسه جنديا فى الجيش الاسرائيلى . ويضيف انه خلال قراءته لكتاب « رونسيمان » هذا ، كانت تتبادر الى ذهنه مئات الصـــور المتشابهة ، حتى فى الشخصـــيات الصهيونية المعاصرة وتلك الصليبيـــة البائدة ، ويقول افنيرى متسائلا : اى اسرائيلى يا ترى يطابق امير الجليـــل الصليبى ؟! ومن هو الاسرائيلى الذى يشبه دوق الأردن الصليبى ؟! ... « إن التشابه مثير للغاية .. » . ولقـــد كان الصليبيون بارعين فى لعبة الحرب ، شان الاسرائيليين اليوم ، إذ كانوا يعرفون أن امنهم انما كان يكمن فى سرعتهم فى رد « هجوم العدو » ، وقد استمرت مملكـــة الصليب ، تماما كمملكة نجمة داوود ، فى التوسع بواسطة الحرب ، ولفترة طويلة بعد قيامها ، كان الصليبيون يسيطرون فى اوج توسعهم على مساحة تفوق مساحـــة الأرض التى احتلتها اسرائيل بعد حـــرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

وفى هذه المقارنة ، يلاحظ افنيرى ان الاسرائيليين يعتبرون انفسهم اليـــوم « مكافحين » فى سبيل يهود العالم ، تماما كما كان الصليبيون يعتبرون انفســـهم « مكافحين » لاجل جميع مســـيحيي العالم ! !

كما يلاحظ افنيرى التشابه فى الوضع الاقتصادى لكل من المملكة الصليبيـــة والكيان الصهيونى ، فقد كانت مملكة القدس الصليبية (كمـــا يـــورد ذلك رونسيمان) ، بحاجة من اجل بقائها واستمرارها ، الى سيل متواصل من الاموال والرساميل القادمة من اوروبا على شكل هبات دينية او مدنية ، وصداقات وضرائب حج .. لقد كانت اوروبا كلها ملزمة بتمويل الدولة الصليبية ، وفى حال اختفاء هـــذا التمويل كان من المحتم ان يختـــفى الصليبيون من الشرق .. وهكذا اسرائيل ايضا .. إذ كيف لاسرائيل ان تستمر دون المساعدات ، بل سيل المساعدات والهبات المالية والسلاحية والغذائيـــة من الغرب ؟ ؟ !

العبرة .. والمازق

تقود المقارنة التى عقدها افنيرى بين المملكة الصليبية والكيان الصهيونى ، الى طرح السؤال التالى : هل يعني التشابه الذى يصل احيانا كثيرة الى حد التطابق ، الى احتمال ان تواجه اسرائيل نفس مصير المملكة الصليبية.؟؟ .. ثم هل أدرك افنيرى هذه النتيجة من خلال المقارنة المثيرة التى عقدها بين الكيانين.؟؟

إن مما لاشك فيه ، ان طروحات أورى افنيرى ، ورفيقه الجنرال بيليد ، تنبىء عن فهم متعمق لحركة التاريخ ، وتوميء إلى ان اسرائيل قد وصلت بعد اربعة حروب متواصلة مع العرب ، إلى طريق مسدود ، تماما كتلك النتيجة التى وصل اليها الصليبيون الذين فشلوا فى اخضاع العرب واجبارهم على الاستسلام بعد حروب دامت ثمانية اجيال ، وعلى مدى قرابة مائتى سنة ، وكانت تلك النتيجة ان القى العرب بالصليبيين فى نهاية المطاف فى البحر ، وهذا المصير ، يعتبر فى الواقع انذارا لاسرائيل بمصير مماثل ، وهو ما يضعه افنيرى فى راس قائمة حساباته ، ويحاول تفاديه عن طريق طروحاته التى للحنا اليها .

وحتى اللمعة الفكرية فى طروحات افنيرى ليست فى الحقيقة من بنات افكاره ، بل هى مقتبسة من « رونسيمان » حيث يقول : « ... ما وراء البحار ـ هكذا كان الاوروبيون يدعون الدولة الصليبية ـ وكان « ما وراء البحار » هذا ، قد تاسس بفضل مزيج من الحمى الدينية ، والتعطش الى المغامرة وبناء الاقطاعات والامارات والممالك الخاصة ، انما اذا كان على هذا ال « ما وراء البحار » ان يدوم ويستمر بشكل سليم ، فانه ما كان بامكانه ان يظل تابعا للغرب من حيث امداده بالمال والرجال ، بل كان يتوجب عليه ان يمكن وجوده الاقتصادى الخاص ، وما كان بوسعه التوصل الى هذه النتيجة ، إلا بشرط التفاهم مع جيرانه ، فاذا كانوا محبين وحياتهم مزدهرة ، كان هو ايضا محبوبا ومزدهرا » ، ويمضى « رونسيمان » قائلا : « ... غير ان نشدان صداقة المسلمين كان يبدو خيانة كاملة للتصور المثالى لدى الصليبيين ، واما بالنسبة للمسلمين فما كان بمقدورهم قبول فكرة وجود دولة دخيلة واجنبية فيما كانوا يعتبرونه ارضهم ! ... ان الصليبيين راكموا الاخطاء فى الواقع ، وكانت سياساتهم متقلبة تخشى المبادرات الجريئة ، ولكننا لا نستطيع ادانتهم (على حد تعبير رونسيمان) ، لكونهم لم يجدوا حلا لمشكلة لم يكن لها حل فى الحقيقة » .

نستنتج مما تقدم ، ان افنيرى قام باقتباس فكرة رونسيمان عن ضرورة قطع الصليبيين علاقاتهم باوروبا ، وإيجاد قاعدة اقتصادية والتفاهم مع جيرانهم العرب المسلمين ، من اجل البقاء وديمومة الكيان . وافنيرى يحاول منذ عدة سنوات تنبيه الاسرائيليين الى المازق التاريخى الذى وصلوا اليه فى المنطقة العربية بعد اربعة حروب مريرة اثبتت فشل الحلم الصهيونى فى استقطاب يهود العالم . ولذلك نراه « يستعير » الحل الذى طرحه « رونسيمان » على اساس التعايش و « الاندماج » من أجل الخروج من المازق ، وتفادى نفس المصير الذى لقيه الصليبيون وافنيرى نفسه يقول ان مؤرخا مشهوراً « لم يسمه » ، قدم له نصيحة فحواها ما يلى : « على الاسرائيليين ان يعتبروا كتاب رونسيمان « تاريخ الحملات الصليبية » دليل عمل لهم لمحاولة تجنب الاخطاء وعدم تكرارها » .

ولعل فى راس العبر والدروس التى خرج بها افنيرى من قراءته لكتاب رونسيمان ، انه لمس ان هناك عاملين اساسيين لعبا دوراً حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى ، وهما : الرفض العربى للاحتلال ، ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع الا الاخذ بمبدا التحالف مع الخارج (الغرب المستعمر) ومعاداة العرب دون هوادة .

تجاهل وتحريف

وخلاصة القول ان افنيرى مصاب بالرعب من صورة النهاية بالنسبة لاسرائيل ، وخاصة بعد الحربين الثالثة والرابعة ، فبالرغم من الانتصار الكاسح الذى أحرزته اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ الا ان العرب لم يستسلموا ابداً ، ولم يفقدوا إرادة الصمود والمقاومة والاستعداد للانتقال من الدفاع الى الهجوم ، وهو ما فعلوه وحققوه فى الحرب الرابعة ١٩٧٣ واذا كان افنيرى يحاول التهرب من رؤية الصورة التاريخية ، بل الحتمية التاريخية بنفى هذه الحتمية ، والقول إن التاريخ لا يتكرر بنفس الرقابة والحركة الميكانيكية ثم بالقول إن السلاح النووى له تاثير حاسم فى صياغة المعادلات التاريخية ، فان افنيرى يقع فى خطا جسيم ، لانه يتصور ان التطور والتقدم مقتصران على إسرائيل فقط ، وان امتلاكها للسلاح النووى لن يقابله سعى عربى لامتلاك هذا السلاح عاجلا او آجلا .

ثم هناك نقطة اخرى يتجاهلها افنيرى ويحاول تحريفها ، وهى دعوته إلى قيام اتحاد كونفدرالى بين الدولة الفلسطينية المقترحة و « الدولة الاسرائيلية » من اجل السيطرة على اقتصاد المنطقة ، واستغلال ثروات الوطن العربى ، فافنيرى يتجاهل هنا ان الفلسطينيين هم عرب اولا واخرا ، وارتباطهم بامتهم اقوى . ولهذا .. فاننا نقول لافنيرى وزميله الجنرال بيليد : ان مواجهة الواقع كما هو ودون تزييف ، وليس تبرير الامر الواقع الذى فرضته القوة الغاشمة الصهيونية ، هو الطريق الى الحل السلمى المرتجى للصراع العربى ـ الصهيوني .

عصام شريح



جمال قطب



الفنان « موديلياني » ، الذى ترك وطنه (ايطاليا) ليبحث عن ذاته فى باريس

موديلياني

العبقري الصعلوك

قبل ان يلفظ (موديلياني) انفاسه الأخيرة ، افاق لحظة وهو يعاني سكرات الموت ، ونظر إلى اصدقائه من الفنانين الذين تجمعوا حوله من سكان حي الفنانين فى مونمارتر ، ومونبارناس ، وقال :

« لقد قبلت زوجتي قبلة الوداع ، واتفقنا على أن نلتقى فى الجنة » !

واوصى بان يشيع إلى (بير لاشيز) مقبرة الكتاب والشعراء والفنانين ! وهكذا ودعت باريس اخر الفنانين البوهيميين عام ١٩٢٠ ! ... شابا وسيما ذا ستة وثلاثين ربيعا قضاها متعبدا فى الجمال ورسم المرأة باسلوبه الفذ المميز !

اما صاحبة الصورة فى هذه اللوحة الشهيرة فهي زوجته الفنانة الرقيقة (جان هيبوتيرن) التى اوفت بالعهد .. وانتحرت فى اليوم التالي لوفاته لتلحق به فى العالم الأخر !

رآها لاول مرة بمقهى (الروتوند) الشهيرة فى مونبارناس حيث يلتقى الفنانون وأصحاب المواهب وحول موائدها الكلاسيكية العتيقة .. كانت فتاة بسيطة وديعة رقيقة الوجه لاتعرف التبرج .. خفق قلبه بحب حقيقي لاول مرة ، فقد كان مضرب الأمثال فى مغامراته الطائشة وحياة الفوضى والبؤس والتسكع .. وكان مرضه القاتل القابع فى رئتيه منذ الطفولة يدفعه دفعا إلى الاستهانة بحياته القصيرة ، وكانه يتعجل يوم الخلاص ! وما إن وقع فى غرام فتاته الوادعة حتى احب الحياة وعكف على إبداعه يتامل ويرسم ويستخلص من بين عشرات الأساليب الفنية التى درسها على يد اساتذته الكبار .. اسلوبه المميز الذى انفرد به واصبح علما فى الفن الحديث . وتزوج العاشقان .. واحاطته (جان) بكل عطفها ورعايتها ، فانتج عددا من احسن لوحاته مستلهما فيها بساطتها ورقتها وبراءة وجهها ودقة ملامحها . ولكن الداء لم يمهل الزوجين طويلا ليهنآ بالحب والشهرة أكثر من عامين بعد حياة الاستقرار التى نعما بها اخيرا ... واسدل الستار ، وكانت النهاية !

ويطلق على موديلياني : أمير الصعاليك .. ولكن (مودى) كان فى حقيقته شابا تعيسا مرهف الحس لدرجة التوتر ، يغص قلبه بكل هموم الفنانين الباحثين عن طريق. !لقد هاجر إلى باريس تاركا وطنه ايطاليا ، لا ليعربد او يبدد حياته فى اللهو والعبث .. وإنما ليبحث عن ذاته فى عاصمة النور ومعترك المدارس الفنية الحديثة والتيارات الفكرية وملتقى المبدعين من جميع انحاء العالم .. وكان يرسم فى سرعة وعصبية وكانه يفترس الصفحات افتراسا ، فقد قضى سنوات عمره القصير يبحث عن أسلوب يعبر به عن مشاعره هو وإحساساته لا ليقلد الآخرين وعاش مهموما يعتصره المرض والقلق والطموح والفقر والشعور بدنو الاجل بين يوم واخر .. ولذلك .. كان يهيم على وجهه متجولا فى ازقة باريس لا يلوي على شيء .. ولا يعير الناس التفاتا .. ولا يبالي باسماله البالية التى لا تمت إلى الاناقة بصلة ؛ فقد كان مشغولا عن كل ذلك باثقال ينوء بحملها جسده السقيم وعواطفه المكدودة !

ولذلك اسموه بالبوهيمي الصعلوك .. وتقديرا لعبقريته ومكانته الفنية ، خلعوا عليه الامارة فلقبوه بامير الصعاليك !

لقد كان موديلياني ومضة فى ابداعات الفن الحديث ، ماكادت تتوهج حتى خبت وابتلعها عالم الصمت الرهيب ! ولكنه سيعمر طويلا .. طويلا ، إن تاريخ الفن يضعه الآن فى مصاف العمالقة الكبار !





لوحة زيتية رسمها الفنـــــان العالمى « موديليانى » لزوجته التى ماتت بعده بيوم واحد !

الكنوز الحية
في المياه القطرية

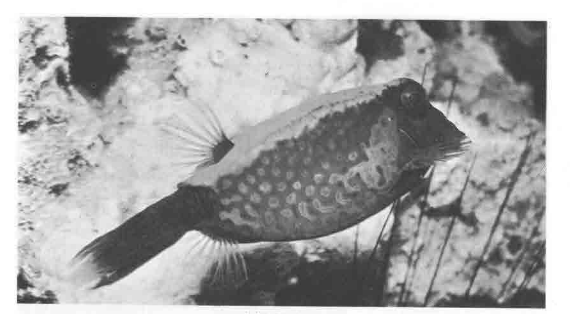
بقلم: إبراهيم فؤاد أحمد



اجمل اسماك « النيسرة » المحلية ، وهى غير شائعة ، وتنمو ليصل طولها إلى ٣٥ سم

يعتبر الخليج كنزاً غنى الألوان والأشكال من الاسماك والأحياء البحرية الأخرى قل ان تتوفر فى غيره من البحار فهو بشبه انعزاله يشكل بيئة بحرية فريدة غنية تتطلب قدراً كبيراً من العناية والاهتمام من قبل الأقطار المحيطة به حتى يستمر فى عطائه وحتى تنعم وتستفيد به الأجيال القادمة .

. والخليج غنى نسبيا ومنتج من الناحية البيولوجية حيث تتوفر فى مياهه بكثرة الهائمات النباتية والحيوانية (البلانكتون) التى تتكون اساسا من النباتات والطحالب المجهرية ، وبيض ويرقات الحيوانات المختلفة وتعتبر البلانكتون الاساس الغذائى الهام لجميع الأسماك والحيوانات البحرية ، وتختلف طبيعة القاع فى الخليج من منطقة الى



سمكة صندوق البحر ، التى تغطى نفسها بدرع واق ، ولها زعانف رشيقة تستخدمها فى المناورة



هذه السمكة تستطيع سحق المرجان والمحار ، وتنام فى عش على قاع البحر ، ويسمونها « جين » !

اخرى .. من صخرى الى رملى الى الطمى الدقيق ثم الشعاب المرجانية والأصداف والقاع المحتوى على الاعشاب البحرية ، وكل شكل من اشكال القاع هذه تضم فيما بينها مجتمعا متكاملا ومتشابها فى الخصائص من النباتات والحيوانات البحرية المختلفة . ولقد انعكست هذه الظروف الطبيعية الفريدة التى تميز الخليج على الحياة البحرية فى مياهه مما اضفى على هذه الحياة صفات متميزة وخصائص نادرة .

يعيش فى مياه الخليج اكثر من ثلاثمائة نوع من الأسماك التى تم وصفها والتعرف عليها حتى الآن ، سنستعرض هنا بعض المجموعات الهامة وكذا الأنواع الغريبة والنادرة . وسنستخدم الأسماء العربية الدالة على الصفة المميزة لهذه الأسماك وكذا الأسماء المحلية الخليجية بقدر الامكان .

● الأسماك المنشارية (الهوامير)

من اسماك المياه الضحلة التى تعيش بالقرب من الشواطىء وهى من الوجبات الشهية فى الخليج ، بطيئة الحركة تعيش فرادى قابعة بين الصخور والمرجان . تتميز

بفمها الواسع وهى شرهة نهمة تفترس بلا تمييز ولا تخصيص كل ما يمكنها اكلة ، وقد ينمو الهامور ليصل طوله الى اكثر من مترين ومن الظواهر العلمية والغريبة ان فى هذه الاسماك تتحول الاناث فيها الى ذكور بعد وضعها للبيض وهذا التغيير يحدث فى اعمار تتراوح بين ٥ ـ ١١ سنة ، وتعيش الذكور حوالى ٢٥ سنة . اما سمكة « الشنينوه » القريبة الشبه بالهامور نهى مفترسة وخطيرة ولكن لا يزيد طولها فى الغالب عن ٤٠ سم وهى تتميز بالوانها الزاهية الجميلة وتعيش فى شكل انفرادى متوارية فى الصخور المرجانية .

● الأسماك الببغائية

شائعة جدا ومنتشرة بين الشعاب المرجانية الضحلة وحول المناطق العشبية تتميز بالوانها الزاهية وتمر بتغييرات فى أشكالها والوانها حسب جنسها وعمرها فمعظم الأشكال البنية والحمراء منها هى اناث او صغار الذكور ، بينما تكون ذات الالوان الزرقاء والخضراء عامة ذكوراً متقدمة فى العمر ، وهى تبنى أعشاشها بين الحشائش البحرية لوضع بيضها وحماية صغارها . وتنام عادة فى شرنقة رقيقة من مادة مخاطية او عشبية داخل حفرة مرجانية . وتتحور الاسنان هنا وتلتحم فى شكل منقار قوى يشبه منقار الببغاء ويستطيع سحق وتفتيت كميات هائلة من المحارات والقواقع والشعاب المرجانية التى تتغذى عليها اساسا هذه الأسماك .

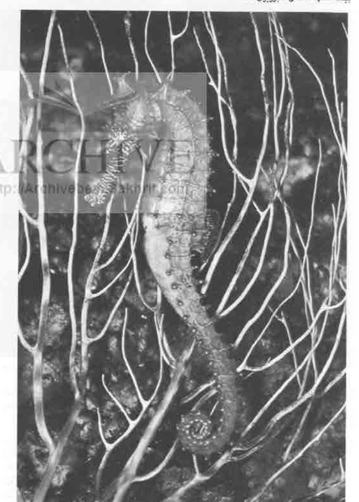
● الأسماك الأنبوبية

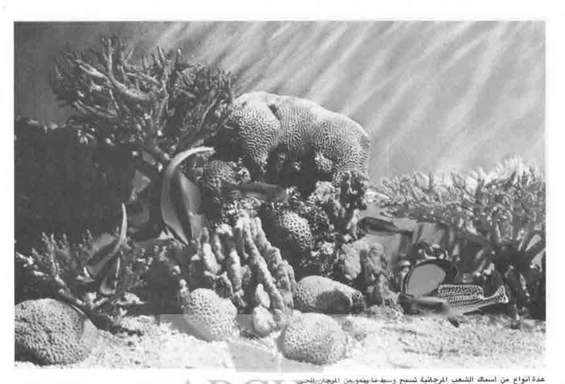
مجموعة متباينة ليس لها اسنان تتغذى بامتصاص الماء المحمل بالكائنات الحية الدقيقة داخل الفم الصغير الذى يقع فى نهاية الخشم الانبوبى الطويل ، معظمها ذات حجم صغير ، تعيش فى المياه الساحلية الضحلة ، تتعلق بالمرجان والطحالب والاعشاب البحرية . وجميع هذه الاسماك ضعيفة فى السباحة وتعتمد على قدرتها فى التمويه والتخفى للمحافظة على حياتها بتلوين نفسها وثنايا جلودها بالوان تتشابه مع البيئة المحيطة ، و (حصان البحر) هو احد هذه الاسماك التى يتشابه الراس فيها ومقدم الجسم مع راس وعنق الحصان ، ولها ذيل طويل تتعلق بواسطته فى الأعشاب أو المرجان ، ولذكر حصان البحر زعانف بطنية ملتحمة مكونة كيسا او جيبا تضع الانثى بيضها فيه ، ويلقحه الذكر ، ويحمله حتى يفقس صغارا يحتضنهم إلى ان يستطيعوا الاعتماد على انفسهم .

● الأسماك الحجرية

اسماك مفترسة خطيرة ضعيفة السباحة تعتمد على التمويه والتخفى وعلى اشواكها السامة لتضمن حياتها . فالسمكة الحجرية القبيحة الشكل تساعدها الوانها الباهتة وقدرتها على تغيير الوانها حسب البيئة المحيطة على التخفى وسط الصخور والحجارة والقيعان الرملية والصدفية ، ولا يمكن تمييزها عنهم الا بصعوبة بالغة وتبقى ساكنة هناك فى انتظار مرور فريستها لالتقاطها ، ولهذه السمكة غدد سامة منتفخة عند قاعدة أشواك زعنفتها الظهرية ومن خلالها تستطيع أن تحقن سما مؤلما قوى التاثير قد يكون قاتلا . أما ديك أو دجاجة البحر ، فهى تتميز بالوانها الزاهية ، وتسبح ببطء ، وهى تنفش ريشها (زعانفها الصدرية) كما ينشر الطاووس ذيله ، مثلما تخفى اشواكها التى تنفث السم الخطير فيمن يقترب منها كسم

هذه السمكة المألوفة تسبح عموديا مستعملة زعانفها الصغيرة فقط ، ونطلق عليها اسم حصان البحر ، بينما اسمها العلمى « بوزيزى » :





عدة انواع من اسماك الشعب المرجانية تسبح وسط ما ينمو من المرجان الحي

العقرب تماما . وهى تشاهد متعلقة داخل الشقوق الصخرية والشعاب المرجانية بدون حركة فى انتظار اختلاس سمكة صغيرة كفريسة سهلة غير متوقعة لها .

● الأسماك الصندوقية ، المنتفخة ، المسلحة ، الابرية

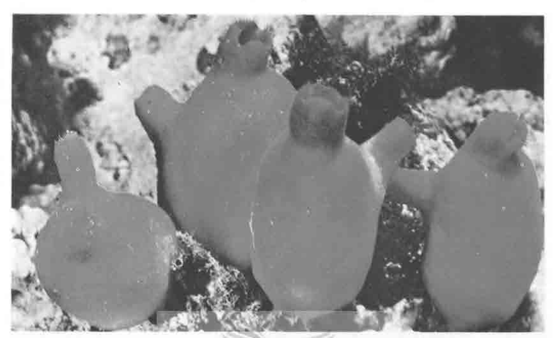
انواع ملفتة للانتباه تمتلك مجموعة من وسائل الدفاع للحماية ومعظمها بطيئة فى السباحة وتعيش حول الشعاب المرجانية وفى المناطق العشبية وكثير منها من النوع السام ، فاسماك الصناديق الجميلة تمتلك درعا صلبا من صفائح عظمية ملتحمة تتخللها فقط بعض الفتحات التى تبرز منها الزعانف الرخوة . صندوق البحر (سمكة يونس) مهياة لافراز مواد سامة فى الماء يمكنها أن تنتحر بها وتقتل ما حولها من اسماك اذا ما استثيرت فى مياه مغلقة .

أما الأسماك المنتفخة (الفحل والاعنزة) فلها القدرة على نفخ اجسامها فجاة لتصبح ضعف او ثلاثة اضعاف حجمها الاصلى وتبدو مثل البالون بابتلاعها كمية كبيرة من الماء ، وحينئذ تتصلب الأشواك القصيرة الموجودة فى جلود بعض انواعها مما يؤدى الى تقهقر فورى للمهاجم . ومعظمها اسماك سامة لا تصلح للأكل إلا انها تؤكل فى اليابان بعد ازالة الكبد والمبايض القاتلة بعناية فائقة . اما الأسماك المسلحة والابرية فكلها تمتلك اشواكا وإبرا ظهرية قوية يمكنها أن تبقى منطوية وكان هناك صمام امان يتحكم فى طيها واطلاقها عند الحاجة إليها فى الهجوم والدفاع ومن امثلتها أسماك الحمارة ، حمارة الكعبان ، كليب الدو ، الجرجومية الشائعة ، وبعضها يتميز بالوان زاهية جميلة مثل النوع الذى يطلق عليه (الخنزير) حيث تتشابه كثيرا مقدمة الراس والفم مع راس الخنزير ، وجميعها ذات فم واسنان قوية تتولى تقطيع وتكسير والتقاط اجزاء المرجان والمحار والأعشاب وقنافذ البحر ذات الاشواك (رماى ـ رشيته)

وعلى العموم فان الأنواع الكثيرة التى تضمها هذه المجموعة هى أسماك شعاب مرجانية هامة ترعى وتاكل المرجان وتستخدم (الفجل والاعنزه) منقارها العظمى القوى لتسحق به اهداف المحار والرخويات والمرجان . اما صناديق البحر فهى قادرة بمقدمة راسها وفمها القوى المشطوف عديم الأسنان على قرض وامتصاص الغذاء ، وعلى الرعى فى المناطق العشبية . وهناك نوع من الاسماك الجميلة النادرة المسلحة بمشرطين كمشرط الجراح الماهر على جانبى ذيلها تستخدمها بمهارة كوسيلة للدفاع والحماية ولذلك اطلق على هذه السمكة (الجراح) ويتوفر منها فى الخليج نوعان ابدعتهما يد الخالق عز وجل وهما من اسماك الشعاب المرجانية النموذجية .

● أسماك الشعب المرجانية

تضم الشعاب المرجانية اكثر المجتمعات البحرية الحية انتاجية وتنوعا فى الخليج واجملها واندرها على الاطلاق ، (فراشات البحر ـ الأسماك الملائكية) (العنافيز ـ عماد كرب ـ مشط العروس (الرقيعة) ـ العماد .. وغيرها) امثلة نموذجية لهذه الأسماك المرجانية الرائعة الجمال ، وهى تتواجد فى المياه الضحلة فى ثنايا المرجان



اشكال والوان رائعة الجمال من مجتمع اللافقاريات البحرية فى الخليج

تعطيها اشكالها الرقيقة سهولة للاختباء داخل الشعاب (التمويه) ، وتتميز بالوان زاهية فالبعض منها مزخرف والاخر مخطط بخطوط بيضاء او صفراء او برتقالية اللون . وهناك اختلاف كبير فى الالوان بين صغار هذه الأسماك وكبارها كما فى (العنفوز) . وفى (الرقيعة) يستطيل مقدم الراس لينتهى بفم صغير يحتوى على اسنان صغيرة جدا مثل اطراف الفرشاه تؤهلها لالتهام زوائد المرجان (البوليب) والطحالب المائية واللافقاريات الصغيرة. ونلاحظ ان (اسماك العماد) و (عماد كرب) لها أجسام مفلطحة تغوص بها الى القاع ببطء (عندما يعتريها الفزع) وتندمج اشكالها وزعانفها الطويلة مع اشكال الاعشاب البحرية والمرجان فتبدو وكانها ورقة نبات ميتة صفراء او سوداء او رمادية اللون .

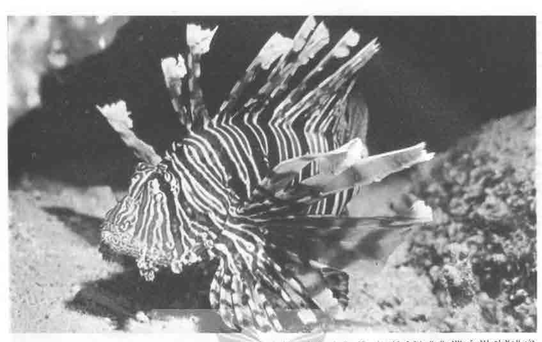
● الأسماك الثعبانية

اسماك خطيرة مفترسة تعيش داخل الشقوق الصخرية والكهوف المرجانية تستطيل اجسامها كما فى الثعابين البرية وتختفى الزعانف التقليدية فى الأسماك حيث تلتحم الزعانف الظهرية والذيلية والشرجية مكونة مع الذيل القوى مجدافا يساعد مع عضلات الجسم فى حركة الحيوان البطيئة فى الماء . والمثال النموذجي لهذه الاسماك هو الانكليس (الناجوج) الذى يصل طوله احيانا إلى حوالى ثلاثة امتار ، وهو مخلوق خطير مفترس يصعب طرده من شقوق الصخور وتسبب اسنانه الحادة القوية جروحا بليغة .

● أسماك القرش (القرقور) والقوابع وما شابهها

أسماك بدائية تتميز بهيكلها الغضروفى وجلدها الخشن المغطى بصفائح عظمية صغيرة بدلا من القشور فى الأسماك الاخرى . وللذكور زوج خارجى من الاعضاء التناسلية . ويتم تلقيح الذكر للانثى داخليا وليس خارجيا كما فى بقية الأسماك المعروفة ، وتضع الأنثى بيضها فى اغلفة مربعة او مستطيلة الشكل ملتصقة بمجموعة خيوط مخاطية بالاعشاب البحرية والصخور ، وقد تحتفظ الأنثى فى بعض الانواع ببيضها داخل تجويف الجسم حتى يفقس صغارا حية تضعهم فى الماء بعد خروجهم من خلال فتحة بولية تناسلية مشتركة بين البطن والذيل . والقروش كلها ذات نشاط ليلى تعتمد على حاسة الشم القوية فى البحث عن غذائها ، ولكن ليست جميعها خطيرة ومفترسة (كما يظن) اما (الحياسة ، الكنازة ، وكلاب البحر) فهى قروش اليفة كسولة بطيئة الحركة تمسح القاع ليلا باحثة عن غذائها من اللافقاريات وحيوانات القاع ، وتعتمد فى سباحتها على ضربات ذيلها القوى وعضلات جسمها ذى الهيكل الغضروفى المرن ، وقد تنمو (الكنازة) فيصل طولها الى اكثر من مترين ووزنها الى ربع طن . اما القروش السريعة والخطيرة والمفترسة فنعرف منها فى الخليج سبعة انواع اساسية منها الناعوض والقرقور . واخطرها واشرسها على الاطلاق هى القروش مطرقية الراس (الاقرن) وهى تتميز براسها الغريب الشكل الذى يشبه المطرقة وتتواجد الأعين على النهايتين البعيدتين من الراس .

واضخم القروش واندرها فى الخليج هى (القروش الحيتان) تلك الأسماك العملاقة الغير مؤذية على الاطلاق ، والتى تتغذى على الكائنات المجهرية (البلانكتون) ، ويصل طول الواحد منها احيانا الى حوالى ١٤ مترا . وتعتبر القوابع القرشية (السيافى ــ السوس ،



هذه العلامات المثيرة والاشواك السامة تستخدمها سمكة « الديك » فى ابعاد الأعداء عنها !

الهيريرى) اسماكا انتقالية بين القروش والقوابع (اللخمة) . وفى « السيافى » يستطيل الفم للأمام على شكل منشار مسنن عظمى مفلطح يستخدم فى قتل وتقطيع الفريسة ، وتستخدم اسماك السوس ، الهيريرى هذا البروز الأمامى فى تقليب القاع بحثا عن اللافقاريات الحية .

والقوابع (اللخمة) من الأســـــماك شديدة التفلطح التى تلتحم فيها الزعانف الصدرية تماما مع الجسم مكونة قرصا بيضاويا او مستديرا . وهى تسبح قرب القاع مرفرفة بهذه الزعانف كما يرفرف الطائر بجناحيه ، وذيلها غالبا ما يأخذ الشكل الحبلى الطويل وهو مزود بشوكة او اثنتين . والشوكة حادة خطيرة تغطى قاعدتها مادة مخاطية سامة يمكن ان تسبب شللا وخطورة كبيرة للانسان . ومع ان موضع الفم على السطح السفلى للراس يعتبر مريحا اثناء انتزاع اللخمة للقشريات والرخويات من قاع البحـــر ، إلا انه يسبب مصاعب فى التنفس ، لذلك فان اللخمة تتناول الماء المحمل بالاوكسجين واللازم للتنفس من خلال فتحتين فى السطح العلوى من الراس خلف العينين .

ويتواجد فى الخليج نوع من القــــوابع الكهربائية (رعاد ــ فترة) تستخدم قدرتها فى احداث صدمة كهربائية قوية لشل الفريسة واقصاء الأعداء عنها . وهناك فى الخليج حوالى عشرة انواع مختلفة من (اللخم) تختلف اشكالها واحجامها من الصغيرة الى العملاقة التى قد يصل طولها الكلى (بما فيه الذيل) الى حوالى اربعة امتار ، وقطر اجسامها الى أكثر من مترين والجدير بالذكر ان هناك نوعا من الأسماك الذى يعيش دائما مرتبطا بهذه المجموعة من القروش والقوابع ملتصقا بها مستخدما ممصات قوية على السطح العلوى للراس ملتقطا بقايا الغذاء منها ، ذلك هو (اللزاق) او (قملة القرش) ، ويسبب لها احيانا كثيرا من المضايقات وربما الجروح .

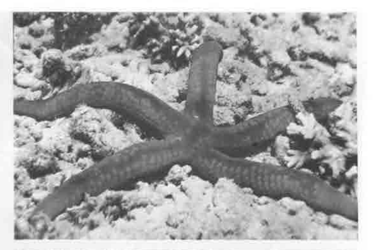
● الأسماك الاقتصادية الشهيرة

يعتبر الخليج غنيا بخيراته من الأسماك الاقتصادية العالية الجودة من الناحية الغذائية والتى تشكل غــذاء اساسيا لشعوبه . وهو فى هذا يكتفى ذاتيا ويقوم بتصدير الفائض احيانا إلى الاقطار الأخرى المجاورة . وإذا استعرضنا بسرعة تلك الانواع من الأسماك سنجد من اهمها عائلة الهوامير ــ عائلة الربيب ، الصافى ، الكنعد ، الحاكول ، السلس ، السكن ، الجد (البراكورا) ، النيسر ، الحمرة ، الشعرة ، الينم ، المطوع ، الهلالي ، البدح ، البياح ، الجرجفان ، الفسكر (بنت النوخدة) ، السردين (العوم) وغيرها من عشرات الأنواع الجيدة والشهية على المائدة الخليجية ، ومن هذه الأنواع اسماك مفترسة خطيرة مثل السكن ، الجد (البراكودا) (الذى يصل طوله احيانا إلى مترين ويهاجم الانسان عشوائيا بلا تمييز ويشاهد احيانا فى اسراب وجماعات تضم المئات مختلفة الأحجام .

● الزواحف البحرية

تعيش فى مياه الخليج باعداد كبيرة مجموعتان من الزواحف البحرية هي السلاحف البحرية (الخمس) ، ثعابين البحر (بولجين) . وهي مثلها مثل بقية الزواحف التى تسكن اليابسة (السحالى ــ التماسيح والثعابين وخلافه) . تتنفس الهواء الجوى مباشرة بواسطة الرئتين ولها درع من قشور صلبة تحمى اجسامها ، ولكن حدثت بها بعض التحورات الخارجية والفسيولوجية الداخلية لتلائم حياتها فى البحر .

وتتواجد في مياه الخليج خمسة انواع





لقطتان نادرتان ، الاولى لنجم بحر ازرق يرقد فى قاع البحر .. والاخرى لربيان الشعاب المرجانية اثناء حركته المستمرة بحثا عن الطعام !

من السلاحف اكثرها شيوعا وانتشارا هما النوعان الاساسيان المعروف اولهما بالسلاحف الخضراء التى تاخذ صدفتها اللون البنى المائل للاخضرار ويصبح زيتونيا غامقا بتقدمها فى العمر وتنمو الى اكثر من متر فى طول صدفتها ، وترعى فى الأعشاب البحرية .

النوع الثانى اصغر حجما ويعرف باسم (ذات منقار الصقر) وهو اقل شيوعا ويتغذى على مختلف الأنواع المتوفرة من الحيوانات البحرية صدفته بلون الكهرمان تتراكب قشورها فوق بعضها . وهناك نوع ثالث (ذات الراس الضخم) صدفتها ذات لون أصفر وعريضة وعنقها قصير جدا . اما السلحفاة الجلدية فهى اندر السلاحف البحرية واضخمها على الاطلاق فى العالم كله وفى الخليج قد يصل طولها الى ثلاثة امتار ووزنها الى نصف طن . وفى هذا النوع تستبدل الصدفة العظمية للسلاحف البحرية الأخرى بغطاء سميك من الجلد الأسود المدعم بخمسة حواجز طولية متعظمة ، والجلد هنا غنى جدا بالمواد الدهنية ، وتتغذى اساسا على الاسماك الهلامية والخثاق ، كما ترعى الاعشاب البحرية .

اما ثعابين البحر (البولجنى) فهى من اهم الزواحف المفترسة التى تلفت الانتباه ويوجد منها على الأقل خمسة انواع لعل اكثرها شيوعا النوع ذو اللون الاصفر الذى يميل للاخضرار مع وجود خطوط رمادية تحيط بالجسم كله وينمو الى اكثر من متر ونصف متر طولا ، وهو يسبح ببطء مندفعا بواسطة ذيله المفلطح مستخدما إياه كمجداف ، ويظهر على السطح فى فترات للحصول على الهواء الجوى وهو يتغذى على الأسماك الصغيرة الحفارة والديدان الصغيرة التى يلتقطها بادخال راسه الصغير فى جحورها ويبتلعها ، وهناك نوع اخر من ثعابين البحر وهو ذو لون رمادى مخطط بخطوط سوداء ، وهو أصغر حجما ويطفو على سطح الماء دون حراك كقطعة خشب طافية ، وعندما تحاول بعض الأسماك الصغيرة الاحتماء اسفله يمسك بها بفكيه المتحورين لهذا الغرض اتساعا وطولا . وتحقن ثعابين البحر فريستها بسم قوى يؤدى الى شللها وقتلها فى الحال . وهذا السم خطر جدا على الانسان . وعلى الرغم من ان الانواع المحلية لا تهاجم الانسان إلا انه يجب التعامل معها بحرص شديد لخطورتها .

● الثدييات البحرية :

● عائلة الدلافين (الدخس) وعائلة بقرة البحر :

تعتبر الثدييات البحرية من أكثر المخلوقات ندرة وإثارة للاهتمام فى منطقة الخليج والعالم كله ، وربما يكون الخليج هو الملاذ الاخير لهذه الحيوانات البحرية التى قاربت على الانقراض إن لم تكن قد انقرضت فعلا فى بعض بحار العالم . وهى مثلها مثل بقية الثدييات الارضية ومنها الانسان . إنها تلد وترضع صغارها وتتنفس الهواء الجوى بواسطة رئتين متطورتين وتمتلك مخا وجهازا عصبيا راقيا وخاصة الدلافين مع بعض التطورات الخارجية والفسيولوجية للتلاؤم مع البحر . وهذا النوع النادر الموجود فى الخليج فى طريقه الآن للانقراض إذا لم يتم بسرعة المحافظة عليه وتحريم صيده . أما الدلافين (الدخس) فهى اذكى الحيوانات البحرية على الاطلاق . فهى تمتلك مخا وجهازاعصبيا متطوراجدا ، ويتواجد فى الخليج حوالى اربعة انواع من الدلافين منها ذلك النوع المعروف باسم (الدرفيل ذى انف الزجاجة) وله جسم انسيابى رمادى فاتح من أعلى وابيض من اسفل وهو أذكى انواع الدلافين حيث يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة ويقوم الآن بتقديم عروض رائعة والعاب مختلفة فى بعض المعارض المائية فى العالم كما يستخدمونه الآن فى الولايات المتحدة فى اغراض حربية وفى التجسس .

● اللافقريات البحرية

الأسماك والزواحف والطيور والثدييات حيوانات فقارية تتميز بوجود عمود فقرى متكون من عدد من الفقرات المنفصلة ، لها جهاز عصبى متطور ومعقد ، وهنالك انواع أخرى هائلة العدد من الحيوانات شغلها الشاغل هو التغذية والهرب من الافتراس والحركة والتكاثر ولكنها غير مزودة بالخصائص المتقدمة الأخرى وهى تفتقر أساساً للعمود الفقرى تلك هى (اللافقاريت) التى تتواجد انواعها فى مياه الخليـــج ، فالاسفنجيات ، المرجان ، الديدان البحرية ، الرخويات ، القشريات ونجوم البحر والقنافذ البحرية كلهـــا ضمن اللافقـــاريات الهـــامة التى تشـكل اهمية اقتصادية كبيرة للانســـان نفســـه ، كما انها تعتبر من المكونات الغذائية الأساسية لأعداد ضخمة من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى .

● شقائق البحر ، المرجان الحجرى والمرجان الزهرى ، وقناديل البحر

ينتمى الى هذه المجموعة كثير من أجمل اللافقاريات التى تسكن البحار واكثرها إثارة على الاطلاق ، التركيب الاساسى لها هو ما يسمى (البوليب) ذلك البروز أو الانتفاخ البسيط التركيب المجهرى الحجم والمحتوى على فتحة واحدة مركزية محاطة بعدد من اللوامس الطويلة المزودة بخلايا لاذعة متخصصة تنطلق منها قذائف مسممة تصوب ناحية العدو أو الفريسة لالتقاطها وهضمها داخل البوليب ثم طرد بقاياها خارجه .

وشقائق البحر (شقائق النعمان) تتركب أساسا من عدد من البوليبات الاسطوانية ذات لحم هلامى متصلب . وهى بدون هيكل ولها اشكال براقة جميلة . وفى المرجان الحجرى تفرز قاعدة كل بوليب رخو مادة كربونات الكالسيوم (يستخرجه الحيوان من ماء البحر) لبناء هيكلها الصلب . والاشكال المختلفة من الشعاب المرجانية (الفشت) إن هى إلا مستعمرات من اعداد هائلة من البوليبات المرتكزة على قاعدة صخرية .

وتسكن الخليج فى اعماق مياهه المختلفة عشرة انواع أساسية على الأقل من المرجان الذى يبنى اشكالا والوانا غريبة من الشعاب تؤلف مع الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ــ التى تزدحم داخله وحوله ــ حديقة مائية زاهية لا ينعم بجمالها غير الغواصين الذين يصلون بأجهزتهم إليها .

● الرخويات البحرية

● القواقع ، المحارات ، عاريـــات الخياشيم ، الحبارات (الختان) والأخطبوط .

جميعها من الرخويات الخليجية ذات الاهمية الاقتصادية العالية .

فى « القواقع » يمتلك الحيوان قدما عضلية واحدة يتحرك بها ببطء زاحفا على الصخور والقاع الرملى ، ويعـــزز الحيوان صدفة جيرية واقية لحمايته تاخذ اشكالا مختلفة معظمها حلزونى الشكل وبعضها قمعى أو قلمى . والحيوان هنا عادة يفترس اللافقاريات الصغيرة وبعضها مثـــل الأصداف القمعية) تستخدم احد اسنانها القمعيـــة الحاقنة للسم لتقتنص به فريسة أو ربما سمكة صغيرة . وقد حدثت بعض حالات الوفاة للانسان من تأثير هذا السم القوى أما المحارات فتفرز صدفة ذات مصراعين منفصلين لحماية اجزاء جسمها الرخوة ولها فتحتان تسمحان للماء المحمـــل بالاكسجين وجزئيات الطعام الدقيقة بالدخول للمرور على الخياشيم ثم الامعاء بعد ترشيحه (تقوم بترشيح اكثر من ٤٠ لتر ماء فى اليوم) . ومن امثلتها العامة محار اللؤلؤ (بنكتارا) الذى يثبت نفسه فى الصخر أو القاع الرملى بخيوط خاصة وعندما يتسرب جسم غريب او حيوان بحرى صغير داخل انسجة المحار فانه يسبب إزعاجاً للمحارة التى تحاول التخلص من هذا الازعاج بافراز اللؤلؤ من مادة الماء كى تحاصر ذلك الجسم الطفيلى ، وتستمر المحـــارة فى افرازها لعرق اللؤلؤ الى أن تتكون اللؤلؤ .



الدولفين ذو انف الزجاجية إنه يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة

أما « عارية الخياشيم » فهى رخويات لا تمتلك صدفة لحمايتها وكلها مفترسة رغم ضالة احجامها . واجسامها عبارة عن كتلة هلامية تتميز بالوان زاهية واشكال وحركات رشيقة ويشاهد دائما فى طرفها الامامى من اعلى حلقـــــة من ريش رقيق (تلك هى الخياشيم العارية) التى تتنفس بهـــــا .

ويعتبر الربيان ــ ام الربيان (لوبستر) ــ السرطانات (القباقب) ثم (النو) من اهم القشريات فى الخليج التى تتميز جميعها بهيكل خارجى صلب (صـــــدفة مرنة) ومجموعة من الارجل المفصلية ، واكثرها شهرة هو ربيان الخليج الذى يدفن نفسه فى الرمل والطمى ، ويتغذى على حيوانات القاع الصغيرة ليلا ويتواجد النوع الشائع من ام الربيان فى نفس مناطق الربيان ، أما النوع من ام الربيان المتميز بقرون استشعاره وملامسه وزوائـــده الراسية الطويلة والوانه الجميلة وحجمه الاكبر فيتواجد بكميات محدودة مختبئا نهاراً فى الجحور والثنايا المرجانية ، وينشط ليلا بحثا عن غذائه من المحارات والسرطانات وغيرها .

أما السرطانات (القباقب) فتتواجـــد بكثرة فى الشواطىء الرمليـــة (وفى المساكر) وكذا مختبئة بين الصـــخور والشعاب المرجانية واشهرها هو السرطان السباح الأزرق ، وسرطان المرجان الأحمر وكلها مفترسة وتسبح جيداً فى عرض البحر ، وهناك السرطان الناسك أو المتعبد المتواجد فى بيئات متعددة حيث يقوم بحمل اى صدفة قوقع خالية ليحمى بطنه الملتف الرخو ، وعليه أن يقوم بانتظام بتغيير هذه الصدفة باخرى اكبر حجما كلما زاد نموه وكبر حجمه .

ابراهيم فؤاد أحمد



فى وسط العاصمة نيقوسيا حيث الطبيعة الخلابة التى تجعلك تشعر بمتعة النزهة



عالم السحر والجمال والأساطير!

بقلم: مجـدي نصيف

عندما ولدت سيدة الجمال « أفروديت » على شواطىء هذه الجزيرة الجميلة ، حملتها حوريات البحر إلى الغابات حيث نمت وترعرعت ، لتصبح أسطورة يتداولها الجميع فى شغف ، وينصتون الى تفاصيل احداثها فى متعة لا يشعر بها إلا من يضع قدميه على أرض جزيرة قبرص الزاخرة بالجمال والفتنة والحكايات التى تمثل نهراً لا ينضب أبداً !

وتاريخ قبرص على العموم مليء بالمغامرات والاحداث . فقبرص تقع فى الطرف الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، فى مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، انها لا تبعد غير أميال قليلة عن اسيا الصغرى وسوريا ولبنان وتركيا واليونان ، ومائتى ميل عن مصر . وهذا الموقع الاستراتيجى لقبرص بين اسيا وافريقيا وأوربا جعلها مركزاً هاماً وهو الذى حدد ــ فى نفس الوقت مصيرها ، وبالتالى تاريخها وثقافتها . إن هذا الموقع هو



مدينة نيقوسيا هى المدينة الوحيدة التى تقع داخل البلاد ، لان كل مدن قبرص الاخرى على الساحل !



السور القديم الذى كان يحيط بالعاصمة ، بعد أن تجاوزه العمران والتوسع الذى حدث فى العاصمة

الذى جعلها نهبا لجميع القوى الكبرى التى توالت على تاريخ العالم منذ قديم الزمن . وتعطى آثار الجزيرة التى تمتد خمسة آلاف سنة دليلا قاطعا على احداثها التاريخية .

وتستأثر قبرص بظاهرة انقاذ الآثار الهامة والموجودات منذ العصر النيوليثى حتى العصر الحديث ، وتتنافس على أرضها القصور الكلاسيكية والمعابد القديمة والآثار الرومانية بالذات بقلاعها وحصونها وأسوار العصر الوسيط والمعابد القوطية والكنائس البيزنطية . والجزيرة عموماً متحف لكل هذه المراحل التاريخية . وقد تجمعت الصور البيزنطية فى متحف صغير بنيقوسيا العاصمة ، كما توجد أيضا فى معابد بيزنطية مبعثرة على امتداد الجزيرة ، وكذلك من خلال الفن الشعبى الذى لعب دوره فى انقاذ الأساليب والأنماط والتصميمات البيزنطية متمثلة فى صناعة الأوانى والنسيج والتطريز ، وتكون عادات وتقاليد سكان الجزيرة (اليونانيون) عادات وتقاليد بعيدة . وكما كتب البروفيسور الهولندى مسلخ :

– «لا يوجد مكان اخر فى العالم احتفظ فيه بالتقاليد البيزنطية كما فى قبرص . فرئيس اساقفتها يمسك فى يده بصولجان الاباطرة البيزنطيين ، ويرتدى رداء الأباطرة الاحمر ، ويوقع مثلهم بالمداد الأحمر» .

لكن قبرص استقبلت بالتتابع روافد حضارية من اليونانيين والفينيقيين والآشوريين والمصريين والعرب والرومانيين والأتراك ، وتلاقت فيها تيارات شتى ، فكان لها من هذا كله طابع فريد يعكس بصمات الزمن وأصداء التاريخ . وهناك مؤرخون عرب ابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى القرن الخامس عشر خصصوا لقبرص صفحات كثيرة من كتبهم وفى طليعتهم الواقدى والبلاذرى وأبو المحاسن والطبرى والادريسى وابن الاثير وأبو الفداء وابن بطوطة والسيوطى .

رحلة بالسيارة

وقبرص جزيرة صغيرة فى البحر الأبيض المتوسط لا تزيد مساحتها عن ٩٢٥٠ كيلومترا مربعا ، مما يجعلها

الجزيرة الثالثة فى البحر الأبيض بعد جزيرتى صقلية وسردينيا ، وهى اكبر قليلا من جزيرة كريت ، وتعداد سكانها لا يزيد عن ٦٥٠ الفا ، يتجمع منهم مائة الف فى نيقوسيا . ولان الجزيرة صغيرة فافضل شىء لاكتشافها هو رحلة بالسيارة ، ذلك انها جزيرة ، عالم صغير ، يمتزج فيه التاريخ بالأساطير وجمال الطبيعة .

بدانا بالعاصمة : نيقوسيا ، والمدينة الوحيدة ايضا التى تقع فى داخل البلاد ، إذ أن بقية المدن على سواحلها . أصبحت عاصمة الجزيرة منذ القرن الثانى عشر الميلادى حينما دمر الغزاة المدن الساحلية وهى مبنية على موقع احدى مدن المماليك الاثرية المسماة ليدرا . وقد توسعت العاصمة اليوم لتمتد خارج أسوارها القديمة ، وفى منطقة نيقوسيا هناك العديد من المناظر الخلابة ، خاصة ناحية الغرب ، حيث تمتد حدودها الى تلال ترودوس ، ووديانها الجميلة المليئة باشجار الحور الفضية الباسقة وبساتين الكرز والتفاح ، هنا أماكن الاصطياف التى تجذب الاف السياح كل عام .

والى جنوب غرب العاصمة تقع مدينة بافوس . انها مزيج غنى من المناظر الخلابة والاماكن التاريخية والأسطورية والميناء الجميل والقلعة حيث الحانات والمطاعم وزوارق صيد السمك . وقد كانت بافوس هى عاصمة قبرص فى العصر الرومانى ، وهى تقترن فى نفس الوقت بافروديت التى ولدت هنا على بعد خمسة اميال ونصف قرب مجموعة بارزة من الصخور تعرف باسم «بتراتو روميو» حيث الزبد الابيض . ومنطقة بافوس غنية بالآثار القديمة ، حيث ترك اليونانيون القدماء والرومان والبيزنطيون وحكام قبرص فى العصور الوسطى اثارهم هنا على هذا الجزء من الجزيرة .

ثم نصف ساعة من نيقوسيا تقع لارناكا على الشاطىء الجنوبى لقبرص ، وهى مبنية على موقع احدى المدن القديمة تعرف باسم كيتيون ، تقول احدى الأساطير ان الذى اسسها هو خيثم حفيد نوح . وقد ابرزت احد اكبر المفكرين فى العالم ، الا وهو زينو مؤسس المدرسة الزينونية للفلسفة فى اثينا .

ومن اهم معالم لارناكا ، البحيرة المالحة العظيمة بالغابة والتى يستقر بها الطير المعروف باسم «ابو اللهب» او «ابو سعد» الذى يحط فى هذه المنطقة بين ديسمبر الى مارس فى اثناء طريق هجرته الطويل . وعلى حافة البحيرة المالحة تقع احدى تذكارات العالم الاسلامى ـ كما يقول قسم السياحة القبرصى ـ وهى تكية هالا سلطان مربية النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى مسافة ستة كيلومترات اخرى وفى قرية كيتى الصغيرة توجد كنيسة بانايا انجالو كتيستوى القديمة الشهيرة التى يرجع تاريخها الى القرن السادس بعد الميلاد وهى تعتبر مثالا لاروع الفنون البيزنطية فى العالم .

فى الطريق الى ليماسول ، قطعنا الطريق لنصعد طريقا جبليا تستقر فوقه قرية لافكارا ، حيث لازال سكانها جميعا يقومون بعملهم التقليدى منذالعصور القديمة ، الا وهو التطريز اليدوى تحت اسم لافكارا . إنها القرية الوحيدة التى مازالت تحافظ على هذا التقليد ، ومازالت تنتج افضل انواع التطريز اليدوى . زار الفنان الشهير ليوناردو دافنشى هذه القرية واعجب بفنها فاشترى تطريزا ليستعمله ستائر لهيكل كاتدرائية ميلانو عام ١٤٨١ ، ومازال الرسم الذى فضله واخذه يتداول جيلا بعد جيل ، ومعروف بانه «التطريز الذى اخذه دافنشى وتاثر به واستخدم تشكيلاته فى فنه» .

محطة قفز للصليبيين

وبسبب موقعها الاستراتيجى ، ظلت قبرص ـ ومازالت ـ محطة لكل الامبراطوريات وقوى الغزو على الدول العربية ودول الشرق الأوسط عموما . فاذا كانت الدويلات والدول والامبراطوريات الكبرى قد ضمتها ضمن ما ضمته من بلاد واراض فى المنطقة ، فهى بالمثل كانت معبرا لكل القوى التى استولت على بلاد المنطقة وأثرت فى سياساتها .

فبعد أن استوطن الجزيرة اليونانيون اساسا ، ومن بعدهم الفينيقيون بشكل جزئى ، وقعت قبرص تحت سيطرة الآشوريين فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . وتشير كتابة على لوحة تذكارية وجدت فى كيتيون ، ومحفوظة الآن بمتحف برلين الى احتلال قبرص من قبل سرجون الثانى ملك الفرس عام ٧٠٨ ق.م .

ثم وقعت قبرص على التوالى فى أيدى عدد من الفلتحين ، ففى عام ٥٨٨ ـ ٥٦٩ ق.م قام الملك المصرى هفرع بانزال الهزيمة بالاسطول القبرصى ، ثم حوالى عام ٥٦٠ ق.م احتل الملك اماسيس خليفة هفرع ، قبرص ، واصبح ملوك قبرص خاضعين له يدفعون له الجزية ، وكان لهذه الفترة تاثير كبير على الحركة المعمارية فى الجزيرة ، ثم عام ٥٤٠ ق.م انتقلت قبرص لحكم سيروس الأكبر مؤسس الدولة الفارسية .

وحدث تغير اساسى فى وضع ملوك قبرص عند بدء حملة الاسكندر المقدونى فى اسيا ، إذ اعربوا عن رغبتهم فى الانفصال عن الفرس ، وقدموا مساعدتهم للاسكندر فى شكل اسطول بحرى مكون من ١٢٠ سفينة ، إبان حصاره لمدينة صور اللبنانية ، وقد ساعد هذا الاسكندر على متابعة طريقه الى مصر .



صناعة النحاس وشغله من أهم الصناعات اليدوية فى الجزيرة



احدى قلاع قبرص القديمة حيث تعيش لحظات هنا مع تاريخ الاجداد

بعد موت الاسكندر أصبحت الجزيرة ، ولمدة طويلة فى حالة نزاع بين خلفائه انتيجونوس وبطليموس الذى أصبح ملكا لمصر ، ووقعت مصر تحت حكم بطليموس . وبعد فترة طويلة ضمت قبرص الى حكم البطالسة لمدة قرنين ونصف ، فيما بين ٢٩٤ ـ ٨٥ ق.م وخلال هذه الفترة حققت قبرص درجة كبيرة من الثقافة والتقدم ، بعد ذلك بدأ الاحتلال الرومانى لقبرص ، وعندما نقلت عاصمة الامبراطورية الرومانية الى روما ، ووضعت اسس الامبراطورية البيزنطية عام ٣٣٠ بعد الميلاد ، أصبحت قبرص ضمنها ، وكانت قبرص تدار من القسطنطينية من قبل من يسمى بـ «القسطور» .

ثم بعد ظهور الاسلام بدأت عدة غزوات عربية للجزيرة فى القرنين السابع والعاشر غزوة بقيادة معاوية بن ابى سفيان عام ٧٤٧ ، وغزوات أخرى اخرها على يد هارون الرشيد التى اخذ فيها عديداً من القبارصة بما فيهم رئيس الاساقفة بالجزيرة ، اسرى .

ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى وبداية الحملات الصليبية استخدمت قبرص كمعبر للصليبيين ، للقفز على العالم العربى ، بدءاً بالملك ريتشارد قلب الأسد الذى استولى على الجزيرة بمعركة انهت العصر البيزنطى الذى دام ما ينوف على القرنين من الزمان .

وهناك قصة تحكى حول الحرب التى خاضها ريتشارد قلب الأسد ، تقول انه كان فى طريقه مع فيليب اغسطس ملك فرنسا لتحرير الأراضى المقدسة كقائد للحملة الصليبية الثالثة ، بعد احتلال صلاح الدين الايوبى للقدس . انقسم اسطول الصليبيين ، ولجأت احدى سفنه التى كانت تقل خطيبة الملك ريتشارد ، واخته جوانا ملكة دواجار بصقلية الى الرسو فى ميناء ليماسول . كان ملك قبرص انذاك هو الملك اسحق كومينوس ، استفاد من الضعف الداخلى الذى أصاب الامبراطورية البيزنطية بسبب الهجمات التركية من الشرق ، ونصب نفسه ملكا لقبرص . ذهب ملك قبرص لاستقبال خطيبة الملك واخته ، وتقول القصة إنه حاول اغواءهما فرفضتا ، هنا وصل ريتشارد قلب الأسد بجيوشه واحتل ليماسول بسرعة ، فهرب الملك اسحق الى نيقوسيا . وتزوج الملك ريتشارد من خطيبته فى ليماسول ، ثم زحف بعدها الى داخل الجزيرة حيث جرت معركة حاسمة فى سهل ميساورى هزم فيه ملك قبرص وقبض عليه . وبدأ استخدام قبرص فى الحملة الصليبية .

توجه الملك ريتشارد بعدها الى عكا ، وكان الصليبيون بحاجة الى المال والرجال اكثر مما كان لديه ، فباع قبرص «لفرسان تمبلار» على اقساط ، واحد هؤلاء الفرسان واسمه جاى دى لوزيجتان حكم الجزيرة وورثتها عائلته من بعده حيث حكمت قبرص على مدى ثلاثة قرون من عام



عند هذه الصخور ولدت ، افروديت ، سيدة الجمال وسط الزبد والماء

١١٩٢ م وحتى عام ١٤٨٩ .

ومنذ جاى دى لوزيجنان ، انخرطت قبرص بحماس فى الحملة الصليبية المدمرة ، فزارها الامبراطور فريدريك امبراطور المانيا ، بينما كان فى قيادة الحملة الصليبية السادسة . وخلال الحملة الصليبية السابعة بقى ملك فرنسا فى نيقوسيا ضيفا على الملك هنرى الاول ملك قبرص ، وخلال بقائه كدس المؤن للحملة الصليبية التى كان مصيرها الفشل مثل سابقاتها .

... والآن ايضا

وكما حدث ايام الحملات الصليبية ، حدث فى العصر الحديث . فكانت القواعد البريطانية فى قبرص هى التى استخدمت فى شن «العدوان الثلاثى» على مصر عام ١٩٥٦ ، وهى ايضا التى استخدمت كنقطة «وثوب» فى «عدوان ١٩٦٧» لنقل الاسلحة والعتاد العسكرى الامريكى الى اسرائيل . ويستخدم حلف شمال الاطلنطى هذه القواعد فى نفس الأغراض منذ عام ١٩٥٨ .

والمنشات البريطانية العسكرية فى قبرص مازالت مستمرة حتى بعد استقلالها ، وهى تضم القواعد العسكرية البريطانية فى «ابيسكوبى» و «اكروتيرى» و «ديكيليا» .

وتتركز «القوات الجوية الملكية» البريطانية (راف R.A.F.) فى هذه القواعد بعد ان انسحبت القوات البريطانية من الشرقين الأوسط والادنى ، واكروتيرى التى تقع فى الطرف الجنوبى للجزيرة ، هى اكبر قاعدة للقوات الجوية البريطانية فى العالم . وهى تضم عدة تسهيلات ، وتمتد واجباتها من الضرب الاستراتيجى بالقنابل ، حتى خدمات الرادار ، ويعمل بها خمسة الاف موظف يضاف اليهم ثلاثة آلاف جندى والف مدنى ، الى جانب ١٧ الفا آخرين ، مما يصل بعدد البريطانيين هناك الى حوالى ثلاثين الفا . وقاعدة اكروتيرى مكلفة بخدمة وحماية الجناح الجنوبى لحلف شمال الاطلنطى ، وهى مجال الاتصال بالوجود البريطانى - وبالتالى الامريكى - فى الخليج العربى . اما شبكة الرادار الموجودة هناك ، فتجمع معلوماتها عن طريق افضل «نظام رادار» فى العالم موضوع على قمة جبل الاوليمب ليغطى كل منطقة شرقى البحر الابيض المتوسط .

وسط هذا كله قاد الأسقف مكاريوس هذه الجزيرة الصغيرة منذ ان استقلت عام ١٩٦٠ مؤمنا بالتعايش السلمى وعدم الانحياز وتاييد قضايا التحرر فى العالم وخاصة كفاح الشعوب العربية . لهذا فبعد الاستقلال بقليل وصل جريفاس الى الجزيرة سرا وسرعان ما بدأت الحرب الدموية الأهلية بين الاتراك واليونانيين القبارصة (١٩٦٣ - ١٩٦٤) . ودائما يصل فى الوقت «المناسب» تماما ، فقد ثبت أن الصدامات المسلحة التى وقعت بين الطائفتين حتى عام ١٩٦٧ ، كانت فى الأساس نتيجة لنشاط حلف الأطلنطى الذى اخذ يسعى لتقويض سياسة مكاريوس وعزله ومحاولة اغتياله . وبعد



بيت ريفى فى جزيرة قبرص ، حيث يعيش اهل الريف حياتهم بحب الفن والاساطير والحرف الشعبية

سنوات أخرى ظهر «جريفاس» مرة ثالثة فى احد ليالى صيف عام ١٩٧١ رغم الاتفاق الذى تم فى نهاية عام ١٩٦٧ وضمن احد بنوده انسحاب جريفاس من الجزيرة ، وقد ثبت انه وصل الى احدى القواعد العسكرية البريطانية ، ثم تسلل فيها الى الجبال وجمع رجاله ليبدأ نشاط «ايوكا ـ ٢» ضد مكاريوس .

كل هذا لم يفلح . لذا اخذت الطغمة العسكرية اليونانية التى كانت فى السلطة انذاك تضرب على نغمة خطر الاتراك القبارصة وساعدت على قيام انقلاب ضد الأسقف مكاريوس فى يوليه ١٩٧٤ .

هنا قامت تركيا بغزو الجزيرة لـ «حماية الأقلية التركية» الموجودة فى الجزيرة والتى تشكل ١٨٪ من سكان قبرص . وانقسمت الجزيرة من الناحية العملية الى قسمين : جزء فى الشمال تحتله القوات التركية حتى الآن ، وجزء فى الجنوب به القبارصة اليونانيون .

لم تستطع إذن قيادات الطائفتين ، بعد الاستقلال ، حل مشكلة العلاقات بين الجانبين . وإذا اردنا أن نفهم لماذا لم يتمكن الجانبان من تحقيق سلام دائم ، اى السبب الجذرى للمأساة التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذه لتقضى على السلام والجمال فى جزيرة الأحلام ، فعلينا ان نعود الى الجذور التاريخية للصدام ، ونفهم العوامل السياسية والايديولوجية التى ادت الى عدم حل المشكلة .

عندما بدا كفاح «ايوكا» ضد البريطانيين من اجل التحرر ، ارتفع شعار «الاينوسيس» اى الوحدة مع «الوطن الام»: اليونان ، وهو ما عارضه القبارصة الاتراك وكانت إقامة جمهورية قبرص المستقلة فى اغسطس عام ١٩٦٠ ، يعنى من الناحية العملية ، ان اليونانيين الذين قادوا النضال من اجل الاستقلال و «الاينوسيس» والاتراك الذين قادوا النضال ضد الاينوسيس ، سيجلسون معا ، ويتعاونون على ادارة الدولة الجديدة . ونعتقد انه لو القى الجميع ـ وخاصة قيادة الجانبين التى تسنمت قمة السلطة ـ بالعداوة خلف ظهورهم ـ ونظروا الى الحاضر والمستقبل بعد الاستقلال ، وبنظرة واقعية دون تعصب ودون لجوء لقوى خارجية ، لاستمر تطور الجزيرة ، ولسارت الأمور فى قنوات غير تلك التى سارت فيها .

وفى عام ١٩٦٣ انسحب الاتراك من وظائفهم التى شغلوها بعد الاستقلال وبدات حوادث عنف بين الجانبين ، وانشاوا داخل «جيوبهم» فى الجزيرة نظاما سياسيا واداريا واجتماعيا وقضائيا ، اخذ شكل «الدولة» . رفض اليونانيون الاعتراف بها ، ولم يطالب الأتراك باى اعتراف .

وبذلك تكرس وجود «دولتين» بالفعل فى قبرص . أما الدولة «الرسمية» فقد تركها الاتراك بين أيدى اليونانيين ، واستمر مجلس النواب من اليونانيين فقط .

ثم أدت أحداث عام ١٩٧٤ الى غزو القوات التركية للجزيرة لتكريس هذا الوضع رسميا ، والذى ظل قائما حتى الآن .

مجدى نصيف

مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

بقلم: كمال النجمي

رسالة من اديب كبير ، صديق لي ، تتالت سطورها تحت بصري ، تطوى الايام القهقرى بضعة وثلاثين عاماً ، حتى ردتني الى موضعي من تلك الايام ، شاعراً صغير السن ، لا ابالي من الدنيا بعد الشعر والشعراء ، إلا المغنين والغناء ، واخصهم بوجداني يومئذ ـ والى اليوم وما بعد اليوم ـ أم كلثوم واسمهان ! .

وإنما ذكرت ام كلثوم واسمهان لان رسالة صديقنا الاديب تقف برهة تحت العش الذهبى الذى ملأته هاتان البلبلتان تغريداً ..

فى عام ١٩٥١ خطر لي أن أطلب يد الجائزة الحسناء ، جائزة الشعر ، من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، قلعة العمالقة فى الادب والشعر ، حسبك منهم العقاد والزيات ولطفى السيد وطه حسين واحمد امين والخضر حسين ومن إليهم من فحول ذلك العصر الادبى ذى الاثر العميق فى الادب العربى على امتداد الارض العربية كلها ..

شاورت فى الامر صديقنا الاديب الكبير الناقد العلامة الدكتور شكرى محمد عياد ، وكان محرراً ـ بعد الظهر ـ فى إحدى المجلات القاهرية ، نعمل معاً .. واما قبل الظهر ، فكان محرراً بمجمع اللغة العربية.

لم اكد ابدأ جمع شعرى وكتابته على الآلة الكاتبة حتى المت بالمجلة عسرة جعلتنى والكثيرين من محرريها نعفيها مضطرين من وجودنا فيها . ولجات انا الى قريتى فى اقصى صعيد مصر حتى يأذن الله بامره ..

ومن قريتى ارسلت ديوانى مخطوطا الى صديقنا الدكتور شكرى عياد ، فقدمه الى لجنة الادب فى المجمع ، ولولاه لتاخر عن موعده واستبعدوه من المسابقة فقد وصل فى اليوم الأخير ، او بعد اليوم الأخير بيوم ! ..

فاز الديوان بالجائزة .. اعطونى الجائزة كاملة غير منقوصة ولم يقسموها بيتى وبين غيرى كما يفعلون دائما .. ولم يفز بالجائزة كاملة غير منقوصة قبلى إلا خليل مطران وعزيز اباظة ، ولم اكن منهما ولاقلامة ظفر شهرة وتاريخا .. ولكن هكذا كان ! ..

قال لي الدكتور شكرى إن لطفى السيد باشا رئيس المجمع اراد منح الجائزة لشاعر اخر كبير السن فمنعه العقاد من ذلك ـ وكان رئيس لجنة الشعر ـ ولم يلتفت الى رأى الباشا الذى لم يقرا شيئا من الدواوين المقدمة فى مباراة المجمع ولكنه اراد الجائزة لصديقه ! ..

لبثت اعتقد ان العقاد ـ وحده ـ صاحب الفضل فى حصولى على جائزة الشعر ، حتى تلقيت رسالة صديقنا الاديب المفضال الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة الذى اتابع إنتاجه الادبى ويتابع إنتاجى منذ اكثر من ثلاثين عاماً ، بدون ان اراه او يرانى ! ..

لم يكن العقاد وحده فى لجنة الشعر وإن كان هو رئيسها بل كان معه غيره .. يكفى ان يكون معه الاديب الكبير صناجة النثر العربى فى عصرنا الاستاذ احمد حسن الزيات رحمه الله ..

الزيات واسمهان

قال الدكتور البيومى فى رسالته : «قدر



اسمهان
قصيدتان فى رثائها !



علي احمد باكثير
لو عاشت اسمهان لغنت من شعره !



ام كلثوم
كان احمد امين يفضل صوت اسمهان على صوتها !

لي أن اقرأ ديوانك مخطوطا مع الاستاذ الزيات ، حين قدمته لمسابقة المجمع ، وكان الزيات يشكو مرضاً فى عيْنه ، فقمت بقراءة دواوين المسابقة معه .. وكان الزيات معجبا كل الاعجاب بقصيدتك فى رثاء «اسمهان» ويقول إنها كقصيدة علي احمد باكثير فى رثائها » ..

ثم يقول الدكتور البيومى : لقد مدح ابن الرومى المطربة « وحيد » ورثى المطربة « بستان » فخلدتم صوادح الأيك بما ابدعتم من بيان .. ومازال يرن فى سمعى قول ابن الرومى فى رثاء بستان :

يا غضة السن يا صغيرتها
أصبحت إحدى المصائب الكبر
لو علم القبر من اتيح له
لانحفر القبر غير محتفر

ويقول باكثير فى رثاء اسمهان :

غرقت .. كيف يغرق النور والحسن (م)
وفن الخلود فى شبر ماء
ما تقولون ؟ هل تجدون او تلهون
ام هل يجد صرف القضاء
لو حواها البحر العريض لضاق
البحر ذرعا عن روحها الشماء
او حوتها الصحراء لانتفضت ظلا
وماء فى جنة خضراء

لفتتنى رسالة الدكتور البيومى الى الدنيا لفتة حادة وإن كنت الآن قلما التفت الى شىء فى الدنيا ! ..

لقد مرت السنون بنا مر السحاب ، فمازلت اذكر كيف رأيت المرحوم علي احمد باكثير أول مرة فى منتصف الاربعينات ، بعد ان عرفت اسمه وقرأت له منذ منتصف الثلاثينات فى مجلة «الفتح» العروبية الإسلامية التى كانت تصدر فى القاهرة ، والتى هى ـ فى الحقيقة ـ ديوان لشعر كوكبة ممتازة جدا من الشعراء العروبيين والإسلاميين المصريين فى تلك الأيام التى كان فيها صوت العروبة مجهولا فى الشعر المصرى ، لأن « الفتح » كانت محدودة الانتشار ! ..

ومن اراد ان يعرف عروبة الشعر المصرى كيف كانت فى ذلك الزمن فليطالع مجلدات « الفتح » .. وسيرى فى القسم الثانى من هذه المجلدات عروبيات باكثير الشعرية ، وعلى رأسها فلسطينياته التى لا انسى من بينها قصيدته التى مطلعها :

بني يعرب ماذا دهاكم اجيبوني
الم تشهدوا اشلاءكم بفلسطين ؟

رحم الله باكثير ! ..ماذا كان يقول الآن لو بعث ليرى اشلاء بنى يعرب لا فى فلسطين وحدها بل فى لبنان وفى كل مكان ؟! ..

مضى على قصيدة باكثير هذه خمسة واربعون عاما حتى الآن .. ومازالت فى فلسطين بقية اشلاء تستصرخ بنى يعرب ليشهدوها ؟! ..

باكثير الفنان

ثم نعود الى مجرى الذكريات .. وهو رثاء ودموع على كل حال ! .. والحديث ذو شجون ! ..

فحين رأيت المرحوم علي احمد باكثير وعرفنى ، كانت قصيدته فى اسمهان قد ذاع امرها ، فاستنشدته إياها فتمنع ، فانشدته قصيدتى فى رثائها ، فاهتزت اريحيته وانشدنى قصيدته هذه البارعة التى ذكرنيها الدكتور البيومى ، وهى من احسن شعر باكثير واصدقه وأندره ! ..

كان باكثير فنانا زاهدا عابدا متشددا فى امر الدين .. فكان نسيج وحده ، لم ار له فى هذا مثيلا ! ..

وهو الشاعر الاسلامى الوحيد فى عصرنا ـ وفيما قبله بطبيعة الحال ـ الذى اندمج فيما يسمونه « الوسط الفنى » ونظم مسرحيات شعرية وغير شعرية وكتب قصص افلام ، فضلا عما كتبه للمغنين والمغنيات من نظمه الفريد ..

ولو عاشت اسمهان لغنت من شعره كما غنت ام كلثوم ..

وكانت قصيدته فى رثاء اسمهان مثار تعليقات كثيرة : استحسنها المازنى ، ولاغرو ، فقد كان يحب باكثير ويشهد لشعره بالجودة ، بل استحسنها حتى العقاد الذى يتحفظ حيال كل شعر يسمعه او يقرؤه .. اما الزيات فكان ـ كما حدثنا الدكتور البيومى ـ يستحسنها ويقرنها بروائع ابن الرومى فى مغنيات عصره مدحا ورثاء ..

ويبدو أن حب هؤلاء الادباء الكبار لصوت اسمهان كان له اثر فى حب ما يقال

مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

فيها من الشعر ، ولو كان رثاء وبكاء ! ..

واذكر انى طالعت منذ مدة فى مجلة «العربى» الغراء مقالة عن الأديب الكبير المرحوم احمد امين كتبها ابنه الاستاذ جلال ، يذكر فيها ان والده الكريم كان يعجبه صوت اسمهان اكثر مما يعجبه صوت ام كلثوم ، لأن فى صوت اسمهان حزنا ! ..

وبغض النظر عن راينا فى مسالة «الحزن» هذه ، نلاحظ ان صوت اسمهان لفت أسماع الجيل الماضى من كبار الأدباء ، واعجبتهم شخصيتها المشعة بالجاذبية الفائقة .. فلا عجب ان يبكيها باكثير ، وان يتحزن عليها الزيات ولو بقراءة ما قيل فيها من رثاء ، ومن هذا الباب دخلت أسمهان الشعر المعاصر ..

اما قصيدتى – إن اذنت بالحديث عنها – فانى حاولت نشرها فى حينها « سنة ١٩٤٤ » بعد موت اسمهان بقليل فلم يتيسر لي ، مع انى بعثت بها الى مجلة « الرسالة » صحيفة الاستاذ الزيات ! ..

وظنى ان القصيدة لم تقع فى يده ، او ضاعت فى البريد ، وإلا فكيف يستقيم إعجابه بها حين قراها فى الديوان سنة ١٩٥١ ، وإهماله نشرها سنة ١٩٤٤ وقد نشر لي قصائد طويلة فى اكرم مكان من مجلته العظيمة ؟! .. ام هو حظى السيء مع بحر « الرمل » .. فانى ما نظمت قصيدة منه إلا ساء حظها معى او حظى معها ! .. وقصيدتى فى أسمهان من هذا البحر ! ..

على اننى انشغلت عن قصيدتى بما قراته او سمعته من مراثى الشعراء لأسمهان ، ومازلت اذكر قول الشاعر الكبير بشارة الخورى :

اضاع جبريل من قيثاره وترا
فى ليلة ضل فيها نجمه الهادى

ومنذ نظم ابن الرومى بدائعه فى مغنيات عصره ، ثم الشاعر ديك الجن فى رثاء جاريته المغنية ، وهى من ابدع الشعر لم يرث احد من كبار الشعراء مغنية ، حتى صدمت فاجعة اسمهان افئدة الشعراء فى عصرنا ! ..

لقد رثى امير الشعراء احمد شوقى بعض مطربى عصره امثال عبده الحامولى وعبد الحي حلمى وسيد درويش ، ولكنه لم يرث « المظ » مثلا ولا ذكر مطربة من مطربات عصره ، مع انه سمع اشهر هؤلاء المطربات ، ولكنه كان يلتزم فى امرهن بتقاليد بيئته الخديوية ..

مراثى الأصوات الجميلة

وللشعراء على امتداد عمر الشعر العربى الطويل ، شذرات ومقطعات فى المغنين والمغنيات ، مدحا او قدحا او دعابة تجد ذلك فى الشعر الجاهلى والاموى والعباسى والايوبى والمملوكى .. الى العثمانى ، حتى عصرنا ..

لكن رثاء المغنيات والمغنين نادر ، ونعتاض من ندرته بروعته وارتفاع طبقته ورهافة إحساسه وتفرده – على قلته – بمكان خاص فى شعرنا كله على كثرته ! ..

ولكم تمنينا ان يستحدث النقاد واهل العلم بالشعر العربى بحوثا فى مراثى الشعراء للأصوات الجميلة ، فان هذا باب من البحث يقوم مستقلا باصله فى ادبنا ، إن اقامه احد من ذوى الكفاية والاختصاص ..

بقى ان اقول إننى لما جمعت ديوانى لأعرضه على المجمع اللغوى الموقر ، اوشكت ان احذف منه ثلاث قصائد ، اولها قصيدتى فى رثاء اسمهان ، والاخريان فى امتداح ام كلثوم ومطربة اخرى .. فقد ظننت ان لجنة الشعر بوقارها ، لن تتفهم بواعثى الشعرية فى هذه القصائد ، ثم نظرت فى قصائد دواوين فوجدت ان ولعى بالغناء قد اشاع الكلام عنه وعن اهله فى قصائد كثيرة من الديوان ، لا يمكن حذفها منه .. فقلت فى نفسى : إن قبلوا الديوان .. وإلا فان قصائدنا اكرم علينا ! ..

غير انى كنت – ومازلت – لا اذهب بعيدا فى النظر الى قصيدتى فى أسمهان ، ولا ظننت انها تعجب الزيات ولا غيره ، وكل ما املته ان تغض لجنة الشعر عينيها الكريمتين فلا تحسبها لنا ولا علينا ، وقصرت املى على القصائد المطولة الرنانة فى الديوان ..

إلا ان الزيات – رحمه الله – التقط بذوقه المرهف معانى الأسى الصادق فى القصيدة ، وكانت هذه المعانى تساوره منذ وفاة احد اولاده صغيرا فى اواخر الثلاثينات ، وكانى به قرا من القصيدة هذه الابيات :

كوكب عوجل فى فجر الصبا
وعدا الموت عليه فخبا
ضاء فى مصر فكانت مشرقا
وثوى فيها فامست مغربا
واتاه الموت فاستنقذه
يا له مستنقذا مغتصبا
اسمهان اى طير تعس
غال اهاتك لما نعبا ؟!

ويله من هاتف مستنكره
كلما صاح بعمر ذهبا
طرق السمع فغشاه اسى
واتى النفس فشبت لهبا

ومنها فى غرقها ثم إخراجها من مياه «ترعة الساحل» التى سقطت فيها سيارتها وهى فى طريقها الى مصيف راس البر :

طلعت من دارها باكرة
ما درت اى قضاء كتبا
تنشد البحر لتنسى برهة
محنا جرن عليها حقبا
اوغلت حتى إذا مقصدها
نفحت انسامه إذ قربا
قفزت من حفرت ناضبة
لمسيل غامر ما نضبا
سلبت امواجه لؤلؤة
عظمت غنما وجلت سلبا
اخرجوها روضة قد صوحت
وربيعا بعد زهو اجدبا
لا اخاها ودعت إذ رحلت
ومضت لم تلق اما او ابا
ورات كيف جرى السعد لها
لحظة ثم تردى وكبا

ومنها :

وقف الفن حزينا والها
يذرف الادمع حتى تنضبا
ويوارى نجمة سيارة
اصبح الترب لها منقلبا
اين صوت كان إن غنى لنا
وثب القلب إليه وصبا
ذو انين وحنين إن سرى
مس دمعا جامدا فانسكبا

وكنت اود ان اجيء بالكثير من قصيدة باكثير لولا انها ليست تحت يدى الآن .. والامر فى يد صديقنا رئيس تحرير الدوحة فان شاء جعلناها موضع تحليل طويل يستمتع فيه القارىء بشعر باكثير على الاقل ..

ورحم الله الزيات والعقاد وباكثير وذلك الجيل ، لقد كانوا يعرفون قيمة فن الغناء ، وإن انقطاع هذا الفن من اى بلد لا يكون إلا عند انقطاع تقدمه وبداية اضمحلاله او سيره شوطا بعيدا فى الاضمحلال ، كما يقول ابن خلدون وكما يقول كل مستقرىء للتاريخ ، وبخاصة تاريخ الامة العربية ، ومن شاء فليتامل الغناء العربى فى الأونة الراهنة ! ..

لقد كان غرق اسمهان سنة ١٩٤٤ ماساة ولوعة فى افئدة الكثيرين ، ولكن الافئدة الملتاعة سلت وخلت ، ولم تبق إلا نفثات قلوب الشعراء ! ..

كمال النجمي

محاولة في تأويل عيني حبيبتي

شعر : حسن طلب

قاصدٌ سُدّةَ عينيْكِ .. وأنْصِتْ :
مِهرجانٌ من تراتيلَ .. وسَجعٌ عربِىٌّ
وجَماهيرُ تهــلل ..
وحَوارِيّونَ فِيهمْ .. وتَبيّونَ يقولونَ وقومْ
قاصِــــدا كنتُ .. وأنظرْ :
دَيْدبانٌ ومِحفاتٌ وإيوانٌ وبابٌ مَلَكِىٌّ
وحِصانانِ .. وحُوذِيّانِ تُركيّانِ بالباب ..
وقوْسانِ وسَهْمْ
قاصدا كنتُ ـ ومازلتُ ـ وألمِسْ
طَيلَسانٌ فيهِ وَشْىٌ .. ودِمقسٌ موصلىٌّ
وتَصــــــاويرُ ونقشٌ بابلىٌّ
صِيغَ فى هيْئــةِ جُنــدىٍّ كَمِىٍّ ..
وحَريمٍ تستحِمْ

•••

هاتانِ العينانِ ـ فديتُهما
قابلتانى فى أوّلِ حُلمٍ راودنى
.. فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما ..
أوّلتُهما .. فجعلتُهما :
حَقليْنِ وزيتونَهما
واشرتُ الى خُلَصائى فى البأساءِ وحينَ العشقِ ،
إليكمْ تأويلَهما :
نَيْلكتانِ وشطّانِ طويلانِ يميلانِ ولا يلتقيانْ
هاتانِ العيْنانِ الحقلانْ

•••

اخِذٌ قِبلةَ عينيْكِ .. واقرأْ :
خَيْزُرانٌ ويَعافيرُ وبَقْلٌ ونخيلٌ أُنثَوِىٌّ
ومَهاتانِ ويَنبوعٌ ورملٌ ..
وغزالٌ يستحِمْ
اخذا كنتُ .. وأكتُبْ :
سَيْسَبانٌ فِرعَوْنىٌّ .. وغِيدٌ يتهادَيْنَ
وولدانٌ ينادونَ : تعالَيْنَ إلينــــا
ومَواعيدُ هــــوًى تمّتْ ..
وأُخرى ستتِمْ
اخذا كنتُ ـ ومازلتُ ـ وأرسِمْ :
كَهرمانٌ وقَواريرُ ورَاووقٌ وأضغاثٌ من الدِّفلى
ومَاءٌ كهرَبائِىٌّ .. وسَيفانِ يَمانِيّانِ ظَلاّ لم يُسَلاّ
وعَناقيــدُ ضِياءٍ تتراءى ..
خلْفَ غيْمْ

•••

هاتانِ العينانِ عشقتُهما
قابلَتانى فى أوّلِ حُلمٍ راودنى
فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما
أوّلتُهما .. فجعلتُهما :
يَمّيْنِ وفيروزَهما
واشرتُ إلى خُلَصائِى فى اللّولاءِ وحينَ العشقِ
إليكُمْ تأويلَهما :
أزلانِ ودهرانِ مَديدانِ يَصيرانِ ولا يَبِيانْ
هاتانِ العينانِ اليَمّانْ

من واقع الحياة الشعبية

كمال سعد

نزار سليم



- فنان كبير من أسرة .. كلها فنانون
- رحل بعد أن ترك وراءه أكثر من ٢٠٠٠ لوحة .. وكثير من القصائد والقصص

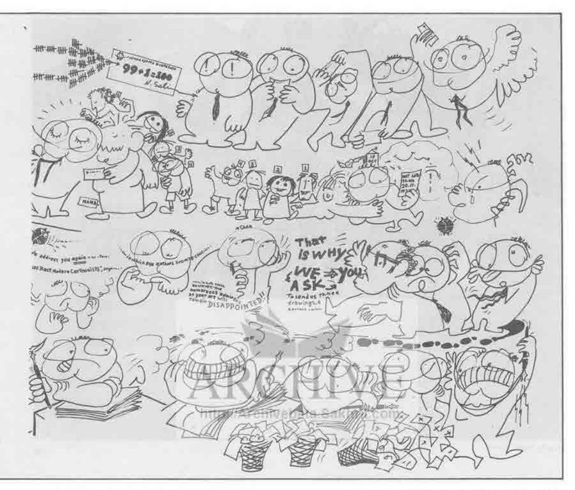
الوان



الفنان نزار سليم صاحب المواهب المتعددة .

انه واحد من الفنانين الذين سيعيشون فى ذاكرة الثقافة والفن فى الوطن العربى ، فقد اعطى كل حياته من اجل الابداع الفنى والثقافى ممثلا فى لوحاته الفنية وانتاجه البارز فى فن النحت وفن الكاريكاتير ، وذلك بالاضـــــافة إلى ما قدمـه من كتب وقصص ومسرحيات وقصائد شعرية كانت كلها فى مجموعها تعبر عن مشاعر مرهفـة صادقة ، وتعدد ملحوظ لوسائل التعبير عن واقع الحياة المعاش كما احس به فى اعماقه !

وقد ولد الفنان والقاص والناقد الفنى نزار سليم فى أنقره بتركيا فى عام ١٩٢٥ من أبوين عراقيين ، وترعرع فى اجواء بيت كل افراده من الفنانين ، فوالده الحاج سليم له اعمال فنية فى الرسم والتصوير ، واخوته رشاد وسعاد وجواد ونزيهة فنانون اثبتوا جدارتهم فى مجالات الابداع الفنى المعـــاصر فى العراق ..



رسوم كاريكاتيرية تركها الفنان ضمن اعماله الخالدة .

الميلاد والرحلة

ويروى نزار ذكرياته عن فترة التاثير والميلاد ، فتعرف ان والده الحاج سليم كان قارئا للقرآن وحافظا للمقام ومحبا للغناء ، وانه كان العضو الثالث فى لجنة اختيار المقرئين والمطربين والمغنين عند تاسيس محطة اذاعة بغداد .. اما اخوه الكبير رشاد فقد كان يقتنى كمنجة وعودا الى جانب ادواته الزيتية ورسومه المائية وعشقه للمسرح والتمثيل .. وعندما يتحدث عن اخيه سعاد نكتشف انه كان من اوائل رسامى الكاريكاتير إلى جانب انه كان ممثلا ورياضيا ، وكذلك فان اخته نزيهة رسامة معروفة ، واخاه جواد سليم يعتبر من أعلام النحت والرسم فى عالمنا العربى ..

وهكذا ندرك ان نشاة نزار وسط بيت يتوفر فيه كل هوايات الفن والثقافة ، جعله يقرا فى نهم كل ما يقع بين يديه من كتب قيمة ، وكانت النتيجة مبكرة عندما بدا يكتب متاثرا بقراءاته العديدة ، فاصدر مجموعته القصصية الاولى بعنوان « اشياء تافهة » وتبعها بمجموعات قصصية اخرى وعدة مسرحيات مؤلفة ومترجمة ومجموعة من القصائد الشعرية .

واثناء ذلك كانت هواية الرسم تسرى فى وجدانه إلى جوار التاليف ، وبعد ان تخرج من كلية الحقوق ودخل معهد الفنون الجميلة لثلاث سنوات ، اقام معرضه الشخصى الاول فى « بون » بالمانيا ، ليتبعه بعدة معارض اخرى فى بغداد والخرطوم واستوكهلم ، وليعين فى عام ١٩٧٣ كاول مدير عام للفنون الجميلة ، ولتكرمه وزارة الثقافة والاعلام وتقيم له معرضا شاملا لاعماله فى عام ١٩٧٩ ، القى خلالها عدة قصائد من اشعاره ، بالاشتراك مع صديقه الشاعر المعروف بلند الحيدرى ..

وحتى يكون معهم على نفس القدر من القدرة على العطاء !

غير أن حبه لفن الكتابة ، لم يمنعه من أن يترك خلفه اكثر من الفى لوحة فى النحت والرسم الزيتى والمائى والتخطيطات والفخار ورسوم الكاريكاتير ، وهذا بخلاف لوحاته الاخرى التى كان يهديها إلى اصدقائه فى كل انحاء الدنيا !

عقل وقلب الفنان

ان مجرد نظرة على الدور الذى قام به الفنان نزار سليم بالنسبة للفن التشكيلى ، تجعلنا ندرك مدى اهمية معرفتنا بجهوده الملموسة من اجـــل تطوير الحركة الفنية فى بلاده .. فمن ضمن الاعمال التى قام بها عندما كان مديرا عاماً للفنون ومستشاراً للفنـــون التشكيلية فى العراق ، ان كون نقابة الفنانين وكون هيئة ادارية لجمعيـــة الفنـــانين التشكيليين ، وعقد اول مؤتمر للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، واقام المعارض الفنية المتميزة ، وذلك الى جوار قيامه بدور رئيسى فى تكوين لجان ومؤسسات فنية مثل اللجنة الموسيقية والمعهد النغمى ، وتطويره لدار الازياء التى تهتم ببعث تراث الازياء ، وهذا بخلاف مساهماته فى تطوير الحـــركة الثقافية والفنية وربطها بقضايا الانسان فى كل مكان ..

وفى اواخر ايامه ، احس بالام مبرحة فى ظهره وقدميه ، جعلته يمكث فى فراش المرض ويطلب تفرغه للعمل كفنان ــ فقط ــ حيث ان حالته الصحية لا تساعده على الجمع بين العمل الادارى والعمل الفنى !

وتفرغ ــ فعلا ــ للعمل الفنى منذ عـــام ١٩٧٦ ، وطوال فترة مرضه لم يهدأ ، فقد كان شغله من الانتاج الفنى ، إلى ان فاجأته نوبة قلبية حادة فى يوم ١٣ مايو عام ١٩٨٢ ، ودع بعدها الحياة ليدفن إلى جوار اخيه الفنان الراحل جواد سليم .. وليعطيه النقاد فى مماته اكثر مما اعطوه فى حياته ، ولعل اجمل الكلمات التى قيلت فيه يوم وفاته ، ما قاله احد اصدقائه :

ــ شلال من ضوء الحب الهادر يتساقط فى الذاكرة وهى تستنبت معها بذور الـــوداع اللانهائى .. وما تركه لنا من آثار فنية وادبية وترجمة ، ستكشف لنا اى نوع من الحب كان « نزار » واى انسان مبدع يحمل عقل مفكر ساخر وقلب طفل يلهو على مدارج الحياة ، ولهذا فان فن نزار سليم سيظل حيا فى ذاكرة الفن المعاصر ..



الحنين

الشعور بالتمرد

وقد حاول الكثير من النقاد ان يتساءلوا عن الطريقة التى يمكن بها تقييم اعمال الفنان نزار سليم : هل هو رسام ام نحات ام فنان كاريكاتير ام اديب موهوب ؟ ..

ورد على هؤلاء فى مذكراته بقوله : « ان عوالم نفسى متعددة الجوانب ، يراها البعض غير مستقرة على حال ، متضاربة ، وآراها متكاملة منسجمة تعمق فى ابعاد التجربة وتلونها فلا تبقيها على رتابة او ضيق فانا ارسم واكتب واقرا واستمع للموسيقى ، واجمع بين هذا وذاك ، ولا افرط فى اى جانب من الجوانب » ..

والواقع ان ذلك يجرنا ــ نحن ــ إلى سؤال : لماذا مارس الكتابة إلى جوار الرسم ؟ ..

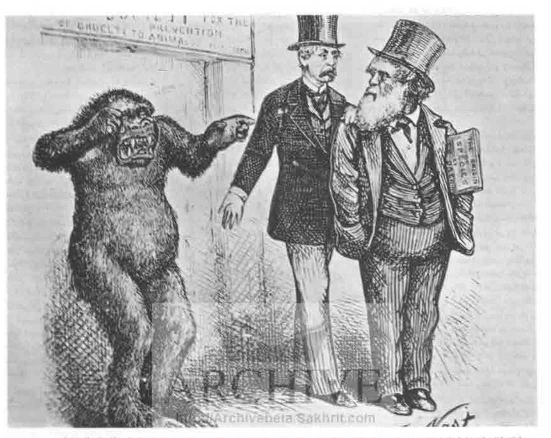
وقد رد على ذلك السؤال فى اوراقه التى تركها شاهدة على موهبته الاصيلة عندما قال انه استطاع ان يقنع نفسه بالكتابة إلى جوار الرسم ، نتيجة لشعوره بالتمرد على بديهية ممارسة الرسم ، ونتيجة لان فى افراد عائلته من يتفوق عليه فى مجال الرسم ، ولذلك بحث عن وسائل تعبير اخرى يضيفها إلى موهبته حتى يتجاوز بها تفوقهم عليه ،

بقلم: الدكتور عبد المحسن صـالح

في هذا الرسم الكاريكاتيري الساخر أيضا، يتصور الرسام أن بعض الحيوانات قد عقدت اجتماعا، وظهر على المنصة أحد الحيوانات المنقرضة، ليلقي محاضرة ويقول: لعلكم تدركون أن الجمجمة التي ترونها أمامكم هي لمخلوق من رتبة أدنى من الحيوانات (يقصد طبعا الانسان). فالأسنان ضعيفة، والفكان ضامران، والمسألة برمتها تدعو الى العجب، إذ كيف كان هذا المخلوق البدائي يلتهم طعامه ؟!



في الركن الشمالي الشرقي من كاتدرائية وستمنستر الشهيرة بلندن، وبجوار قبر العالم الشهير اسحق نيوتن، الذي طور مفاهيمنا عن قوى الجاذبية، وصاغ معادلات حركة الأجرام السماوية، يوجد قبر عالم شهير آخر يدعى تشارلز داروين الذي دفن فيه بتاريخ ٢٦ ابريل عام ١٨٨٢.. وداروين غني عن التعريف، فهو صاحب أخطر نظرية طرحها في القرن الماضي، فأقام الدنيا، لكنها لم تقعد حتى يومنا هذا.



صورة كاريكاتيرية ساخرة نشرتها إحدى الصحف عندما نشر داروين كتابه عن أصل الانواع ، وفيها يتهكم الرسام على داروين (الذى يقف إلى اليمين) ، والغوريلا هنا تحتج غاضبة ، لأن داروين قد سبها عندما اشار إلى ان الانسان ينتسب إليها ، وهي ترى ان ذلك يحط من شانها .. منتهى السخرية والتهكم .

والشيء الغريب ان الرجل قد دفن فى رحاب كنيسة عريقة ، وفى هذا تناقض ، لانه فى عرف الكثيرين عدو للدين ، ولقد هوجم اول ما هوجم من رجال الدين ، وتلقى الاهانات واللعنات اثناء حياته ، وبعد مماته ، حيث اتهمه قومه بالكفر والالحاد ، لانه قد جاء بافكار غريبة تخالف ما وقر فى عقول الناس ، وبرغم هذا ، فقد كرم ودفن حيث يرقد الآن مع العظماء والنبلاء ، فهل يستحق ذلك حقا ؟ .. دعنا نرى .

ورغم مرور مائة عام على موت داروين ، الا ان نظريته لازالت حية ، بل انها تزيد حيوية واشراقا — لا فى عقول الناس ، بل فى عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منظمة ، مستمدين زادهم الفكرى من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، اذ كلما مرت السنوات ، وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الاسرار الكثيرة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، كلما اصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين او ادنى .

والواقع ان اية نظرية علمية ، لم تحظ بجدل واسع ، ونقاش مستمر ، مثلما حظيت به نظرية التطور ، واصل الانواع ، وظهور الانسان على هذا الكوكب ، وعلاقته بما ظهر قبله من ملايين الانواع — الباقية منها والمنقرضة .. وطبيعى ان الجدل المستمر فى اية مسالة علمية ، هو ظاهرة صحية ، خاصة اذا قام بهذا الجدل علماء متخصصون ، وليس ذلك مرده الى رداءة او قصور فى النظرية ، لان الردىء — على اية حال — لا يستحق جدلا او مناقشة يضيع العلماء فيها وقتهم ، ويستهلكون طاقتهم ، فالردىء هو الذى يسقط نفسه بنفسه ، بل يرجع استمرار الجدل حتى اليوم ، او فيما قد يتلوه من اجيال الى اختلاف فى وجهات النظر على النظرية التى وضع داروين بذرتها ، او النظريات الاخرى التى جاءت بعدها .

تصحيح واجب

والواقع ان مناقشة اية مسالة مناقشة هادفة ، يستوجب تفقها او علما بالاصول التى تاسست عليها ، وقامت بها . فاذا كانت المسالة طبية ، فالاولى الرجوع فيها الى فقهاء الطب ، واذا كانت قانونية ، فاولى بها رجال القانون ، وكذلك الحال مع المسائل الفلسفية ، او العلمية او الدينية او الكونية

مات رجل.. وعاشت نظرية!

.. الخ ، فهذا من شانه ان يضع الامور فى نصابها ، ويحدد مساراتها ، ويوجهها الوجهة المفيدة ، لكن يبدو ان البعض قد الم بكل علوم دينه ودنياه ، وبحيث تجد عنده الجواب جاهزا لاية قضية ، فيحسمها حسم الخبير المتمكن !

اذكر – عندما كنت فى مهمة علمية بانجلترا – ان احد العلماء الانجليز قد طرح على سؤالا فى بحث متخصص نشترك فيه سويا ، وقدحت ذهنى علنى اصل الى جواب مقنع ، وبعد فترة صمت ، كان جــوابى : لا اعرف ، ولما سالته بدورى ، قال : وانا ايضا لا اعرف ، فقد كنت اعتقد انك تعرف !

ليس عيبا – اذن – ان يعترف الانسان بانه لا يعرف .. « فمن قال لا اعرف ، فقد افتى » حتى ولو كان ما لا يعرفه ضمن فرع تخصصه ذلك ان الانسان لا يمكن ان يصل الى نهاية المعرفة .

نقول قولنا هذا ، بعد ان كثر اللغط ، وانتشرت عندنا التصريحات فى المجلات والصحافة ، وتعددت الأحاديث فى الاذاعة تارة ، وفى التليفزيون تارة أخرى ، عن نظرية التطور ، والغريب ان جميع من ناقشوا النظرية وفندوها وهدموها لم يكونوا رجال علم ، عدا واحدا تحدث فى الاذاعة تحدث العالم الواثق ، والواقع انني لم اسمعه ، بل عرفت ذلك عن طريق تعليق طويل كتبه فى واحدة من اكبر الصحف المصرية اليوميــة « اديب » يتسم تعليقه بالسطحية ، وفيه رد الأديب على العالم رد الذى يحشر نفسه فيما يجهل ، وطبيعى ان رده لم يتناول مسالة واحدة موضوعية ، وهو لا يستطيع ، ومن اجل هذا فقد ظل طوال التعليق يسخر ويســب ويتهكم ويتهم بالكفر ويستخدم الفاظا جارحة ويبدو ان هذا كان كل بضاعته ، وهى بضاعة العاجز ، والغريب ايضا انه كان يتكلم باسم الدين ، ويدافع عنه ، وهو نفسه يسىء الى الدين دون ان يدرى ، او يدرى .. لسنا ندرى ، لكن الذى ندريه ان الدين ليس غوغائية ، وليس كذلك وسيلة ارهاب فكرى ، بل يدعو الى الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، والجدل المفيد ، وليس عند صاحبنا – فى هذه المسالة – ما يفيد ، لكن هذه افة التخلف ، وافة الكراهية للعلم .

ولقد افرد التليفزيون المصرى حلقات لشيخ من ائمة الاسلام ، وهو لم يحدث الناس فيها عن الاسلام ، بل عن نظرية التطور ، ومدى مسايرتها للدين ، ولقد هدم بدوره النظرية دون الاستناد الى دليل علمى راسخ ، بل كان الهدم عن الهدم عن طريق كلام منمق يجد هوى فى نفوس الناس ، ويريحهم من عناء التدبر والتفكير .

وفى واحدة من المجلات المصرية الأسبوعية الواسعة الانتشار ، ناقش شيخ جليل له فى قلوب الناس مكانة كبيرة سؤالا طرحه عليه أحد الصحفيين لكى يدلى بدلوه فى نظرية التطور ، وطبيعى ان السائل والمسئول هنا كلاهما فى الهم سواء ، فلا السائل قد عرف الى من يتوجه بسؤاله ، ولا المسئول قد اشار عليه ان يطرح سؤاله العلمى على فقهاء العلم ، اذ « لا يفتى ومالك فى المدينة » !

وعلى مثل هذه الوتيرة تسير الامور ، وهو كثير ، وكل يدلى بدلوه فيما يعرف ، وفيما لا يعرف !

بين العلم والدين

ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الاراء مرور الكرام ، وان يكتفى الجميع بالقول بان نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، او هى تناقض ما جاء فى بعض ايات القران الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم ان القران الكريم يحثنــا صراحة على البحث فى اصول الخلق ، وفى ذلك تاتى اشارة واضحة . « قل سيروا فى الارض ، فانظروا كيف بدا الخلق » .. اللهم الا اذا كانت الاية تعنى شيئا غير ذلك ، « وفوق كل ذى علم عليم » .. اضف الى ذلك ان القران الكريم قد اشار الى اطوار خلق الانسان تلميحا لا تصريحا ، ومكتفيا بالايجاز دون الاسهاب ، حتى لا يحمل الناس اعباء فكرية قد تكون فوق طاقتهم ، وبالنسبة للزمن الذى نزل فيه القران ، وسوف نعود الى ذلك لتوضيحه ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسات اخرى قادمة نوضح لنا كيف يفكر العلماء ، وكيف يفكر الناس .

والواقع ان داروين قد بدا حياته العلمية بالنظر فى الخلق ، فسار باحثا فى الارض ومنقبا عن اصوله ، وجمع فى هذا ثروة علمية هائلة ، وعلى اساسها وضع نظريته الشهيرة التى حاول بها ان يشرح اصول الخلق وتسلسله او تطوره من بساطة الى تعقيد .

ولسنا هنا بصدد تفنيد اراء الذين تحدثوا عن التطور او نظرياته بغير علم ، ثم هدموها فى بعض فقرات جاؤا بها على غير علم ايضا رغم ان ما قيل فيها ، وما كتب عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن الهدف ان نوضح امورا لازالت مشوشة فى العقول .. من ذلك مثلا ان احدهم قال لسائله ، او لا نسال : هل هى حقيقة علمية ام نظرية ؟ .. واجاب : انها نظرية ، ولكن غير الفاهمين استقبلها على انها حقيقة ، ومن هنــــا نشا الخطا !! (هكذا) .

ثم يردف قائلا : « وإذا كان التابعون لداروين اولا ، هم الذين فندوا نظريته ثانيا ، فلماذا نتعب نحن انفسنا فى هذا الموضوع تعبا اقل ما يوصف به اننا نجعل داروين فى كفة ، وما قاله الله الذى امنا به فى كفة اخرى ؟ .. وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال » ! .

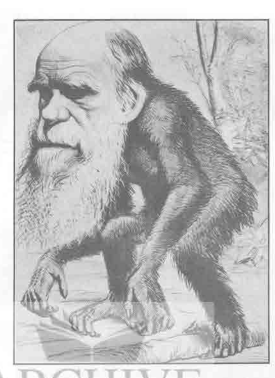
والخلط هنا واضح فى علاقة النظرية بالحقيقة فكانما الحقيقة فى واد والنظرية فى واد اخر ، والرجل معذور بلا جدال ، فهو على قدر ما عرف ، فقد افتى ، ولابد هنا من توضيح الامور فى نصابها ، فالقول بان التطور مجرد نظرية ، وليس حقيقة علمية ، قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة ، ولا يختلف على ذلك اثنان من العلماء ، ولا شان لنا هنا بما يقول الناس ، لان التطور سمة اصيلة من سمات الكون ، وشريعة واضحة من شرائع الحياة ، فهو يعنى اساسا التنوع والتغير والتجدد ، وعكس ذلك ركود ، والركود جمود ، والجمود سىء غاية السوء ، سواء كان ذلك على مستوى الافكار او المخلوقات ، او ما تزخر به الارض والسماوات من ظواهر بيولوجية وطبيعية وفيزيائية وكونية ... الخ ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا العلماء ، لانهم يعايشون هذه الظواهر ليل نهار ، ويستقون اصول علومهم من النظم المتقنة التى وضعها الله فى خلقه ، ثم تراهم يتتبعون مسارات هذه الاصول ، علهم يضعون ايديهم على فكرة الخلق ظاهرا وباطنا ، وليس فى ذلك حيود او خروج عما اشارت اليه الاية « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق » .

بين الحقيقة والنظرية

ولكى تكون مناقشتنا لهذا الموضوع الحساس موضوعية ، وقائمة على اسس علمية ، فلا اقل اولا من توضيح نضع به النقط فوق الحروف ، ونبين الغث من السمين .

فما هى النظرية العلمية اولا ؟

هى التى – على حسب تعريف دائرة المعارف العلمية – تتضمن محاولات لشرح او تفسير مجموعة من الظواهر الطبيعية ، وهى ليست مفصولة عن المنهج التجريبى ، لان ادراكنا باسرار الطبيعة يتطلب ربط النظرية



لم يتعرض عالم من العلماء لمثل ما تعرض له داروين من تهكم وسخرية وتجريح . وما هو « داروين والقرد » كما تهكم عليه احد الرسامين ، ولقد نشرت الصورة فى احدى الصحف البريطانية عام ١٨٧١ م .

بالتجربة العلمية ، ولهذا هدفان محددان ، اولهما : الكشف عن القوانين الاساسية الطبيعية ، وثانيهما : استخلاص الاستنتاجات من هذه القوانين .

وهناك ـ بطبيعة الحال ـ نظريات علمية كثيرة ، وهى لا تنشا من فراغ ، بل تعتمد اساسا على التامل والدراسة والبحث الجاد ، لتجميع اكبر قدر من الحقائق البيولوجية او الفيزيائية او الطبيعية .. الخ ، والحقائق موجودة ، ولا خلاف عليها ، وهى تتجلى امامنا جميعا بظواهر شتى ، لكن احدا من الناس لا يكلف نفسه مشقة البحث فى اسرارها ، ومحاولة الربط بينها ، واستخلاص نسيج فكرى خاص يكشف به عن جوهرها ، والنسيج هو ـ فى نهاية الأمر ـ النظرية العلمية ، وهى التى نشات اساسا من انماط التفكير العلمى الجاد فى حقائق الكون ، وهذا من اختصاص العلماء ، لانهم ادرى بمضمونها ، وهم الذين قاموا بصياغتها ، مستندين فى ذلك على حقائق مدروسة مقدما ، ومن اراد ان يدلى بدلوه فى مناقشة اية نظرية ، فعلية أن يكون فقيها باساسياتها ، وملما بكل عناصرها ، فيحدد لرجله قبل الخطو موضعها ، قبل ان ينزلق الى هاوية من الأخطاء التى لا تجوز الا على اصحاب العقول الساذجة .

خذ على سبيل المثال « نظرية الكم » لماكس بلانك ، وهى ـ ببساطة شديدة ـ نظرية تبحث فى طبيعة المادة والموجات الكهرومغناطيسية ، والتفاعل بين هذه وتلك .. وكل هذا موجود فى الطبيعة ، ولا جدال فيه لكن كيف ندرك جوهرها ، ونتعرف على طبيعتها ، ونحاول ترويضها تجريبيا وتطبيقيا ؟ ... ذلك ما فعله بلانك على اساس من تحليل رياضى ، تمخض عن نظرية ، اصبحت بمثابة « حجر رشيد » هذه الظاهرة الفيزيائية ، لانها فسرتها ، وارشدتنا الى كثير من الحقائق الخافية ، ثم اثبتت اصالتها فى كل ما تعرضت له من اختبارات قاسية .

ونظرية النسبية ايضا . كانت تحليلا رياضيا لالبرت اينشتاين للعلاقة بين المادة والطاقة والزمن والحركة ، وهى ايضا محاولة جادة لتفسير الكون ، وتنبات بامكان تحرير الطاقة من المادة ، وصحت النبوءة فى القنابل الذرية وغير ذلك من ظواهر قد يتشعب فيها الحديث ويطول .

ونظرية الحركة والمدارات فى الأجرام السماوية ، وعلاقتها بالجاذبية ، قد اتاح للعلماء ان يحسبوا كل شىء بدقة تامة ، وان يتنبأوا مقدما ، ولسنوات طويلة قادمة بالكسوف والخسوف فى الزمان والمكان بدقة تامة ، على هداها ايضا امكن غزو الفضاء ، واطلاق الاقمار الصناعية ، ووضعها فى مدارات ثابتة ، لتنقل البرامج التليفزيونية ، وتيسر الاتصالات بين القارات ، وبتحدث عن طريقها المهاجمون للنظريات .

كل هذا وغيره يوضح لنا معنى النظرية العلمية ، وقيمتها فى ربط الحقائق الكونية ، وتفسير الظواهر والأسرار التى ينطوى عليها الخلق ، ثم تظهر اصالتها ايضا فى تنبؤات قد تتحقق مستقبلا أو تطبيقات نافعة يثاب الناس بهـا .

ثم ان نظرية التطور ليست الا واحدة من النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات ، لكن لسوء الحظ انها الوحيدة التى تعرضت لهجوم قاس ، خاصة على مستوى الناس ، لاعتقادهم انها لا تتمشى مع ما نادت به الاديان ، وليس العيب فى النظرية بقدر ما هو عيب فى انماط التفكير السطحى ، فلقد اخذوا من النظرية ظاهرها دون ان يتعمقوا فى باطنها ، لأن الباطن قد تاسس على حقائق موجودة فى الخلق ذاته ، والخلق حق ، وفكرته حق ، وكل ما بنى على حق ، فهو حق ، « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

ما أشبه اليوم بالأمس البعيد

ويبدو ان الناس قد جبلوا على القفز الى الاستنتاجات قفزا ، فهم يخطئون عندما ينسبون الى داروين قوله بان اصل الانسان قرد وتطور ، رغم ان داروين لم يذكر ذلك حقا ، لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان ، ثم قد يطرح الناس اسئلة ساذجة ، فيقولون : لماذا لم نلحظ قردا يصيبه هذا الدور من الارتقاء ، حتى يصير الى انسان ؟ .. ثم يعقبون : ان داروين واتباعه يقولون انها ارتقت فى حلقات ، فاذا كان كذلك ، فلماذا لا نرى حلقة من حلقات الحيوان ، ولا حلقة من حلقات النبات ، ترتقى امام اعيننا الى النوع الآخر ؟!

والذين يطرحون مثل هذه الأسئلة معذورون ، لانهم لا يدركون ان عملية التطور محكومة بعوامل كثيرة ، ومنها عامل الزمن ، فلكى ينشق نوع اعلى من نوع ادنى ، فان ذلك لا يحدث بين يوم وليلة ، ولا فى الاف السنين ، بل يقاس ذلك بمئات الألوف أو ملايين أو حتى عشرات الملايين من السنين ، لكن ذلك موضوع طويل ، وسوف نعود اليه فى دراسة مستقلة ، لنوضح ما قدمنا فأوجزنا .

على ان مثل هذه الأسئلة او الظنون الخاطئة عن النظرية ، ليست وليدة هذا العصر ، بل ترجع جذورها الى عام ١٨٥٩ عندما نشر داروين كتابه الأول عن « اصل الانواع » ، وطبع منه ١٢٥٠ نسخة نفدت

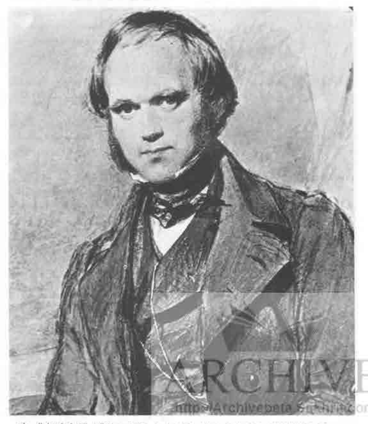
مات رجل.. وعاشت نظرية!

جميعها فى نفس اليوم الذى صدرت فيه ، فاحدثت ثورة فكرية وعقائدية عارمة ، ثم زادت الصحف ورسامو « الكاريكاتير » . الطين بلة ، فانتشرت التعليقات الساخرة ، وراجت التهكمات اللاذعة ، لدرجة ان مجلة علمية نقدية ربع سنوية لها وزنها ، قد ادانت الكتاب ومؤلفه ، وقالت بالحرف الواحد « انه يحتوى على حقائق سخيفة ومنافية للعقل ، ومدعمة بتلفيقات عفنة من التخمين والظنون » .. وجاءت صحيفة اخرى لتقول : ان النظرية تناقض العلاقة الراسخة فى العقول بين الخلق والخالق ، وفهم كثير من الناس ان الانسان ليس خلقا قائما بذاته ، بل ـ على حسب النظرية ـ من سلالة قرود ، رغم ان داروين لم يتعرض لذلك حقا فى كتابه ، ولم يذكره ، بل اشار فقط فى نهاية كتابه بجملة واحدة الى انه سيعود فيما بعد ، ليتناول اصل الانسان بالنسبة للانواع الاخرى ، لانه لا يستطيع ان يكتم الحقيقة عن العقول الذكية الواعية .

وبعد حوالى عام من نشر الكتاب ، لم تجد الجمعية البريطانية لتقدم العلوم مخرجا من هذا المازق ، الا بعقد اجتماع باكسفورد فى يونيو عام ١٨٦٠ ، خاصة وان هناك ثلاثة بحوث مقدمة للجمعية لتفنيد اراء داروين ، ووادها وهى لازالت فى مهدها ، وعندما سمع صمويل ويلبرفورس اسقف كنيسة اكسفورد بالنبا ، حزم امره لحضور هذا المؤتمر ليكيل لداروين الصاع صاعين ، ويجعله اضحوكة ، الا ان داروين استجاب لنصيحة بعض اصدقائه بعدم حضور الاجتماع ، وحضر عنه صديقه العالم البيولوجى توماس هكسلى الذى كان يتحيز للنظرية ، ويعرف فحواها معرفة الخبير الحاذق .

وامتلات القاعة عن اخرها ، حتى انه لم يكن هناك موضع لقدم ، وتقدم الاسقف ، وانطلق هادرا ومهاجما للنظرية وصاحبها ، وعندما لم يجد داروين اتجه ببصره الى هكسلى ، وحملق فيه ببرود شديد ، ووجه اليه سؤالا متهكما ولاذعا : هل يدعى هكسلى نسبه لقرد عن طريق جده لأبيه او جدته لأمه ؟

وكظم الرجل غضبه ، وهمس الى صديق له بجواره « لقد اوقعه الله بين يدى » ..



صورة خطية لتشارلز داروين عندما بلغ من العمر ٣١ عاما ، وفى هذه السن المبكرة ، كان قد توصل إلى وضع الخطوط العريضة لنظرية التطور فى عام ١٨٤٠ ولم ينشرها إلا فى عام ١٨٥٩ .

وعندما انتهى الأسقف ، انطلق هكسلى كالنمر المتوحش نحو المنصة ، واخذ يدافع بحرارة عن اصول النظرية ، وفى قمة انفعاله جالت عيناه بين جمهور الحاضرين ، وقال : انه لا يشعر بالعار حقا لانتسابه لسلالة القرود ، ولكن العار كل العار ان يقحم رجل مرموق نفسه فى مسائل علمية لا يفقه فى اصولها شيئا ، ولقد شعر معظم الحاضرين بمرارة هذه الاهانة الذكية ، اذ فهمها البعض ان هكسلى كان يقصد انه لا يجد عارا فى نسبه لقرد ، لكن العار ان ينتسب لمثل هذا الرجل .

وعند هذا الحد ، حدث هرج ومرج ، ووقف قائد السفينة التى حملت داروين فى رحلته الشهيرة وهو يلوح بعصبية شديدة بالانجيل ويصرخ « لم اكن ادرى اننى احمل فى سفينتى مثل هذه الأفعى الخبيثة (يقصد داروين) .. ان هذا هو الحق (يقصد الانجيل) » !

وانفض الجمع ونظرات الحقد والكراهية تكاد تلتهم العلماء القلائل الذين حضروا هذا الإجتماع الصاخب الذى صاحبته حالات من التشنج والاغماء والتهديد والوعيد ، وخرجت الصحف لتشير الى امكان حدوث مواجهة جديدة بين العلم والكنيسة ، اذ لم تكن هذه المواجهة هى الأولى من نوعها ، بل سبقتها مواجهات اخرى كثيرة ، كان اهمها سجن جاليليو ومحاكمته ، ثم اصرار الكنيسة على ان يتخلى جاليليو عن فكرة ان الأرض تدور حول الشمس ، حتى يمكن اطلاق سراحه فاعلن ذلك كراهية ، وعندما خرج ، اخذ يتمتم بينه وبين نفسه : ومع ذلك فلازالت الأرض حول الشمس تدور !

ومع ان كثيرا من المسائل العلمية التى اصطدمت بالعقائد المتوارثة قد انتصرت فى النهاية ، وسارت فى طريقها لا تلوى على شىء .. مع ذلك فلازالت نظرية التطور تجد حتى اليوم معارضين ، وخاصة من رجال الدين ، لأن فكرة خلق الانسان تتعارض ظاهريا مع



لقد اتخذ داروين من بيته معملا ومكتبا ومكتبة ، وقضى فيه ١٠ عاما ، وهو يدرس ويطلع ويقارن ويشرح ويجرب .. الخ ، عله يتوصل إلى صياغة نظرية معقولة للتطور ، وهي لازالت بدورها تتطور إلى الاحسن على يدي علماء القرن العشرين .

الأديان ، ونقول ظاهريا ، لان الناس يتعاملون مع الظاهر ، ولو اطلعوا على الباطن ، لعرفوا ان الخلق جميعا قد توحد فى فكرة واحدة ، وهى بلاشك تشير الى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، وهذا ما سوف نقدمه فى دراسات قادمة ، لتتضح الامور لكل ذى عقل رزين ، وهو ما كشفت عنه البحوث العلمية الجادة التى لم تتوقف بعد موت داروين ، والى الآن ، وبعد الآن ، لان حلقات القصة لم تكتمل بعد ، رغم ان كل الدلائل تشير الى ان التطور حقيقة موروثة فى طبيعة الحيـــاة ذاتها .

الرجـــل والنظرية

والسؤال الذى قد يلح الآن على الاذهان هو : لماذا خرج داروين على الناس بنظريته الغريبة التى تخالف كل ما وقر فى عقولهم ؟ .. ومن اين جاء بها ؟ .. وكيف توصل اليها ؟

الواقع انه لم يات بها من فراغ ، بل ان الحقائق التى ينطوى عليها الخلق هى التى رسمت له الطريق ، وهو طريق شاق وطويل بدا فيه رحلته المضنية وعمره لم يتجاوز ٢٣ عاما ، ثم لم يكل ولم يهدأ الا بعد موته عن ٧٣ عاما .. اى انه قضى ٥٠ عاما طوالا فى بحوث ودراسات جبارة عزل فيها نفسه عن العالم فى محراب العلم ، وظل يتامل ويجرب ويقارن ويصنف ويجمع حصيلة علمية تنوء بها عقول الرجال ، وكان يعلم خطـــــورة الاستنتاجات التى توصل اليها ، ويدرك مدى ما يمكن ان تجره من محن ومكاره هو فى غنى عنها ، لكنه كان كمن يحدث نفسه : هذه هى الحقيقة امامى واضحة ، فكيف اجبن واخفيها ؟

ولا أحد يعرف قيمة الرجال ، الا اذا عرف كيف انجزوا ما انجزوا ، ولهذا يطلق العلماء على داروين انه « اسحق نيوتن » علم الحياة .. فهذا طور نظرتنا الى علم الفلك ، وذاك طورها فى البيولوجيا ، بدليل ان داروين لايزال حيا بافكاره بين العلماء خاصة ، والنـــاس عامة ، وان اختلفت نظرة هؤلاء وهؤلاء الى ما جاء به الرجل ، ولهذا لا يقيم العلماء الا العلماء .

وجدير بنا ان نلقى بصيصا من الضوء على حياة داروين ، لنعرف كيف لعبت الصدف لعبتها فى تغيير مجرى حياته ، فلقد نشا فى عائلة معظمها من الاطباء ، فوالده طبيب ، وكذلك جده لابيه ، وعمه طبيب ، وهو بدوره قد ذهب ليدرس الطب فى جامعة ادنبره ، وعندما حضر اجراء عملية جراحية لصبى صغير بدون تخدير (اذ لم يكن التخدير قد عرف بصورته التى نعرفها اليوم) وسمع صراخه وشاهد الامه ، اصابه الغثيان وهرب من حجرة العمليات ، فهجر الطب الى غير رجعة ، وذهب ليدرس اللاهوت فى جامعة كامبردج الشهيرة ، ليصبح قسيسا ،

مات رجل.. وعاشت نظرية!

اذ انه كان « لايشك لحظة واحدة فى حقيقة كل كلمة من كلمات الانجيل » ـ على حد تعبيره ، لكن المنهج اللاهوتى لم يلق فى نفسه هوى ، واصابه بالضجر ، فهجره ، وهام على وجهه فى رحاب الجامعة دون هدف واضح ، وشغل وقته بالصيد ولعب الورق والتعرف على زملائه واساتذته ، واعجب بالعالم النباتى الموقر البروفيسور جون هنسلو ، وبالعالم الجيولوجى البروفيسور ادم سيدويك ، وبدا يميل اليهما ، اذ وجد فيهما وفى العلوم الطبيعية ضالته المنشودة ، ومن ثم فقد تتلمذ عليهما ، ووجدا فيه بدورهما حماسا هائلا ، وطاقة جبارة للاطلاع والتحصيل والفكر المنظم ، خاصة وان داروين فى صباه كان يميل الى جمع الصخور والحشرات والاصداف والطيور ، ونمت هذه الهواية وترعرعت ، وصقلها بالمنهج العلمى الذى تلقاه ، واخيرا حصل على درجته الجامعية .

ولم يتوقف طموح الشاب عند هذا الحد ، بل سيطرت عليه رغبة شديدة لجمع اكبر عدد ممكن من الملاحظات والحقائق عن الكائنات الحية التى تعيش فى بيئات مختلفة ، وكان لقراءاته النهمة فى العلوم الطبيعية اكبر الأثر فى تشكيل انماط فكره نحو هدف محدد ، ولقد جاءته فرصة العمر عندما سمع عن قيام سفينة الابحاث «بيجل» برحلة علمية الى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر ، وابدى رغبته لبعض اساتذته فى الجامعة ليستقل هذه السفينة ، فزكوه بجدارة ، ولكن بدون اجر يمكن ان يحصل عليه من الجامعة ، ووافق على ذلك ، وفى عام ١٨٣١ ابحرت السفينة فى رحلة قطعت فيها ٦٥ الف كيلومتر ، واستغرقت خمس سنوات ، وكانت هذه الرحلة « اهم حدث فى حياتى ، لانها قررت مصيرى » ـ على حد تعبيره .

وطوال السنوات الخمس استغل وقتــه اكفا استغلال فى القراءة وجمع العينات ، وتدوين الملاحظات ، وتسجيل كل كبيرة وصغيرة عن البيئة والمناخ وطبيعة الارض والصخور ، وعاد بحصيلة علمية هائلة لم يحظ بها اى عالم اخر ، ولقد كانت الحصيلة اكبر من ان يقوم بها انسان واحد ، وهو لم يدع انه يعرف كل شىء ، ومن اجل هذا فقط احتفظ بما يعرفه ليدرسه دراسة الباحث المتامل الواثق ، ومالا يعرفه ، قام بتوزيعه على العلماء المتخصصين ، فارسل الكائنات الحفرية مثلا الى د . ريتشارد اوين ، والطيور الى د . جون جولد ، والنبــــــاتات الى البروفيسور جون هنسلو ، والحشرات والعناكب والمحاوريات .. الخ الى اخرين ، وكل هذا بهدف المقارنة والتشريح والتصنيف واكتشاف العلاقات بين الكائنات الحية والمنقرضة ، سواء من هياكلها او انسجتها واعضائها .. الخ ، وبالاختصار ، فان البحث فى اصل الانواع استلزم فرقة كاملة من العلماء المتخصصين ، ليصبوا بنتائجهم وارائهم فى منزل داروين الذى اتخذه بمثابة سكنه ومعمله ومكتبته وتجاربه ، وعاش فيه طوال عمره ، دون ان يلهيه منصب جامعى عن رسالته ، لأنه كرس كل عمره للبحوث والتجارب والتدوين المنظم فى اكداس من الورق ، نتيجة لخلق منظم ، وفكر منظم ، وليس فى هذا ما يضير ، او يستلزم عداوة او هجوما على الرجل من احد .

وكان من نتيجة هذا الجهد الجبار ان ظهر كتاب اصل الانواع ، الذى قضى داروين فى تاليفه ٢٣ عاما طوالا ، بخلاف السنوات الخمس التى امضاها بحثا فى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر معزولة .. وهذا ينبئنا بالقيمة الحقيقية للرجل ، ولقد كان يفخر دائما بانه قد علم نفسه بنفسه ، ليس طمعا فى الحصول على شهادات أعلى ، او مناصب ارقى ، بل بحثا عن الحقيقة فى اصول الخلق ، وهو هنا يشبه عملاق العرب عباس العقاد ، مع الفرق طبعا بين رسالة هذا وذاك .

عوامل شكلت حياته وافكاره

ولقد سئل داروين ـ بعد ان ذاع صيته ، وانتشرت نظريته ـ عن سر عزلته ونجاحه ، فاجاب : ان الذى حبب له العزلة ، هى السنوات الخمس التى قضاها فى السفينة او على الجزر المعزولة ، رغم انه فى صباه وشبابه المبكر كان يحب الانطلاق والصيد ولعب الورق والشراب ، ثم ان النهم الى القراءة والاطلاع يستوجب العزلة ، ومن اجل هذا انتقل الى منزل ريفى بمقاطعة كنت مع شريكة حياته التى تزوجها بعد عودته من رحلته بثلاث سنوات ، ورزق منها بعشر من البنين والبنات ، مات منهم ثلاثة ، اكبرهم مارى التى توفيت عن عشر سنوات ، وكانت احبهم واقربهــم الى عقلــه ووجدانـــه .. وعندما سئل عن الزواج والاولاد قال « ان الاطفال اكبر سعادة فى حياة الانســـان ، لكنهم مع ذلك قد يجلبون التعاسة عندما يموتون » .

ورغم وفاء زوجته ، ووقوفها بجواره (وهى ابنة خاله) ، رغم ذلك فقد اشـــــار « من المستحسن فى رجل العلم الا يكون لديه أولاد او حتى زوجة ، فلا شىء فى العالم يمكن ان يكون بديلا عن العلم ، لأن العلم يتطلب مجهودا وتفرغا » .. ومع كل هذا ، فان داروين ـ بلاشك ـ قد حقق الكثير ، واضاف للعلم ثروة هائلة ، وهز الافكار هزة كبيرة لا يزال اثرها قائما حتى اليوم ، وهو يرجع ذلك لاسباب ، اولها حبه الشديد للعلم ، وثانيها صبره عليه ، وثالثها شىء من القدرة على الملاحظة والادراك والكشف ، ورابعها الفطرة السليمة للحكم على الاشياء حكما صائبا ، واخرها معرفة قيمة الوقت فى حياة الانسان !

وايا كانت حياة الرجل ، فلقد اصبح الان فى ذمة التاريخ ، لكن نظريته لازالت فى ذمة العلماء ، وهم اولى بها من الادعياء ، اذ نراهم يقولون : ان العلماء انفسهم مختلفون فيما بينهم على النظرية ، وهذا صحيح من حيث المبدا ، وليس ذلك فى الجوهر ، فالرجل قد ناقش التطور ، والتطور لاخلاف عليه ، لكن الخلاف قد تناول بعض بنود نظرية داروين ، وفرق كبير بين هذا وذاك ، وهو فسرها بما يتلاءم مع امكاناته هو ، وامكانات عصره المتواضع نسبيا ، لكن الاف العلماء الذين جاءوا من بعده ، قد نظروا الى الخلق نظرة اعمق واوسع ، مستعينين على ذلك بما وضعه التقدم العلمى المذهل بين ايديهم من وسائل علمية متقنة ، وبها صقلوا نظرية التطور بنظريات اكثر تطورا ، فلا جمود فى العلم على راى واحد ، بل يتناول اللاحقون ما قدمـــه السابقون بالتعديل والصقل والاضافة ، لتصبح النظريات والحقائق اكثر تالقا فى العقول ، واكفا سبيلا فى فهم اسرار الكون والحياة ، ومن هنا يكتسب العلم اصالته ، والاصالة تنعكس على تقدم مذهل نراه واضحا فى كل ان وحين .

وفى هذا الكفاية لقوم يدركون ويفقهون ، ولنا مع هذا الموضوع الكبير عودة ، علنا نوضح فكرة الخلق ظاهرا وباطنا ، ففيها زاد جميل للعقول الواعية ، ولا شان لنا باللاهية .

د . عبد المحسن صالح الاسكندرية

جزء خاص : ١١ عامًا على استقلال دولة قطر



مسيرة الاستقلال في الداخل والخارج

● ● منذ استقلال دولة قطر فى ٣ سبتمبر عام ١٩٧١ ، وهى تمضى فى مسيرتها التاريخية من اجل توطيد صرح الدولة الحديثة .. هذا الصرح الذى تقوم دعائمه على الجهد والعمل ، ويستند الى سياسة واعية فى الداخل تحقق التنمية الشاملة والاستقرار الاقتصادى ، وقواعد ثابتة فى السياسة الخارجية ، تستمد جذورها من الحرص المستمر على التعاون والتضامن مع الدول الخليجية والعربية والاسلامية ، ومناصرة كافة القضايا العادلة فى المجتمع الدولى ..

وقد استطاعت هذه السياسة الحكيمة أن تحقق لقطر خلال ١١ سنة من الاستقلال مكانة مرموقة فى الأسرة العربية والأسرة الدولية ، فى نفس الوقت الذى اتجهت فيه دولة قطر إلى بذل جهودها لتحقيق حركة انمائية شاملة من أجل اللحاق بركب عالمنا الحاضر وارتياد آفاق التقدم الانسانى المعاصر ..

إن قطر تخطو فى ظل الاستقلال عاما بعد عام نحو التقدم والرخاء وأداء رسالتها العربية والاسلامية والانسانية على افضل الأسس والمبادىء ، تحت قيادة اميرها المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ● ●

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

من كلمات القائد في ظل الاستقلال

● لقد احتفلنا من قبل بتخريج خمس دفعات من جامعة قطر ، واليوم نحتفل بتخريج الدفعة السادسة التى يبلغ بها مجموع ما خرجته الجامعة من ابنائنا حتى الآن ما يقرب من الفى خريج وخريجة فى مختلف الدراسات والتخصصات العلمية ، وهو عدد يمثل انجازا جديراً بالتقدير ، ولا سيما ان عمر الجامعة لا يزيد على تسع سنوات .

(٥ يونيو ١٩٨٢)

● منذ ان حصلنا على استقلالنا وفزنا بسيادتنا الكاملة قبل عشر سنوات ، لم نتوان عن ان نرسى لكل من سياستنا الوطنية ، والقومية العربية والاسلامية ، والانسانية ، اسسا ثابتة ، ولقد تمثل نهجنا فى ان نستمد جوهر هذه الأسس من تعاليم ديننا الاسلامى السامى بحيث نحتفظ بذاتيتنا الإسلامية الأصيلة ، ونستنبط روحها من تقاليدنا العربية النبيلة ، بحيث نصون شخصيتنا العربية العريقة ، وفى ذات الوقت ، حرصنا على ضرورة الاستجابة القويمة لمتطلبات التحديث فى عالمنا الراهن للحاق بركب تقدمه العلمي والصناعى .

(٢ نوفمبر ١٩٨١)

● من الحقائق الثابتة أن الأسرة الدولية كلها اصبحت قوية الايمان بأن إقامة السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط ، يرتهن بحل القضية الفلسطينية حلا شاملا عادلا ، لانها تشكل جوهر النزاع فى المنطقة التى يهدد استمرار اضطراب حبل السلم والأمن فيها السلم والأمن الدوليين .

(٢٩ نوفمبر ١٩٨٠)

● لما كان من الحقائق الثابتة ان القوة الاقتصادية هى اقوى قواعد التقدم والازدهار واكثرها قدرة على تحقيق الامن والاستقرار الضروريين لحماية استقلال الدول وسيادتها وصون حقوقها وكرامتها ، لذلك نادينا ومازلنا ننادى بان امثل مدخل إلى تحقيق تلك الاهداف ، هو بناء قوتنا الاقتصادية الذاتية المشتركة بافضل الطرق وهو طريق التدرج المرحلى المتأنى نحو انشاء نواة لاتحاد اقتصادى بين دولنا العربية الخليجية ، واننا لنحمد الله على ان هذه الدعوة هى الآن دعوة استقر اجماع كل هذه الدول على تاييدها .

(١٥ نوفمبر ١٩٨٠)

● لقد باءت بالفشل كل مناشدات قادة العالم ومحاولات حكوماته ، خارج الامم المتحدة ، لحمل اسرائيل على العدول عن اصرارها على استمرار عدوانها على الحق الفلسطيني ، الذى لا يمكن قيام سلام فى الشرق الأوسط الا برده لاصحابه .

(٢٩ نوفمبر ١٩٧٩)

● إن قدوم القرن الخامس عشر الهجرى يقف بنا نحن المسلمين على مفترق الطرق ، ويطالبنا ان نقف وقفة نراجع فيها انفسنا ونحدد بها ما يجب علينا نحو امتنا ونحو العالم من حولنا .

(٢٥ نوفمبر ١٩٧٩)

● السياسة الداخلية لدولتنا تقوم على اسس علمية ، وتستند إلى قيم وطنية نستلهمها فيما نحن بسبيله من العمل للحاق بركب التقدم ، ومتابعة رحلة النمو من خلال الجهود التى نبذلها لاستثمار موارد ارضنا الطيبة على احسن نحو ، وتنويع مصادر دخلنا ، وانماء امكاناتنا الصناعية وتوسيع رقعتنا الزراعية بكل القدر الذى نستطيع .

(٢ نوفمبر ١٩٧٨)

● اما عن الثروة البشرية ، فتنميتها تستهدف زيادة قدرة المواطن على الإنتاج المثمر فى ميدان الفكر والعمل . وتحقيق هذا الهدف يتطلب فى ان واحد مواصلة رفع مستوى التحصيل العلمى والعمل للمواطن وتوفير الخدمات العامة والرعاية الاجتماعية الملائمة له . ولقد حققنا فى هذه المجالات جميعها انجازات كبيرة خطت خطوات واسعة إلى الامام .

(١٦ ديسمبر ١٩٧٥)

● إن المرحلة التى نعيشها الآن مرحلة تاريخية مجيدة ، لانها مرحلة بناء صرح دولتنا العصرية وتامين موفور الهناء لشعبنا الطموح ، ولا يكتب الفلاح لهذه المرحلة فى حياة الامم الا اذا ارتكزت على جهود خلاقة لعوامل التقدم منشئة لمقومات الارتقاء والرخاء .

(١٨ نوفمبر ١٩٧٤)

● لقد اشرق على بلدنا الغالى هذا اليوم .. عهد جديد نحرص بتاييد الله وتوفيقه على ان نجعله عهد يمن وازدهار وعدالة واستقرار .

(٢٢ فبراير ١٩٧٢)

● تنفيذا لقرار اعلان استقلال بلدنا ، قررنا إنهاء العلاقات التعاقدية الخاصة وجميع الاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المرتبة عليها المبرمة مع الحكومة البريطانية . وبذلك تصبح دولة قطر دولة مستقلة استقلالا تاما وذات سيادة كاملة . تمارس كل مسئولياتها الدولية بنفسها ، وتتولى وحدها سلطانها الكامل فى الخارج والداخل على السواء ، وسنبدا فورا باتخاذ الإجراءات اللازمة لانضمام دولتنا العربية الفتية إلى جامعة الدول العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة .

(٣ سبتمبر ١٩٧١)



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

الشباب صانع حضارة الغد

من اجل مشاركة الشباب فى صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة بكل ما اكتسب من دراسة وخبرة ووعى وخلق قويم ينبع من الايمان بمبادىء ديننا الحنيف وتعاليمه السامية وقيمه النبيلة .

واعطت الدولة الثقة للشباب فى ان يكرسوا ما كسبوه من معارف علمية وما ظفروا به من قدرات فنية للقيام بواجباتهم المقدسة نحو وطنهم والمشاركة بكل امكاناتهم فى تحقيق ما تصبوا إليه من نهضة شاملة .

وفى ظل هذه السياسة الحكيمة كان لابد ان تتوحد طاقات الشباب فى مسيرة هادفة، ولذلك تم انشاء المجلس الاعلى لرعاية الشباب حتى يقوم بدوره فى إرساء اسس التخطيط الضرورية لمتابعة رعاية الشباب فى مختلف مراحل النمو ، وحتى يهيىء لهم على كل ما ينهض بالمستوى الاقتصادي والفكري الذى يؤدى الى تنمية وجدانهم الوطني والقومي ، وترسيخ ايمانهم ، وتثبيت اعتدادهم بعقيدتهم ..

وقد عبر سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب عن هذه الاهداف بقوله : « المرحلة التى نعيشها هى مرحلة بناء الدولة العصرية ، وتأمين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وانه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له افضل تكوين روحى وعقلي وبدني ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ، ومركز الاماني فى اضطراد الرخاء والازدهار » .

ومن هذا المنطلق خطا المجلس الاعلى لرعاية الشباب خطوات واسعة نحو تحقيق اهدافه ، فنظم الانشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الاجهزة الحكومية والاهلية وذلك بعد اصدار اللائحة الداخلية ، كما عمل على تدعيم وتوجيه هذه الأجهزة والتنسيق بينها من أجل تكوين المواطن الصالح وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادي والمعنوي وما ينمي لديه الروح الوطنية والقومية والعقيدة الدينية ..

واهتم المجلس الأعلى لرعاية الشباب ـ أيضا ـ باعداد لائحة موحدة للاندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية من انشائها .. واهتم بالبحوث والدراسات العملية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ..

ومن كل ذلك ندرك مدى التطور الكبير الذى حدث فى منشآت رعاية الشباب منذ قيام المجلس حتى اليوم ووفقا لسياسته واهدافه .

ومن خلال تتبعنا لسياسة المجلس الأعلى لرعاية الشباب والمهمات التى تقع على عاتقه ، يتضح لنا عدة حقائق من بينها :

● عمل المجلس على تشغيل المنشآت والمهمات القائمة حاليا باقصى طاقاتها ، وذلك عن طريق تنظيم وتنسيق الاستفادة مما هو قائم فى وقت انشاء المجلس ، بحيث تقوم بخدمة كل القطاعات بصرف النظر عن تبعيتها ..

● قام المجلس بالتعاون مع الاجهزة الحكومية المهتمة برعاية الشباب باعداد الملاعب الرياضية موزعة على جميع مناطق الدولة .

● بدأ المجلس فى تنفيذ صالة مغلقة وفقا لاحتياجات الدولة ، كما تقوم اجهزته بدراسة انشاء حمام للسباحة وذلك استكمالا لمنشآت مدينة خليفة الرياضية .

● عمل على توفير مصادر التمويل السنوية المناسبة لتحقيق أهداف خطة المجلس ، وذلك بتضمنها ميزانية المجلس لرعاية الشباب وفى ميزانيات الهيئات الحكومية والاهلية التى تعمل فى مجالات رعاية الشباب .

● تشجيع الهيئات والاجهزة العاملة فى مجالات رعاية الشباب على تنظيم الدراسات لتدريب وصقل القيادات فى المجالات المتنوعة وارسال بعض الشباب القطرى للدراسة واكتساب الخبرة فى الخارج .

● تشجيع النوادى التى تهدف إلى مزاولة أى نشاط رياضى واجتماعى وتقديم المعونة والدعم الفنى والمادى لها لفتح مجالات جديدة لانشطة الشباب .

● دعم العلاقات والروابط بين شباب دولة قطر والشباب العربى خاصة والعالمى عامة عن طريق الاشتراك فى المؤتمرات والمهرجانات الشبابية والرياضية والاتحادات الدولية .

● وذلك بخلاف الاهتمام بتكوين اتحادات اندية العلوم فى الدولة لتحقيق الاهداف التربوية التى تنمى قدرات الشباب وطاقاتهم الخلاقة المبدعة .

وهكذا نرى مدى الجهد الكبير الذى يبذله المجلس الأعلى لرعاية الشباب من اجل ان يقوم برسالته النبيلة التى تستهدف تنمية حب العلم والمعرفة بين الشباب ، ونشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية واللجنة الأوليمبية وتنظيم الانشطة الخاصة بالشباب ورعايتهم .

ويساهم فى تنمية هذا الاهتمام وجود مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاد يسع اربعين الف متفرج ، واقيمت فى عام ١٩٨١م الدورة الادارية الثالثة التى شارك فيها خبراء من التنظيم الاداري للأندية الرياضية والثقافية ، وافتتح اول معرض لكتاب الرياضة والشباب ، وقدمت المكافات المالية للفرق الفائزة حتى ترتفع بمستواها، وحققت قطر نصرا عالميا عندما فازت فى عام ١٩٨٢ بالمركز الثاني فى تصفيات كاس العالم للشباب التى اقيمت فى استراليا ، وكل هذا وغيره يجعلنا ندرك مدى الاهتمام البالغ الذى تعطيه دولة قطر لشبابها .



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

مستقبل التعليم



في البداية لابد أن نوضح ان الاهداف العامة للتربية والتعليم فى دولة قطر تتمثل في الاستفادة القصوى من الشباب القطرى مع المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية وتحقيق آمال المجتمع فى ان يعيش حياة عصرية ، وبناء الشخصية المتكاملة الواعية للانسان القطرى وتحقيق التماسك الاجتماعى والاهتمام بالعنصر البشرى والانفتاح على الحضارة المعاصرة بانجازاتها العلمية والتكنولوجية وتوثيق العلاقات التربوية والثقافية بين قطر والدول العربية والاسلامية والاجنبية وتشجيع نشر الثقافة والتعاون فى دفع ركب الحضارة .

وترتكز السياسة التعليمية لدولة قطر على أن الانسان القطرى هو اهم ثروات البلاد وأن التعليم حق لكل مواطن راغب فيه وقادم عليه . كما انه دعامة اساسية من دعائم المجتمع تكفله الدولة وترعاه باعتبار ان الثروة البشرية هى أساس التنمية فى البلاد، لذلك فان الاهتمام بتنميتها معلم رئيسي من معالم السياسة التربوية والتعليمية للبلاد ، ومسيرة التربية والتعليم فى دولة قطر هى جزء اساسي فى مسيرة الحضارة التى تخطوها دولة قطر الفتية كما رسمها أمير البلاد المفدى وأكدها الدستور، والتى ترتكز على أن الانسان القطرى هو اغلى الثروات لذلك فان وزارة التربية والتعليم تعتبر نفسها مسئولة عن اعداد هذا الانسان تربويا وثقافيا وروحيا ، ولايقتصر هذا الدور على المؤسسات التعليمية فى الداخل فقط ولكنها توفر سنويا المنح الدراسية فى التخصصات التى تحتاجها البلاد وتقوم بالاشراف على البعثات العلمية فى الداخل والخارج .

الأهداف التعليمية

وتعتمد وزارة التربية والتعليم فى خططها السنوية على عنصرين اولهما: مواجهة الاطراد الكمى السنوى فى التعليم وتدبير ما يحتاجه التوسع من حيث الامكنه والابنية المدرسية الجديدة وتعيين العدد الكافى من المدرسين والمدرسات وتوفير الكتب والقرطاسية والادوات اللازمة لسير العملية التربوية على اكمل وجه واعتماد الميزانية الكافية لذلك .

وثانيهما : تحسين العملية التعليمية من حيث تطوير المناهج والكتب وتدريب المعلمين والتوسع فى استعمال الوسائل التعليمية وادخال النظم الحديثة التى تساعد الطلاب على حسن الاستيعاب وتساعد المدرس على حسن القيام بواجبه الى جانب الانشطة المدرسية المساعدة والتى يسهم فيها الطلاب بجهودهم .

خطة العام الجديد

وتتضمن خطط وزارة التربية والتعليم خلال العام الدراسى القادم ١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ افتتاح ١٩ مدرسة جديدة ثانوية واعدادية وابتدائية بمختلف المناطق وتعيين ٤٠٠ مدرس ومدرسة والاستفادة من استخدام التلفزيون التربوى والوسائل التعليمية وتكثيف الدورات التدريبية للمعلمين والمعلمات اثناء الخدمة والتوسع فى استعمال وسائل النشاط المختلفة من رياضية وثقافية والاهتمام بالنواحى الخلقية والبدنية بين الطلاب وزيادة عدد المكتبات المدرسية وتحسين خدماتها وتزويدها بالمراجع والكتب المختلفة ، والاهتمام بصحة الطلاب وتزويد ادارة الصحة المدرسية بالكفاءات البشرية والمعدات والادوات اللازمة لرعاية الطلاب ومتابعة علاج ما قد يعوقهم عن التحصيل الامثل . ومن ناحية أخرى تقوم الوزارة بالبحوث التربوية ومواصلة تطوير المناهج والكتب الدراسية وطرق التدريس بحيث تكون عملية التطوير منسجمة مع طبيعة البيئة المحلية ومحققة لمتطلبات المجتمع القطرى العقائدية والاخلاقية والقومية والفكرية .

الطلبة اثناء اقبالهم على الاطلاع داخل المكتبات المدرسية

في قطر



احتفالات يوم العلم

تطوير المناهج

وقد تم هذا العام تشكيل ست لجان لتطوير المناهج حيث تتم عمليات التطوير بناء على نتائج الابحاث والدراسات الميدانية التى تجرى بصفة مستمرة . ومن اهم المواد التى جرى ويجرى تطويرها لتتناسب مع المتطلبات العلمية والثقافية المعاصرة مواد العلوم العامة والمواد الاجتماعية واللغة العربية والرياضيات الحديثة والاقتصاد المنزلى للبنات والعلوم الشرعية واللغة الانجليزية .

وقد روعى فى مناهج هذه المواد تحقيق التكامل الذاتى بينها تاكيدا للتدرج الموضوعى فى المعلومات ومنعا للتكرار فى المواد المختلفة ومن المتوقع الانتهاء من كتب المواد الاجتماعية للمرحلة الاعدادية وكتب العلوم العامة للمرحلة الثانوية للعام الدراسى ١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ،كما تم الانتهاء من مناهج المواد الاجتماعية الثانوية وتم اعتمادها وبوشر تاليف الكتب الخاصة بها وكذلك مناهج اللغة العربية للمرحلة الابتدائية .

تطوير التعليم الفنى

وتسعى الوزارة جاهدة لتطوير التعليم الصناعى ودعمه وقد اعدت خطة متكاملة للنهوض بهـــذا النوع من التعليم كما وكيفا .. وقـــد استقدمت الوزارة عددا من الخبراء والمختصين فى تطوير التعليم الفنى من الدول العربية ومن منظمة اليونسكو كما اصبح تطوير التعليم التجارى ايضا امرا لازما،وقد اخذت نفس الجهود التى بذلت فى التعليم الصناعى مجراها فى التعليم التجارى الذى نامل فى ان نستمر فى تادية رسالته من حيث اعداد الكوادر المتوسطة وان يتم البناء الجديد لجامعة قطر وتعزيزها بانشاء كلية للتجارة والادارة بحيث تستوفى حاجة البلاد من التخصصات الجامعية .

تعليم الكبار

والى جانب التعليم النظامى النهارى تبذل الوزارة جهدا كبيرا فى مجال محو امية الرجال والنساء الذين فاتهم سن التعليم بافتتاح الفصول المسائية ليتسنى لهم اســتكمال دراستهم حتى فى المرحلة الجامعية .. ولا تتوقف جهود الوزارة عند هذا الحد بل انها تحاول جاهدة تحسين الاداء الوظيفى للموظفين العـــــاملين بالدولة فى كل من معهد الادارة ومعهـــد اللغات المسائيين .

التدريب المهنى

على ان الاهتمام بمحو الامية ليس هو الجهد الوحيد المبذول فى سبيل تعليم كل من فاته القطار فهناك جهود اخرى فى نفس الاتجاه ، تهدف الى التركيز على التدريب المهنى ، ليشمل كل من لم يتمكن من الانخراط فى سلك التعليم النظامى العادى لسبب او لآخر ، بحيث يكتسب هؤلاء عن طريق ذلك التدريب ، مهنة او حرفة يجيدونها ويحققون ذواتهم من خلالها فيستطيعون انئذ ان يكونوا مواطنين عاملين واعضاء منتجين فى مجتمعهم ، وتعمل الوزارة على افساح فرصة الاختيار فى هذا الصدد فيتم تدريب الراغبين على حرف متعددة تلائم مختلف الميول والاتجاهات مثل : الحدادة والنجارة والطباعة والاعمال الكهربائية واشغال الراديو والتلفزيون وما اليها من اعمال فنية تلبى حاجة المجتمع الذى يستورد معظم العمالة فى هذا المجال من ناحية ، وتوفر للفرد عملا كريما وحرفة مكتسبة من ناحية اخرى .

الدعم الجاد

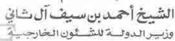
ولايفوتنا فى الختام ان نذكر شاكرين الدعم الجاد المخلص لهذه الاهداف التى نسعى الى تحقيقها من جانب حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى وولى عهده الامين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى وتوجيهاتهما السديدة المستمرة للسير بالعملية التعليمية نحو الاهداف المرسومة لبناء دولة عصرية وبذل كل الطاقات من تخطيط ومتابعة حتى تضمن نجاح خططنا والوصول الى اهدافنا سواء على مدى المستقبل القريب او المستقبل البعيد لصالح اجيالنا الحاضرة واجيالنا القادمة .

محمـــــد بن حمـــد آل ثانى

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

المجالات الحيوية





بقلم

الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني

وزير الدولة للشئون الخارجية

سمو أمير البلاد المفدى أثناء مشاركته في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في المملكة العربية السعودية

استطاعت دولة قطر خلال سنوات معدودة ان تبني لها مكانا مرموقا بين امم الأرض وذلك من خلال سعيها الدؤوب وعملها الجاد فى سبيل اللحاق بركب التقدم والتطور فى جميع الاصعدة وعلى كافة المستويات ، ويهمنى هنا ان اتناول مجالا من مجالات العمل فى دولة قطر الا وهو سياسة قطر بالدول المحيطة بها وبكل دول العالم .

لعل من المعلوم ان لكل دولة خطوطا عريضة تسير عليها ولها مجالاتها الحيوية التى تتحرك فيها واستطيع ان احدد مجالات السياسة القطرية بما يلى :

أولا : المحيط الاقليمي : من بديهيات القول ان دولة قطر جزء من الخليج العربى تربطها بدوله علاقات مصيرية بذلت قطر وما زالت تبذل فى سبيل تمتينها وتنميتها كل ما تملك من جهد يحدوها الى ذلك امل مشترك هو النهوض بهذه المنطقة ثم الابتعاد بها عن الصراعات الدولية وتجنيبها محاولات الاستقطاب العالمية .

ولعل من المساهمات الفعلية والفعالة التى قامت بها دولة قطر هو جهدها الكبير الذى بذلته وبكل المسؤولية مع بقية شقيقاتها دول الخليج العربية فى سبيل اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية كمنظمة سياسية تضم جهود دول المنطقة ومساهمتها المستمرة فى سبيل انجاح كل مساعيه الطيبة .

ولقد اكد سمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني هذه الحقيقة بالقول السديد « ان لدول الخليج قضية واحدة مشتركة هى قضية التقدم والاستقرار والأمن والاستقلال وان الجهد الجماعى المتضامن هو افضل وسيلة لتناول هذه القضية بما يحقق الخير الذى تنشده دول المنطقة » .

من هنا كانت مشاركة دولة قطر وعلى مختلف المستويات وفى كل اللقاءات التى تحقق للخليج سيادته وامنه واستقلاله وتجسد وحدته ، ولقد اصبح مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال سنة وبعض السنة رمزا للتكامل فى مختلف الميادين ، كما اصبح منبرا من منابر الكلمة الواحدة الداعية الى استقرار المنطقة وازدهارها ورفعة شعبها بمناى عن الاحلاف والمحاور وليكون كذلك نواة لتضامن عربي اوسع فى محيط جامعة الدول العربية .

ثانيا : المحيط العربى : إن دولة قطر جزء من الأمةالعربية المجيدة وعلى هذا نص نظامها الأساسي على انها عضو فعال فى جامعة الدول العربية وتبذل كل ماتستطيع فى سبيل رفعة امتها واستقرارها وتساهم مع شقيقاتها العربيات فى بناء مجد الوطن العربى من خلال اللقاءات والاجتماعات والمشاركة فى المحافل الدولية والمنظمات المختلفة .

ولقد لخص سمو الأمير هذه السياسة حين قال : « ان اوجب واجباتنا هو ان نبذل جهدنا من أجل تدعيم اواصر تضامننا وتوحيد مواقفنا القومية فى المجال الدولى لمواجهة التحديات التى تتعرض لها الأمة العربية » .

في سياسة قطر الخارجية



كان لدولة قطر مساهمة واسعة ومؤثرة في كل اجتماعات مجلس التعاون الخليجي

ودولة قطر تؤمن بان التضامن العربي هو امضى الأسلحة التى يمكن للعــــرب استخدامها وتوظيفها لخدمة قضـــاياهم المصيرية وعلى راس تلك القضايا قضية فلسطين التى تعتبرها دولة قطر القضـية الاساسية التى يجب على كل العرب أن يبذلوا فى سبيلها كل ما يستطيعون من تضحيات انقاذاً لارض مغتصبة وشعب طرد من أرضه وحرم ابسط وسائل العيش .

وترى ان يقف العرب بكل امكانياتهم خلف منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني سعيا وراء عودة هذا الشعب لوطنه واقامة دولتـــه المستقلة على ترابه الوطني .

ثالثا : المحيط الاسلامي : ان دولة قطر جزء من عالم اسلامي مترامى الاطراف وهى تعمل جاهدة على تنمية علاقاتها الطيبة بكافة الدول الاسلامية وتبذل فى سبيل ذلك النفس والنفيس ايمانا منها بقدسية هذا الدين الذى بعث الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ومبشراً ونذيراً ، وكما لا يخفى فان العالم الاسلامى اليوم يشكل قوة سياسية عظيمة لها تاثيرها الواضح والملموس فى مجريات احداث العالم ، ودولة قطر تساهم مع بقية دول العـــالم الاسلامى من خلال منظمة المؤتمر الاسلامى التى هى عضو فعال فيها فى سبيل تجنيب العالم ويلات الحروب ومشاكلها وتسعى سعيا حثيثا لاشاعة الأمن والسلام ، كمـا يحث على ذلك الدين الاسلامى العظيم .

رابعا : المحيط الدولي : ان دولة قطـر عضو فى المنظمـــة الدولية الا وهى الامم المتحدة والتى ترى فيها دولة قطر المجال الحيوى الذى من خلاله تستطيع كافة الدول طرح جميع قضاياها ومشاكلها على ان يتم التوصل لحلول سلمية لها ترضي كافة الاطراف وتجنب العالم الدمار وتبعد عنه شبح الحرب .

ولقد ساهمت دولة قطر ومازالت تساهم فى انجاح هذا الدور العظيم للامم المتحـدة وتعمل جاهدة مع جميع الدول المحبـــة للسلام على ان تكون قرارات هذه المنظمة هى النافذة التى يشرق منها العدل على الأرض أملة ان تحترم كل الدول هـــذه القرارات وتعمل على تطبيقها لانها السبيل الوحيد لسلام العالم .

وهناك مجال آخر تساهم فيه دولة قطر وتعمل من خلاله وهو حركة عدم الانحياز حيث انها احدى الدول المنضمة لهــذه المجموعة قناعة منها بان عدم الانحياز لأى من المعسكرين أو أى تكتل دولى آخر هو السبيل الامثل لحرية الحركة واتخاذ القرار المناسب .

ولا يسعني فى نهاية هذه العجالة الا ان اتمنى ان نستطيع فى هذه الدولة الفتية ان نقدم كل الممكن فى سبيل تحقيق ذاتنا من خلال كل المجالات التى تحدثت عنهـا وان نحقق ما تصبوا اليه من امال كبيرة فى الامن والاستقرار والتقدم لنا ولكافة دول وشعوب العالم .

احمد بن سيف آل ثاني

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

العمل الاجتماعي





في عالمنا المعاصر يكتشف الانسان كل يوم ان انماط حياته تتحداها خبرات جديدة ، فايقاع الحياة يتغير بسرعة وخاصة فى المجالات الاقتصادية والفكرية ، وهذا يعنى بالضرورة اهمية توفر اكبر قدر من التوافق الاجتماعى بين الفرد والمجتمع حتى تكون هناك ضمانات لسلامة وتطور البنية الاجتماعية وتحقيق ما يلزمها من طموحات وقيم وقوانين مميزة ونظرة متطورة إلى الحياة تتمشى مع الواقع المليء بالتحديات العديدة التى تقابلنا اثناء رحلتنا إلى التحديث المرتبط بجذورنا الضاربة فى الاعماق ..

ومن هذا المنطلق وجدنا اهتمام دولة قطر ببناء الانسان ورعايته اجتماعياً ، لادراكها بان قيمة الفرد وعمله وتاهيله التاهيل الصحيح هو الذى يبنى قوة الوطن وهيبته ومكانته ..

وقد راينا طوال سنوات الاستقلال المجيدة ،كيف حققت دولتنا التنمية الشاملة، على نحو يؤمن لها افضل صور الحياة العصرية المتطورة المتمسكة بمبادىء ديننا الحنيف وتراثنا العريق ..

ولان العمل الاجتماعى يسير فى تلازم مستمر مع التنمية الاقتصادية فى البلاد ، فقد اصبحت مشروعات الرعاية الاجتماعية تحظى بالعناية والاهتمام الذى يوفر افضل السبل واحدثها حتى لا يصبح العمل الاجتماعى محصوراً فى اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، وحتى يرتكز هذا العمل فى انطلاقته على توفير الامكانات والوسائل التى تؤدى إلى انطلاقة الطاقة البشرية والقدرات المادية إلى اقصى قدر ممكن ، وفى ظل رؤية واضحة للاهداف التى تحقق المستقبل المنشود ..

فى ظل القيادة الواعية

ومن هذا المنطلق البناء اخذت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على عاتقها ضرورة توفير شتى الخدمات للمجتمع القطرى والارتفاع بمستوياته على ضوء السياسة العامة للدولة واهدافها ، ووضعت سياستها التنفيذية على اسس خاضعة للتخطيط العلمى والمتابعة الدقيقة والتقييم المتواصل لكل ما تنجزه من اعمال ـ خاصة ـ فى نطاق مسئوليتها المباشرة فى مجالات العمل والاستخدام والرعاية الاجتماعية والتعاونيات .

واستطاعت فى هذه المجالات وغيرها ان تحقق انجازات بالغة الاهمية ، فى ظل القيادة الحكيمة الواعية والرعاية الكريمة لسمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني وولى عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني .

ففى مجال العمل والاستخدام ، سعت الوزارة إلى تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين فى القطاعات المختلفة وتمكينهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تكفل لهم العدالة الاجتماعية وتعمل على تحسين مستويات المعيشة لهم وتحافظ على حقوقهم ، وفتحت مجالات عمل جديدة امام المواطنين ..

وفى هذا المجال عملت الوزارة على تطوير وتنمية قسم التفتيش والعلاقات الصناعية حتى يحقق مسئولياته بنجاح ، ويوطد العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال ، ويراقب سلامة تطبيق احكام قانون العمل وتدابير اجراءات السلامة حفاظا على صحة العمال وحمايتهم من اخطار المهنة وأمراضها واصابات العمل ..

وعملت ـ كذلك ـ على تطوير قسم الاستخدام، فاصبح يتعاون مع الاقسام المختلفة فى الوزارة ومع أجهزة الوزارات الاخرى والجهات المعنية فى وزارة الداخلية ، من اجل توفير الفرص للمتعطلين او الراغبين فى الحصول على فرص عمل أفضل ، وتلبية احتياجات الشركات والمؤسسات من القوى العاملة اللازمة لها ، وتنظيم احضار العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل ، وتنظيم السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات العمل والعمال ..



المساكن الشعبية التى توفر بالمجان للمواطنين

في ظل التنمية الشاملة



داخل احدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

وكل ذلك - فى نفس الوقت - الذى انتهت فيه الوزارة من اعداد مشروع بقانون العمل الجديد الذى ينبثق من واقع تطورات التنمية التى حدثت فى البلاد ، والذى سيحل مكان قانون العمل رقم (٣) لعام ١٩٦٣ وتعديلاته ..

الرعاية الاجتماعية

اما فى مجال الشئون الاجتماعية ، فقد عملت الوزارة على تنظيم قسم الضمان الاجتماعى من اجل تحقيق الاصلاح الاجتماعى الشامل ورعاية النشء وحمايته وسعت الى تدعيم جهازه الوظيفى الذى يقوم بالاشراف على الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة لرعاية الفئات ذات الاوضاع الخاصة كالمعوقين والعاجزين عن العمل والأيتام والأرامل والمطلقات .. وقد بلغت قيمة المساعدات فى هذا المجال خلال عام ١٩٨١ اكثر من ٦٣ مليون ريال قطـرى ، دفعت الى ٦٢٢٠ حالة .. كما تم افتتاح مكاتب فرعية لقسم الضمان الاجتماعى فى المناطق البعيدة مثل الخور والشمال ، وذلك لتقديم الخدمات للمواطنين على اكمل وجه فى أماكن اقامتهم الدائمة ..

وتتدعم هذه الرعاية بعدة مشروعات اخرى مثل انشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، وانشاء مراكز للتاهيل الاجتماعى فى مدن الدوحة والخور والشمال من اجل تاهيل الفتاة القطرية التى لم تنل حظها من التعليم ، حتى تساهم فى تطوير مجتمعها وتعتمد على نفسها من خلال تعلمها للمهن والحرف اليدوية التى تناسبها والتى تتدرب عليها خلال سنتين وتمنح اثناء تدريبها مكافاة شهرية قيمتها ٤٥٠ ريالا قطريا ..

الحركة التعاونية والمساكن الشعبية

ومن واقع سياسة الدولة وتوجيهاتها بضرورة تنمية الحركة التعاونية وتشجيعها وتقديم كافة العون لها ، اعطت الوزارة كل عنايتها فى سبيل تامين كل مقومات النجاح للجمعيات التعاونية ، التى لمس الجميع نتائجها الطيبة فى الجمعيات التعاونية العاملة بمدينة خليفة والمنتزه والشحانية وغيرها ، والوزارة الآن فى سبيلها لانشاء مخازن مركزية لخدمات كافة الجمعيات التعاونية حتى تسهل من عملها فى خدمة المواطنين ..

كما ان الوزارة قامت فى السنوات الأخيرة بتدعيم جهازها الوظيفى فى مجال الاسكان الشعبى ، وتعاونت مع وزارة الأشغال العامة فى توفير المساكن المجانية للعجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود ، بحيث تتناسب مع عدد افراد أسرة المنتفع وعاداتها الاجتماعية ، وقد بلغ عدد المساكن التى وزعتها الوزارة لذوى الدخل المحدود ٤٧٥٤ مسكنا حتى نهاية عام ١٩٨١ ، وهذا بخلاف ١٧٠٢ مسكنا مجانيا تم توزيعها على المواطنين العجزة ، اضافة الى ما تقوم به الدولة من خلال وزارة العمل لبناء مجمعات سكنية خارج الدوحة تشبه المدن الصغيرة الحديثة وذلك لسكنى أهالى القرى القديمة ..

مسئولية الرسالة

وإذا كانت وزارة العمل والشئون الاجتماعية تبذل كل جهودها من اجل الوصول الى الاهداف المرسومة فى مجالات العمل ورعاية وتطبيق القوانين والتاهيل الاجتماعى وتوفير المسكن والجمعيات التعاونية ، فانها تحرص على اهدافها الأخرى ذات الاهمية الخاصة مثل دراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية ، وايقاظ الوعى والتوجيه والارشاد ، وخلق القيادات المحلية ، والنهوض بالصناعات الريفية ، والعمل على ادخال الصناعات الجديدة ، وغير ذلك من المسئوليات التى تباشرها نحو الأفراد والهيئات ..

وهذا الجهد ، مضافا اليه المشاركة فى النشاطات والحلقات الدراسية والمؤتمرات والمنظمات العربية والدولية التى تعقد فى اى مجال من مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، ما هو إلا ترجمة صادقة للرسالة السامية التى تقع على عاتقنا ، والتى تتطلب الحركة الدائمة المتجددة ، والجهاد والطموح المتواصل الذى يؤدى الى تطوير البرامج وتحسين الانشطة وتوسيع الآفاق وخدمة الوطن وابنائه .

علي بن أحمد الانصاري

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

تنمية الثروة من أجل



البترول الذى يحظى بأهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم

بعد تأمين السيطرة الوطنية على الثروتين الطبيعيتين : النفط والغاز ، كان لابد أن تنطلق البلاد نحو دعم اقتصادها لاستكمال مقومات نهضتها الشاملة .

فمنذ أن أصدر سمو أمير البلاد المفدى قراره التاريخى الذى يقضى بالسيطرة الوطنية الكاملة على ثروات البلاد الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز الطبيعى ، حظى قطاع البترول بأهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم الذى يعتمد على أنجع الوسائل من المصادر البشرية والموارد الطبيعية التى نملكها .

وقد استهدفت السياسة النفطية فى دولة قطر فى السنوات الأخيرة الحفاظ على معدل الانتاج الخام ، وانشاء الشركات الوطنية ومشروعات المنتجات البترولية التى تعمل على رفع مستوى معيشة المواطنين والانطلاق السريع بمناهج التنمية الشاملة لتواكب ركب التقدم العالمى فى مجال التصنيع .

وتقوم سياسة دولة قطر النفطية داخل منظمة الأقطار المصدرة للبترول (أوبيك) ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (اوابيك) بدور بارز فى تعزيز التعاون الايجابى وذلك لمصلحة شعوب الدول المصدرة وشعوب الدول النامية ومن اجل استقرار الاقتصاد العالمى .

وانطلاقا من الجهود المبذولة لتنمية الثروة الطبيعية وتوظيفها على احسن وجه فى مجالات التنمية الشاملة ،

كانت ميزانية دولة قطر هذا العام تمثل تعبيرا حقيقيا عن التطور والنمو فى اقتصاد البلاد وارتفاع مستوى المعيشة والدخل واتساع نطاق الوظائف العامة والعاملة المنتجة وتنفيذ العديد من المشروعات الصناعية والعمرانية ومشروعات المرافق العامة والخدمات الاجتماعية .

وقد بذلت الجهود من اجل أن تأتى تقديرات هذا العام متفقة مع البرامج والاستراتيجيات المعلنة من قبل ، وأن تكون خطة طموحة واقعية فى نفس الوقت بحيث يمكن تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب فى الوقت المحدد خلال فترة الميزانية .

وقد ركزت موازنة الدولة فى هذا العام على ضرورة استكمال المشروعات التى

التطور والنمو في اقتصاد البلاد

سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني وزير المالية والبترول

بدىء فى تنفيذها وتلك التى قاربت على الانتهاء حتى تحقق فائدتها وتعود على المجتمع بالخير والرفاهية ، كما اعطت اهمية خاصة للبدء فى تنفيذ العديد من المشروعات الجديدة التى تكفل الزيادة فى الانتاج الزراعى والصناعى ورفع مستوى الخدمات فى مجالات التعليم والاسكان والنقل والمواصلات والطاقة والخدمات الهيكلية الأخرى ، وذلك بالاضافة إلى رفع كفاءة التشغيل وتحقيق التوظيف الاقتصادى المناسب للموارد الذاتية فى البلاد .

ومن خلال بيان سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني وزير المالية والبترول ، استطاعت الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة أن تعكس خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات ، حيث بلغت بصفة خاصة أهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧٫٧٨٠ مليون ريال قطرى ، يضاف إليها ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والاجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال ، وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٨٫٣٦٣ مليون ريال قطرى مما يدل على الرغبة الاكيدة ، المتطلعة دائما الى توجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو افضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..

وتغطى هذه الميزانية كافة انشطة وقطاعات الدولة الاقتصادية والاجتماعية فى مجالات الصناعة والزراعة ، والاسكان والمبانى العامة ، ومشروعات الخدمات الاجتماعية ، والتعليم والصحة العامة ، والكهرباء والماء والمجارى ، والنقل والمواصلات والطرق ، وكافة النشاطات الأخرى ، مع التوفيق وايجاد نوع من التوازن بين متطلبات الحاضر ومستقبل الاجيال القادمة ، بحيث تتنوع المشروعات المنفذة بين ما هو خاص بتنفيذ الدورة الاقتصادية وتلبية الاحتياجات العاجلة للنهوض بالمجتمع القطرى وتلك الخاصة باستكمال البنية الأساسية وتنويع مصادر الدخل القومى التى تعتبر ذات اولوية قصوى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

مسيرة الإعلام القطري

اصبح للاعلام فى عصرنا الحديث اثره الكبير فى تكوين الراي العام حول حدث هام او موقف من المواقف السياسية والاجتماعية ، وذلك بالاضافة إلى دوره الهام فى التوعية وبناء المجتمع ..

ويرى خبراء الاعلام أن الأمة فى الماضى كانت تجتمع بكامل هيئتها فى الساحات او الميادين العامة لتطلع على اهم الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ، كما كان الشان فى روما واثينا او مكة والمدينة ، اما الجماهير فى يومنا هذا فقد اصبحت قادرة على ان تجتمع كل يوم مع اعمدة الصحف واجهزة الراديو والتليفزيون واصبحت تشاهد السينما والمسرح وتقرأ الكتب والمطبوعات التى تستطيع عن طريقها ان تكون رأيها وثقافتها الانسانية .

وهكذا نرى اهمية الاعلام ودوره فى إبراز التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها ، واتجاهاتها فى نفس الوقت .

ومن هذا المفهوم العلمي لمعنى الاعلام فى عصرنا الحديث ، انطلق الاعلام القطري طوال السنوات الماضية يتابع رسالته الوطنية ، ويقوم بدوره البناء من خلال قنوات واعية ، مستهدفاً ابراز المنجزات التى تحققت فى سنوات الاستقلال ، شارحا لأهداف الخطة الطموحة التى تقيم على هذه الأرض حضارة انسانية عظيمة ، تستمد مقوماتها من القيم والمبادىء الاسلامية ، وتدعم مسيرتها بكل ما نملك من قيم وتراث ..

وإذا كان الاعلام القطرى قد تابع بصورة مشرفة خطوات المسيرة التاريخية فى البلاد ، فقد اتجه في نفس الوقت بكل ما يملك من قوة إلى الالتحام مع كافة القضايا المصيرية فى الوطن العربي والعالم الاسلامي ، وناصر كل القضايا العادلة فى العالم ، وحدد خطواته فى عدة اهداف نبيلة :

● تعميق الاحساس بالروابط المشتركة بين شعوب دول مجلس التعاون الخليجي ووحدة مصيرها ، واتجاه الجهد الاعلامي فى دولة قطر نحو تاكيد ترابط وتكامل وسائل الاعلام الخليجي عن طريق التعاون والتنسيق وتبادل الخبرات المشتركة وابراز الأنشطة السياسية والثقافية والاقتصادية

● تدعيم القضايا العربية والاسلامية ومناصرتها فى كل المحافل الاقليمية والعربية والدولية ، وفى مقدمة هذه القضايا قضية فلسطين التى تابع الاعلام القطرى تطوراتها بكل دقة ووضع كافة امكانياته من اجل بلورة سياسة إعلامية عربية موحدة تتصدى لادعاءات الاعلام الصهيوني بصورة حضارية شاملة ، وهذا بالاضافة إلى سعيه المستمر لتحقيق التنسيق الاعلامي بين كل الدول العربية بعقد الاتفاقيات الرامية الى توحيد الجهود الاعلامية وتوطيد الصلة الفكرية بين كل ابناء الوطن العربي الكبير ..

● القيام بدور بناء فى شرح كافة القضايا العادلة فى العالم وفى مقدمتها قضايا التحرر فى أفريقيا ..

● الحضور الايجابي البناء فى كافة الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات والندوات الاعلامية



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

والواقع ان دعم الدولة ورعايتها المستمرة لمسيرة الاعلام القطري ، كان له الاثر البالغ فى تطوير أجهزته ومؤسساته واداء رسالته الاعلامية بصورة مشرفة ..

فالاذاعة مثلا ، تميزت برامجها بكثافة المواد الاعلامية والأخبار والبرامج الثقافية ، ووصل ارسالهـا فى عام ١٩٨١ إلى اربعين ساعة يوميا باللغات العربية والانجليزية والاوردية ، وغطت دول الوطن العربي واسيا واوربا ، وقد بلغ عدد الاستوديوهات فى إذاعة قطر ١٤ استوديو كاملة التجهيز ، علاوة على استوديو اوتوماتيكي لبث الموسيقى الغربية ، ويحتوى المبنى الجديد للاذاعة على ثمانية استوديوهات مجهزة باحدث المعدات والنظم الفنية ، كما يتم على مستوى البرامج التنسيق مع الاذاعات العربية فى نطاق التبادل الاذاعي للبرامج والمواد الاعلامية ، كما أن للاذاعة مراسلين فى معظم عواصم العالم ..

وما نراه من تطور فى الاذاعة ، نراه ايضا فى التليفزيون الذى اصبح مزودا باحدث الاجهزة

ويوجد بالتليفزيون القطري حاليا خمس استوديوهات مجهزة باحدث المعدات ، ولعل أضخم هذه الاستوديوهات استوديو الانتاج الكبير البالغ مساحته ٦٠٠ مترمربع والمخصص للانتاج البرامجي المحلي والتجاري .. ويبلغ معدل ساعات البث الاخباري والبرامجي فى التليفزيون القطري على القناتين (١١،٩) حاليا ١١ ساعة يومياً ، اي ٧٥ ساعة اسبوعيا ، تمثل فيها البرامج المحلية نسبة ٤٥ فى المائة .. اما ساعات البث التليفزيوني على البرنامج الثاني للقناة (٣٧) فتبلغ ٥

في ظل الاستقلال





لقطتان .. الاولى للمسرح القطرى الحديث الذى زود باحدث الاجهزة والمعدات .. واللقطة الثانية لاحد الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة

ساعات يوميا ، وبذلك يصبح البث الاجمالي للتليفزيون ١٦ ساعة يوميا ، و١١٢ ساعة أسبوعيا تتميز بالتنوع والشمول ..

ويدعم جهازي الاذاعة والتليفزيون مركز التدريب الاذاعي ، الذى يعمل على تكوين جيل من الفنيين على مستوى دولة قطر والدول الخليجية بشكل عام ، للعمل بنشاط فى مجال الاذاعة والتليفزيون والمساهمة فى نهضة البلاد وتطورها عبر موجات الارسال الصوتية ..

وإذا كانت ادارة المطبوعات والنشر – باعتبارها أحد الروافد الهامة لوزارة الاعلام القطرية – تقوم بدور كبير على المستوى الداخلي والخارجي للتعريف بانشطة الدولة وانجازاتها عن طريق الدراسات والبحوث واصدار الكتب والنشرات وتوفير الصور والمعلومات التى تخدم رسالتها ، فان الصحافة القطرية تؤدى رسالتها فى مختلف تخصصاتها مما يعكس الواقع الحضارى الذى تعيشه البلاد ..

وقد تم انشاء وكالة الانباء القطرية فى مايو عام ١٩٧٥ لتقوم بمهمة الحصول على الأنباء الصادقة من مختلف المصادر الخارجية والداخلية وتحليلها واعداد التعليقات والدراسات ، وقد أصبح لهذه الوكالة مراسلون فى معظم الدول العربية وبعض العواصم الاوربية والآسيوية الهامة .. وتعتبر وكالة الأنباء القطرية الآن أول وكالة انباء عربية وخامس وكالة على المستوى العالمى تبث اخبارها العربية والانجليزية عن طريق الأقمار الصناعية ..

وإلى جوار كل ذلك نجد ان ادارة الثقافة والفنون تضطلع بمهمة الحفاظ على تراث قطر الشعبى ورعاية الحركة الفكرية والأدبية والفنية والمسرحية فى البلاد ، مع الاهتمام بالفنون التشكيلية .. وفى السنوات الأخيرة شهدنا ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، والاشتراك فى الاسبوع الثقافى الخليجى الذى اقيم فى باريس ، واحياء المشغولات اليدوية الشعبية ، واقامة مسرح جديد يسع ٥٥٠ شخصا بنى على احدث التصاميم وزود باحدث الأجهزة والمعدات ، واقامة المعارض العديدة للفنانين التشكيليين القطريين ، ورعاية المواهب الشابة عن طريق المرسم الحر ..

كما أن ادارة السياحة والآثار تقوم بدورها فى مجال تنشيط هذا القطاع الهام ورفع مستواه ، مستعينة فى ذلك بخبراء من الاتحاد العربى للسياحة لاقامة عدة مشروعات تتناسب مع طبيعة البلاد .. كما أن قسم الآثار التابع للادارة يعمل جاهداً لاجراء المزيد من عمليات الكشف والتنقيب والحفاظ على الآثار بالتعاون مع بعض البعثات الاجنبية .. وقد انشىء متحف قطر الوطنى ليكون سجلا حافظا للتراث القطرى

وفى مجال رعاية الفنون انشأت دولة قطر معهد الموسيقى التابع لوزارة الاعلام لتبنى البراعم الواعدة فى مجال العزف على الآلات الموسيقية والتلحين.

ومن كل ذلك وغيره ندرك مدى الدور الكبير الذى حققه الاعلام القطرى أثناء المسيرة التاريخية التى يقود خطواتها المباركة سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

عندما تتكلم الأرقام

● اتجهت سياسة الدولة النفطية إلى تبنى اسلوب متوازن بين مستوى الانتاج وترشيد الاستهلاك ، والحفاظ على معدل سنوى للانتاج بلغ حوالى ١٧٣ مليون برميل من الزيت الخام سنويا من الحقول البرية والبحرية ، وذلك بمعدل انتاج يومى مقداره حوالى نصف مليون برميل حسب احصاءات عام ١٩٨٠ .

● وصل انتاج مجمع الحديد والصلب فى منطقة أم سعيد خلال عام ١٩٨٠ إلى ٤٥٠ الف طن من القضبان الحديدية بالمقارنة إلى ١٣٣ الف طن فى بداية انتاجه ، ويعتبر هذا المجمع اول مصنع متكامل فى النواحى التكنولوجية فى منطقة الشرق الأوسط والخليج العربى .

● أقرت الخطة الصناعية انشاء مصفاة ثالثة لتكرير البترول بطاقة انتاجية تبلغ ٥٠ الف برميل يوميا ، مع العلم أن المصفاة الأولى طاقتها الانتاجية ٦ الاف برميل يوميا ، والمصفاة الثانية تعمل بطاقة انتاجية تصل إلى عشرة الاف برميل يوميا .

● أصبحت طاقة انتاج مصنع الأسمنت فى عام ١٩٧٩ حوالى ٣٣٠ الف طن سنويا

● حققت صناعة الأسمدة الكيماوية أرقاما قياسية فى الانتاج ، حيث وصل الانتاج عام ١٩٨٠ إلى ٥٨ الف طن من الأمونيا يوميا و ٦٢٨ الف طن من اليوريا يوميا .

● يعتبر مصنع البتروكيماويات هو اكبر مجمع من نوعه فى الوطن العربى ، وتبلغ طاقته الانتاجية السنوية ٤٥٠ الف طن من الاثيلين و ٣٠٠ الف طن من البولى ايثلين المنخفض الكثافة و ٤٦ الف طن من مادة الكبريت .

● من أحدث المشروعات الصناعية فى دولة قطر مصنع سوائل الغاز الطبيعى الذى تبلغ الطاقة التصميمية اليومية لوحدتيه ٢٣٧٠ طن بروبان و ١٧٥٠ طن بيوتان و ١٧٥٠ طن جازولين طبيعى و ٢٤٩٥ طن من الغاز الغنى بالايثان .

● ارتفع عدد المزارع الأهلية من ٤١١ مزرعة فى عام ١٩٧١ إلى حوالى ٧٠٠ مزرعة فى العام الحالى ، وزادت مساحة أراضى المزارع المحصولية فأصبحت ٣٢ الف دونم فى عام ١٩٨١ .

● ارتفع حجم انتاج الخضروات فى قطر خلال العام الماضى إلى ١٨ الف طن ، ووصل انتاج اللحوم والدواجن الى اكثر من ٣٠٠٠ طن ، ووصل انتاج البيض إلى ٦ ملايين بيضة ووصل انتاج الأسماك إلى ١٨٠٠ طن تغطى حوالى ٩٠ فى المائة من الاستهلاك السنوى .

● وصل عدد طلاب جامعة قطر خلال العام الدراسى (١٩٨١ ـ ١٩٨٢) إلى ٣٤٠٠ طالب وطالبة ، ومن المتوقع ان يرتفع الرقم فى العام المقبل إلى ٤ الاف طالب وطالبة .

● اهتمت الدولة بتامين الطاقة الكهربائية اللازمة لاحتياجات المواطنين والصناعات المختلفة ، فارتفعت إلى ٢٧٥٦ ميجاواط / ساعة ، وانشات وحدات تقطير مياه جديدة ليصبح إجمالى انتاج المياه يوميا ١٢٫٥٠ مليون جالون .

● تم استكمال أول سنترال هاتفى الكترونى يضم ٣٠ الف خط ، وتجرى الاختبارات على البدالة الالكترونية الثانية لمنطقة الدوحة المركزية بسعة ٣٤ الف خط .

● من اجل تسهيل الاتصالات الفضائية هناك مشروع لانشاء المحطة الارضية الثانية للاتصالات الفضائية ، وقد بدأ العمل فيها ، وستعمل مع مجموعة الاقمار الصناعية التابعة للمؤسسة العالمية للاتصالات الفضائية شرق منطقة المحيط الاطلنطى .

● انتشرت المكاتب البريدية فى كل انحاء البلاد حتى اصبح عددها ٢٠ مكتب اضافة إلى مكتب مطار الدوحة الدولى ، وتعزز هذه المكاتب شبكة من صناديق البريد بلغ عددها ١٢ الف صندوق .

● يتبنى مستشفى حمد العام خطة مستقبلية لايجاد جهاز طبى شامل يمكن العاملين فيه من توفير العناية للمريض فى مكان الحادث ، ويضم هذا المستشفى الطبى المتقدم وحدات علاجية متخصصة للرعاية الطبية والجراحية الدقيقة لأمراض القلب وطب العيون والعظام وامراض الأطفال ، واهم اقسامه العلاجية : قسم الأمراض الباطنية ، وقسم الجراحة ، وقسم الأطفال ، وقسم الأشعة ، وقسم العيادات الخارجية ، وقسم الطوارىء والحوادث .

فى الأعداد القادمة

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

"الفقراء"

يقول الله تعالى فى سورة فاطر : « يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .. فيصف الله نفسه بانه الغنى : فى وجوده .. وفى بقائه عن كل موجود عداه .. وانه الذى يحمد ويثنى عليه ، لان جميع ما سواه مرتبط فى وجوده وفى بقائه ، به سبحانه وتعالى ، واذا كان الله له الكمال المطلق فى كل ما يتصف به فوصفه بالغنى الآن يقصد به : الغنى المطلق ، أو الغنى الكامل .

فاذا اخبرت هذه الآية ، فى جملتها الأولى : بان الناس هم أصحاب الحاجة إلى الله : فى وجودهم وفى بقائهم وفى أرزاقهم . وحاجتهم إلى الله حاجة ماسة وضرورية . لأن ذلك هو المقابل لغنى الله المطلق .

وعلى هذا النحو قوله تعالى : « ومن يبخل (اى بالانفاق على غيره ابتغاء وجه الله) فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى ، وانتم الفقراء » .. ففقر الناس فى الأرزاق هو حاجتهم الشديدة فيها الى الله . وغنى الله عن كل ما سواه : هو بعده المطلق عن الحاجة .

والفقراء اذن هم أصحاب الحاجة الشديدة والماسة الى غيرهم : فى وجودهم وفى ارزاقهم ، والى الله ، والى من سواه من أصحاب الثراء ، ان كان فقرهم فقر مال .

والفقر هو الحاجة الشديدة او الماسة التى تلحق بالانسان . والانسان اذا سائل ، وقوله تعالى : « واما السائل فلا تنهر » .. يريد بالسائل : الفقير أو صاحب الحاجة الشديدة . وما يطلبه القران هنا ليس هو اعطاء السائل .. وانما عدم نهره ورده بغلظة : « فلا تنهر » .. وقد لا يسال الفقير متعففا . ولكن يعرف فقره ، وتعرف حاجته الشديدة : فى وجهه .. وفى ملبسه . وقد وصف القران هذا النوع من الفقراء فى قول الله تعالى : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله (اى الذين ضاق وقتهم بسبب الدعوة الى دين الله) لا يستطيعون ضربا فى الأرض (اى ومن اجل انشغالهم بالدعوة لا يتمكنون من السعى فى الارض تجارة .. او زراعة .. من اجل الرزق) يحسبهم الجاهل : اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم (بتحول ابدانهم وشحوب وجوههم .. واهمال ملابسهم) لا يسالون الناس : إلحافا (أى لا يلاحقونهم بالسؤال اينما ساروا .. واينما كانوا) ... »

وجاء مفهوم الفقر فى القران بهذا المعنى فى قول الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر (اى يخيل للذين ينفقون من أموالهم فى سبيل الله : انهم سيصبحون بسبب إنفاقهم : من ذوى الحاجة الشديدة ، ولا يمكن لاحد التاثر بخداع الشيطان الا اذا خيل للمنافقين : انهم سيفقدون جميع ما يملكون – وليس بعضه – وان ايديهم ستلصق بالتراب ، ان هم انفقوا) ويأمركم بالفحشاء (وفى الوقت نفسه : يوجههم الى إنفاق أموالهم فى صنوف السوء والفحشاء) ، والله يعدكم مغفرة منه ، وفضلا (اى بينما الله يعدكم امرين ، على النقيض مما وعدكم به الشيطان : يعدكم بالعفو عن ذنوبكم الماضية وبالاخص عن البخل .. كما يعدكم بنمو أموالكم وزيادتها ، ان انفقتم فى سبيل الله) والله واسع عليم (واسع فى القدرة والفضل .. وعليم بمستقبل اموركم ، ومستقبل الوجود كله) ... »

وهكذا : الفقير من لا ملك له .. ولا كسب له : لعجز .. او لشيخوخة. والفقير يعطى من الصدقات – وهى الزكاة – ما يسد حاجته ، تطبيقا لمبدا التكافل .. وتخفيفا عن حقده على من يملكون المال .. او الصحة والقدرة على العمل .

وهكذا بالزكاة يدعو الاسلام الى الترابط على أساس انسانى .. وليس على أساس المبادلات فى المنافع ، والمتع المادية ، والمصالح الشخصية .



بقلم الدكتور: الطاهر أحمد مكي

مع نهضة العالم العربى الحديثة إنهارت الأسوار العالية التى تحجبه عما حوله من العالم ، فعرف ما عند الآخرين واهتضمه ، وتمثله ، وطوعه فى ضوء تراثه ، ليجىء نتاجا عربيا ، وإن حمل طابع الحداثة واريجها ، وفى رحلته الى هذا الجديد عرف الكثيرين من علماء الغرب وادبائه ونقاده ، وكانوا فى جلهم إما إنجليزا او فرنسيين ، بحكم ان انجلترا وفرنسا كانتا من اقوى دول الغرب ، واوثقها صلة بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ، والعالم الاسلامى بعامة . واصبح مالوفا فى جامعاتنا ان تتردد بين قاعات الدرس فى الكليات الانسانية ، وفى صفحات الكتب اسماء : سنت بيف ، وبرونتيير ، وديتان ، وتين ، وهازلت ، وكولردج ، وماثيو ارنولد ، وآخرون كثيرون من كبار النقاد والأدباء والفنانين ، الى جانب اسماء المانية قليلة ، كان حظها من الفلسفة والتنظير والاصالة كبيراً ، مثل : هيجل ، ونيتشه ، وشوبنهاور وغيرهم .

وقد توقفت معرفتنا بالحضارة الاوربية عند هذه الدول ، والقليل الذى عرفناه عن اداب بقيتها ، جاءنا عنها ايضاً مترجماً الى لغاتها ، رغم ان بعضها ضارب فى العراقة ، وله اسهام مجيد فى تطور الانسانية ، والارتقاء بالأدب والفن ، وبعضها الآخر متواضع الحظ فى عالمنا المعاصر ، ولكن وراءه تاريخا ثريا ، وماضيا رائعا . فنحن لا نعرف ـ مثلا ـ شيئا عن الادب اليونانى المعاصر ، لأن اضافة اليونان الحديثة محدودة وشاحبة وموقفنا من الادب الايطالى ليس بافضل كثيراً ، مع ان للايطاليين جهداً لاباس به ، وبخاصة فى مجال النقد ، وفى فلسفة الجريمة والعقوبة ، وانها اقرب الينا جغرافيا من اى بلد اوربى آخر .

ومرد ذلك فيما ارى ان ايطاليا كانت موزعة الى دويلات متناحرة فى مطلع القرن التاسع عشر ، فلما استكملت وحدتها بدا الصراع بين القوى الكبرى فى اوربا على استعمار بقية العالم غير الأوربى ، فحاصرتها إنجلترا وفرنسا ثقافة ونفوذاً ، وعزلا الشعوب التى تخضع لهما عن اى تاثير ثقافى اجنبى غير ثقافتهما ، كل واحدة فى البلد الذى تستعمره ، وحين بدات ايطاليا تستعمر ليبيا قبيل الحرب العالمية الاولى جاءت اليها بروح الاستعلاء الفاشي ، فلم تر فى اهلها خيرا ولم تقدر انها ستخرج منها يوما ، فدفعت بهم الى الصحراء لياكلهم الجفاف والجوع والفقر ، وحين اتت الحرب العالمية الثانية على اوهام الفاشية ، وخرجوا مدحورين من ليبيا لم يتركوا وراءهم اثرا ثقافيا واحد يبقى لهم ويذكر .

وهكذا حرمنا من معرفة الاسهام الايطالى المعاصر فى عالم الفن والابداع ، بسبب الايطاليين انفسهم ، وبسبب خصومهم ، ولو ان اديبهم الكبير البرتو مورافيا ، ولايزال يبدع ويثرى الادب بقصصه وروياته ورحلاته على مستوى عالمى ، اصبح معروفا للقارىء العربى المثقف . لكن .. كم من المثقفين عندنا يعرفون بنديتو كروتشه ، ولا تفتح كتابا فى النقد الادبى الحديث ، فى اية لغة غير عربية ، إلا وقعت عليه يعرض فكرته او يقول رايه ، او يناقش غيره ، وله اراء جليلة ومتميزة واصيلة فى النقد والفلسفة والفن ؟!

الزلزال

ولد بنديتو كروتشه فى قرية تقع فى وسط شمالى ايطاليا ، فى منطقة جبال الألب الشهيرة عام ١٨٦٦ ، ونشا منذ طفولته يحب القراءة ، والروايات بخاصة وحين بلغ التاسعة من عمره كان قد قرا امهات الآثار الادبية الايطالية ، وبتاثير من امه احب الفنون والآثار القديمة منذ صغره ، إذ تعودت امه ان تصحبه معها الى كنائس نابولى ، وان يقفا سويا امام روائع اللوحات الفنية .

وفى الثامنة عشرة من عمره فقد ابويه واخته الوحيدة فى زلزال ، وظل هو نفسه تحت الانقاض ساعات طويلة ، وتعرض فى مراهقته لكثير من الهزات النفسية ، وفكر فى الانتحار غير مرة ، ثم وجد فى الكتب العزاء والسلوى فهرب اليها ، ووهبها كل وقته ، وامضى فترة قصيرة من حياته فى روما ، وعاد بعدها الى نابولى وفيها امضى كل حياته ، وارتبط تاريخه بها ، وكتب بين جنباتها معظم قصصه ، وأرخ لها سياسة واحداثا ومسرحا وادبا ، ودخل ميدان السياسة ، وانتخب عضوا فى مجلس الشيوخ ، وعين وزيرا للمعارف وكان له فى السياسة مواقف قوية ، وترك آثارا واضحة فى فكر امته وثقافتها .

الثقافة الايطالية

إجمالا يمكن القول ان كروتشه رفع الثقافة الايطالية كلها إلى اعلى مستوى اوربى ، وادخل فيها بجهد ثقافي لا يكل ولا يمل كل خمائر الثقافة العالمية ، الاكثر حيوية وفعالية منها ، ولم يقف بجهده عند الالتقاط فحسب ، وإنما كان ينتقى ، ويخضع ما يختاره لدراسة نقدية واعية ، وتقييم فني دقيق ، وادى لوطنه رسالة عظمى لا فى مجال السمو بالثقافة فحسب ، وإنما فى مجال الحياة المدنية والاخلاقية ايضا .

انفق كروتشه اعوامه الأولى فى دراسات عميقة متنوعة ، فى نطاق المذهب الوضعى ، وادرك مبكرا احتضار هذه الفلسفة ، فانتقل من دراسة خصائصه الى دراسة المناهج التى تحكمه ، وادرك فى الحال عدم كفاية الفلسفة المعاصرة ، ومسلحا بكفاءة عالية فى الكتابة ، وقدرة متمكنة من الاسلوب الرفيع ، قاد منتصرا حركة عاصفة متمردة ضد العقائد البالية وكل اشكال الثقافة الوضعية ، وتحت راية هذا الفكر الجديد ارتد الى الماضى ، وارتبط مع اشد الاساليب الرومانسية عمقا ، واعمق التقاليد الثقافية الايطالية العظيمة .

دراسة غريبة وجريئة

بدا كروتشه انتاجه الفلسفى والنقدى عام ١٨٩٣ ، بدراسة موجزة ، تحمل عنوان : «رد التاريخ الى مفهوم عام للفن» وانتهى فيها الى ربط قضية التاريخ بقضية الفن ، وكان ذلك كشفا فجائيا ، واثارت دراسته عناية النقاد على غرابتها وجراتها . وفى العام التالى توسع فيها ، إثر مناقشة قامت بينه وبين عالم لغوى ، فكان كتابه عن «النقد الادبى» . وبعده انصرف الى دراسة فلسفة التاريخ ، وكتب فيها سلسلة من الابحاث على امتداد خمس سنوات كاملة ، بين عامى ١٨٩٥ و ١٩٠٠ ، ولما فرغ منها شعر ان اراءه فى فلسفة الفن اغتنت ، وانتظمت من تلقاء نفسها فى مذهب ، فحملها كتابه «فلسفة الفن» ، وانطوى على مذهب فلسفى كامل ، ومصدرا لمشاكل فلسفية جديدة ، قرر ان يمضى معها الى النهاية شارحا ، ومفصلا ، وضاربا الامثال ، وذلك عن طريق إصدار مجلة فلسفية تحمل فكره الى القراء من مواطنيه وفى العالم ، الى جانب سلسلة من المؤلفات النظرية والتاريخية ، تبسط جوانب هذه الفلسفة على نحو ادنى الى الكمال والبساطة والوضوح .

يقاوم الفاشية

وفى ٢٠ يناير من عام ١٩٠٣ م اصدر العدد الأول من مجلته «النقد» ، وسرعان ما فرضت نفسها على الفكر الأوربى أجمع وكان حظها من التاثير ابلغ من مؤلفات صاحبها نفسه ، واتخذ منها سلاحا يكافح به ضد النقد التاريخى الخالص والاتجاه الوضعى ، ويبشر عن طريقها بنظريته فى الجمال كما عبر عنها فى مؤلفاته ، وبلغت من النفوذ قدرا تجاوز الأدب الى السياسة والفلسفة ، الى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٤٦ م ، ولكن روحها واتجاهها واصل سيره عبر مجلة اخرى حملت اسم «كراسات فى النقد» .

والى جانب المجلة واصل نشاطه الثقافى مؤلفا ، فكتب مجموعة من الأبحاث الادبية والتاريخية القيمة ، تمثل مجتمعة دراسة منهجية عميقة لجوانب الحياة الفكرية فى ايطاليا ، فاصدر سلسلة «اعلام الفلسفة الحديثة» و «ادباء ايطاليا» و «مكتبة الحضارة الحديثة» ، بالاشتراك مع صديقه جنتيلى (١٨٧٥ - ١٩٤٤) ، الذى زامله فى تحرير مجلة النقد ايضا ، ولو ان السبل تفرقت بهما فيما بعد ، ومضيا كل فى طريق ، فقد آثر جنتيلى أن ينضم الى الفاشية ، وامسك كروتشه بنفسه عن السقوط .

وفى عام ١٩٢٢ استولى الفاشيون الايطاليون على مقاليد الحكم ، وجثموا على انفاس الشعب الايطالى حتى هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣ ، وخلال ايامهم تاكدت شهرة كروتشه الواسعة ، وطوقه مواطنوه والعالم كله بالاجلال والتقدير ، لانه قاوم طغيان الفاشية بقوة وإصرار وصلابة ، واتخذ منها على الدوام موقفا ناقدا ومعارضا ، واقام فى وطنه لم يبرحه ابدا ، رغم تعرضه لكل الوان الاذى ، ورغم كل الدعوات التى وجهت اليه من الخارج ، فظل المثل الهادى ، والفكرة الموحية ، لمثقفى إيطاليا وشبابها ، فى كل ساعات العسرة والضيق . وبعد ان تحررت ايطاليا من الفاشية والالمان شارك بايجابية ونشاط فى الحياة العامة ، وبقى دائما ، فى استقامته وتلاحمه وتماسكه ، استاذا قدوة ، ولم يتخل عن رسالته كاتبا ابدا ، رغم امتداد عمره ، ووهن قوته حتى اخر يوم من حياته وتوفى عام ١٩٥٢ .

كان ناقد إيطاليا الكبير صاحب اسلوب سهل ممتنع ، عذب وجميل ، لا فى الفلسفة وحدها ، وإنما فى التاريخ والنقد ايضا وتميز بالثقافة العريضة الواسعة ، وجمع فى حواره بين اللطف والرقة والصلابة ، على نحو لا يتاتى إلا لقلة نادرة ، وجدد المفاهيم المتصلة بالفن واللغة والنقد الأدبى وتدوين التاريخ ، واصبحت أبحاثه جوهرية لفهم الثقافة الإيطالية الجديدة ، وقواعدها الجمالية ، وناضل بقوة ضد نظريات المذهب الوضعى التى تحصر



الفن فى الواقع المحسوس فقط ، او تعرضه ثمرة الجنون والشذوذ ، او تجعل منه وسيلة لتلقين الحقائق ، او الدعوة لموضوعات ذات طابع اجتماعى .

الفكر والحقيقة

وانتهى كروتشه الى ان الفكر والحقيقة شىء واحد ، وان المعرفة ليست علاقة بين الفكر وموضوع مستقل عنه ، وإنما هى الفكر نفسه فى إدراكه لذاته . والفكر له صورتان ، او لونان من النشاط : نظرى يتجه الى المعرفة ، وتطبيقى غايته الارادة او هما بتعبير اخر العلم والعمل . ولا يعنى بالارادة هنا معناها الفلسفى من انها اساس الكون ، ومبدأ الاشياء والواقع ، ولا معناها المجازى حين يراد بها كل فعل يقوم به الفكر البشرى ، وإنما باعتبارها نشاطا للفكر يختلف عن التامل النظرى للاشياء ، وينتج اعمالا لا معارف ، ويكون العمل عملا حقا بقدر ما يكون اراديا ، وإلا فهو حركة مجردة ، وواقعة مادية ، وإرادة العمل تتضمن بداهة إرادة العصيان .

والمعرفة لها صورتان : حدس وليد المخيلة ، وبه تدرك الصور الجزئية الفردية وهذا هو الفن ، وفكر يجىء عن طريق الذهن ، وبه تدرك العلاقات الكلية ، وهذا هو المنطق ، فهى إما مبدعة صور ، او منتجة تصورات .

والتطبيق ، او العمل ، له صورتان : اقتصادية تهدف الى تحقيق طموحات فردية ، غايتها النفع ، واخلاقية تستهدف غايات كلية تتجه نحو الخير .

ومن ثم يتالف من العلم والعمل ، بصورتيهما ، مفهومات اربعة تستنفد الحقيقة : الجمال والحق والمنفعة والخير . ويطلق على هذه الجوانب الاربعة من الحقيقة ، او الفكر ، اسم اللحظات الاربع ، وهذه اللحظات ليست منفصلة فيما بينها ، وكل واحدة منها تمثل الحقيقة الواقعة كاملة ، ففى اللحظة الاولى تتمثل الحقيقة بكاملها جمالا ، وفى الثانية حقا ، وفى الثالثة منفعة ، وفى الرابعة خيرا .

والنشاط الفنى اول خطوات الفكر ، وهو الصورة المبكرة له ، وهو حدس خالص ، والحدس هو الادراك المباشر لحقيقة فردية جزئية خاليا من اى عنصر منطقى ، والمعرفة الفنية ، او الحدسية إن شئت ، تسبق المعرفة المنطقية ، وهذه تقوم على تلك ، ولكن الاولى لا تقوم على غيرها ، لانها فجر كل معرفة . وفى دراسته عن «الحدس المحض والطابع الغنائى للفن» ، ونشرها عام ١٩٠٨ ، استعاض عن مصطلح «الحدس المحض» ، بمصطلح جديد هو «الحدس الغنائى» ، وبذلك حل مشكلة العلاقة بين النشاط الاجتماعى ومحتواه .

واوضح كروتشه ان الفن تعبير عن شعور ، او هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التى يحسها الفنان وبين الصورة التى يعبر بها عن هذه العاطفة ، اى بين الحدس والتعبير ، ولذلك لا يمكن تصنيف الفنون والاجناس الادبية بصورة نهائية ، لان الحدس شىء فردى ، وجديد دائما ولا نهاية لعدده ، وليس للتصنيفات التى يضعها النقاد للفنون ، وفى داخل الفن نفسه ، قيمة ثابتة ، ومثلها القوانين التى يضعها النقاد الذين يلتزمون مذهبا بعينه تجريبيا او نفعيا ، عقليا او صناعيا ، اجتماعيا او نفسيا ، حقيا او اخلاقيا بوجه خاص ، ويرون قيمة الاثر فى التزامه القواعد ، او إحداثه اللذة ، او توليده الحقيقة ، وما الى ذلك . وهم يرون ــ مثلا ــ ان الاثر الفنى الذى يخرج على قواعد الاخلاق قبيح ، مهما كان فى ابداعه جميلا

الناقد فنان ايضا

ويرى كروتشه ان الفنان مبدع لا اكثر ، اى انسان يحب ويعبر ، ومن حيث هو كذلك ليس عالما ولا فيلسوفا ولا اخلاقيا . وبداهة يمكن ان نصفه كانسان بالاخلاق وعدمها ، اما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع ان نطالبه باكثر من التكافؤ التام بين ما يبدع وبين ما يشعر به . وعلى الناقد ان يقف امام مبدعات الفن موقف المتامل لا موقف القاضى او الناصح ، فهو فنان اخر يحس ما احسه الفنان الاول ، ويعيش حدسه مرة ثانية ، والاختلاف بينهما ان الناقد يعيش واعيا ما عاشه الفنان غير واع .

وإذا كانت فلسفة الفن هى علم الحدس الخالص ، فان المنطق علم المفهوم المحض ، والحدس لا يقوم على المفهوم ، لانه اول صور المعرفة ، وعلى العكس يقوم المفهوم على الحدس ، لان الحدس موضوع المعرفة العقلية ، ومجالها معرفة العلاقات القائمة بين الاشياء ، وهذه الاشياء هى الحدوس ، وبدونها لا يمكن وجود المفهوم ، وهو عند كروتشه يختلف عنه عند ارسطو ، فالاول يراه الفكر نفسه وقد بلغ مرحلة التعميم ، ويراه الثانى مفهوما مجردا لا يزيد على انه التعميم نفسه .

المعرفة تساوي الارادة

وفيما يتصل بالجانب التطبيقي للحدس وهو العمل ، يرى كروتشة انه بدون معرفة لاتكون هناك إرادة ، وبوسعنا ان نعقل معرفة مستقلة عن الارادة ، اما الارادة المستقلة عن المعرفة فلا تعقل ، لان الارادة الحقة لها عينان ، واما الارادة العمياء فليست إرادة . وانى لنا ان نريد إذا لم تكن امامنا حدوس تاريخية ، اي إدراك للأشياء ، وحدوس محضة ، اي تخيل للممكنات ، وروابط منطقية بين هذه الأشياء توضح طبيعتها . واني لنـــا الارادة الحقة إذا كنا لا نعرف العـــالم الذى يحيط بنا ، وأسلوب تحويل الأشياء بالتأثير فيها ؟ .

فالنشاط العملي ، او الارادي ، لا يستقل عن المعرفة ، ويجيء فى صورتين تتضمن ثانيهما الأولى : النشاط النفعي ، او الاقتصادي المحض ، والنشاط الاخلاقي ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف الثاني إلى غايات كلية ، وهو منطقها ،

وهذه اللحظات الاربع : الجمال والحق والمنفعة والخير ، يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً دائرياً ، فاللحظة الأولى شرط فى الثانية ، وتتوقف على الرابعة ، والثالثة تتوقف على الثانية وشرط فى الرابعة ، وهكذا تدور الحياة : حدس ، فمنطق ، فاقتصاد ، فاخلاق .

الذوق والعبقرية

وفى ضوء هذه الاسس مضى كروتشه يوضح بالتدريج مفاهيم الذوق والعبقرية ، ووظيفة النقد ، وتاريخ الادب ، والنشاط الجمالي ، والمضمون والصورة ، وحدد طبيعة اللغة ، وانها بالدقة ثمرة النشاط الجمالي فى لحظة الخلق الخالدة [illegible] التعبير الشعري بمعناه الدقيق عن بقية انواع التعبير الاخرى ، كالارتجال والخطابة ، وكلاهما ينتمي إلى الجانب التطبيقى ، وهو وليد النشاط الفكري الخالص ، وفيه يتدنى الخيال ليصبح كلمة او رمزا على فكرة فحسب .

وهو يرى أن الاعمال الادبية ، وتمثل الجانب الاعظم من ثقافة شعب ما ، شكل من الحضارة ، وتعبير عن ذوق الشعب ، ونموذج يومــىء إلــى روحــــه ومدنيتـــه الخاصـــة ، وفيها لا يجب ان نبحث عن عبقرية المبدع المتفردة ، وإنما عن انتشار حضارة الحرف ، كاي جانب اخر من جوانب الحضارة ، فلسفية او سياسية او اقتصادية او غيرها ، ومثل هذه الاعمال نادراً ما تكون خلقا عبقريا خالصا ، وكثيرا ما تعكس رؤى العبقرى ، وقد تمثل رغائب شعبه ، وتعكس فى الوقت نفسه حاجاته المشتركة ، ادبية وثقافية . والجانب الاكبر من الروايات والقصائد ، والمسرحيات بانواعها المختلفة ، ومثلها فى ذلك المعمار والموسيقى والرسم وغيرها ، اعمال حضارية ، تمثل الشعب بدقة فى لهوه وطربه وثقافته ، وليست مناط موازنة ، او منافسة ، بينها وبين صاحب الاصالة الشعرية الحقة .

ومثل هذا التمييز يساعدنا كثيرا على فهم تاريخ الحضارة الادبية ، وعلى تكوين رأينا ناقدين .

التاريخ والشاعر

كذلك عرض بطريقة بالغة الوضوح والروعة لقضية العلاقة بين الاخلاق والشعر ، ويرى أن الشعر بمعناه الدقيق لا يخلق حقيقة ولا خلقا ، ومع ذلك فهو يتغذى بكل ماتنطوى عليه نفوسنا ، وما تملكه شخصيتنا من ثراء ، وهي اخلاقية فى الجانب الاكبر منها . فليس من مهمة الشعر ان يخطب او يعظ او يستهدف اقناعات خلقية ، ولكن روح الشاعر لا يمكن ان تدير ظهرها لتجربة الروح الانساني [illegible] ، ولا يمكنها أن تستهدي غير النقاء ، اي الاخلاق ، وتزداد فتنة الشعر وروعته بقدر ما تكون [illegible] شخصية الشاعر اشد تخلقا واكثر سموا .

وفيما يتصل بالعلاقة بين التاريخ والشاعر حدد مفهومه من التاريخ ، وانه يعنى به الوقائع والمثل العليا للمجتمع سياسية أو دينية فى عصر من العصور ، وانتهى إلى أن الخلق الشعري لشاعر ينتمي إلى هذا العصر حدث لا يصدر عن التاريخ ، ولا يحدد هذا مساره ، وكل خلق شعري كامل فى نفسه ، ومستقل عن اي شيء اخر ، ولكن المادة والفحوى ، فكريا وإنسانيا ، يتوقفان على ما يتغذى به الشاعر ، ويثريان باتساع فكره ، وعميق صلته بالتاريخ ، وما يحمل فى اعماقه من اغذية خفية ، وخمائر فعالة ، ومن ثم فهي تعكس خفق الحقبة التاريخية التى عاشها الشاعر ، او الفنان .

فالتاريخ لا يحدد العمل الشعري ، ولا يشكله ، ولكنه يصنع الظروف التى تطوقه، وليس ممكنا أن نتعمق فيه ، وأن نفهمه جيداً ، دون أن ندرك واعين الظروف الاخلاقية والتاريخية التى ولد فيها ، ولونته ، دون ان تصبح له قيداً او تحد من حريته .

اشكال خاصـــة

واخيرا يتحدث عن الراي القائل بان هناك اشكالا فنية خاصة ، وان كل شكل منها لـــــه مفهومـــه وحـــدوده وقوانينـــه الخاصة ، وكيف تجسدت هذه الفكرة فى مذهبين ، يعرف احدهما باسم نظرية الاجناس الادبية ، وتقسم الادب إلى غنائي ومسرحي وملحمي ، وروائي وقصصى ، وإلى ملهاة وغيرها . ويعرف الثاني باسم نظرية الفنون ، وتقسمها إلى شعر وتصوير ونحت وعمارة وموسيقى وتمثيل وغيرها . وفى بعض الاحيان يعدون النظرية الأولى جزءا من الثانية، وهي تقسيمات تعود إلى الحضارة اليونانية ، ولا تزال شائعة فى ايامنا هذه ، وكثيرون من الكتاب يؤلفون فى فن المأساة ، وفن الملهاة ، وفن الفكاهة وغيرها ، إلا أن ضررهم محدود لأن الناس قلما يصغون إليهم ، فهم يكتبون لانفسهم تسلية ، او ليحتلوا مركزاً علميا ، ولكن الادهى ان النقاد انفسهم يحكمون على الآثار الفنية بالنسبة إلى الجنس او الفن الذى تنتسب إليه فى رايهم ، وهم فى هذه الحال لا يبرزون جمال الاثر او قبحه ، وإنما يبحثون عن التزامه القواعد او الخروج عليها ، وشاع هذا الاتجاه ، حتى اصبح تاريخ الادب والفن تاريخا للاجناس الادبية والفنية ، وادى هذا الى تجزئة اعمال الفنان الواحد ، وهي تكون وحدة فى الواقع مهما تكن الصورة التى جاءت فيها ، غنائية او قصصية او مسرحية ، ومن ثم يمكن ـ مثلا ـ ان نعد شاعراً مثل اريوست الايطالي (١٤٧٤ ـ ١٥٥٣) بين رجال النهضة الذين تعهدوا الشعر اللاتيني تارة ، وبين الغنائيين الذين كتبوا بالعامية تارة اخرى ، وحتى بين كتاب الملاحم ، او الهجائيين ، إلى اخر ماهنالك من اجناس ادبية ، يمكن أن نجد له مكانا .

الفن المجرد

مامن احد يجهل أن التاريخ الأدبي مملوء بالحالات التى يخرج فيها الفنان العبقري على الأجناس الأدبية والفنية المقررة ، فيحمل عليه النقاد ، ولكن حملتهم لا تطفىء إعجاب الناس به ، ولا تحد من ذيوعه ، ومن الزمن يجد النقد نفسه فى حاجة إلى أن يتساهل بازائه ، فيوسع

نطاق الجنس الادبي ليشمله ، او يقبله جنسا جديدا ، وهكذا تستمر عملية تحطيم القيود ، وقلب القواعد ، مع كل اثر عبقري جديد . ولكن من الحق ايضا ان هذه الشبكة من التصنيفات ذات فائدة ، لا تتصل بالابداع ، فهو عفوي وتلقائي ، ولا بالحكم عليه ، فهذا امر فلسفي ، وإنما من قبيل الحصر والاحصاء لآثار لا تنتهي ، وذلك شيء يفيد الذاكرة ، ويعينها على الانتباه ، وهو امر محمود ولا غبار عليه ، مادمنا لا نجعله مبدأ فلسفيا ، ولا مقياسا للحكم على الفن .

غير ان هذه الاصناف والاجناس تسهل المعرفة ، وتيسر التربية الفنية ، لانها فى مجال المعرفة اشبه بقائمة تذكر فيها اهم الابداعات الفنية ، وهي فى التربية مجموعة من النصائح الضرورية اوحت بها الخبرة العملية الفنية ، والمهم الا نخلط بين القوائم والواقع ، أو بين الاحداث والاوامر الظنية وبين القواعد الصارمة ، وهو خلط نقع فيه بسهولة ، ولكن نستطيع ويجب ان نقاومه .

إن كتب الأدب والبلاغة والنحو والعروض والموسيقى والتصوير وغيرها ، إنما هى أولا قوائم بالأعمال الفنية ، ومجموعات من النصائح ، وتتجلى فيها ، ثانيا ، ميول إلى تعبيرات فنية خالصة وفى هذه الحالة يجب أن نعدها من « الفن المجرد » الذى لا يزال فى مرحلة التاهب والتحضير ، ونجد فيها ، اخيرا ، محاولات لفهم موضوعها فلسفيا ، ولكن يفسدها خطا التقسيم إلى اجناس وفنون على نحو ما انتقدنا ، ومع ذلك فهي تناقضات تمهد السبيل امام النظرية الصادقة فى فردية الفن .

أدب ايطاليا الجديدة

عبر هذا الطريق غذى كروتشه النقد وذكاء القاريء ، لكي يذهب هذا بمتعته إلى ماهو ابعد من مجرد قراءة الاعمال العظيمة واحكم مناهج النقد والتذوق بقوة ، وطور الثقافة الايطالية فى شتى جوانبها ، وانطلاقا من مبدأ أن الفلسفة منهج التاريخ اي انها تعيش فقط فى وحدة مع مشـكلات الحياة المحددة ، قام بجهد نقدي عظيم وفعال ، وكتب العديد من المقالات عن اكبر الكتاب الايطاليين والاجانب .

وبين اعماله النقدية فان كتـابه عن « أدب ايطاليا الجديدة » ، وجاء فى ستة مجلدات ، يجيء فى القمة إحكاما وشمولا ، والفه بين عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ ، ويدرس الأدب الايطالي بعد الوحدة القومية ، اي بين عامي ١٨٦٠ ، ١٩١٠ تقريبا ، ويعتبر حتى اليوم اثري واعمق ما كتب عن هذه الفترة . ودرس إلى جانبه ، فى ابحاث عميقة مركزة ، كبار الكتاب والادباء من إيطاليين واجانب ، امثال : اريوست ، وشكسبير ، وكورناي ، ودانتي من بينهم بخاصة . ويتجلى فيها كلها عمق الناقد واصالته ، وطبق فيها منهجا خاصا اختطه لنفسه . وإلى جانب هذا كتب عن الشعر العامي والمثقف ، والقديم والحديث ، وادب ايطاليا فى القرن السادس عشر الميلادي وفى عصر النهضة وغيرها .

استاذية ماهرة

وإلى جانب دراساته المتصلة بالادب والفن ، اقبل على دراسة التاريخ ، وما يتصل بتاريخ اللغة بخاصة ، والاقتصاد والتشريع ، وتاثير النظم الاجتماعية والسياسية فى الحياة ، ويأتي تاريخه لمملكة نابولي فى قمة اعماله فى هذا المجال ومن خلال هذه الثقافات الواسعة المتنوعة، انتهى إلى مفهوم خاص به عن الحياة ، والصحة والعزيمة والواجب ، والايمان بتطور التاريخ ، وبالفن اداة لاشاعة التناسق والجمال .

ولا يستطيع المتحدث عنه ان يمر بلغته فى الكتابة ، واسلوبه فى التعبير مروراً عابرا ، إذ انه فى هذا المجال يجيء حداً فاصلا فى تاريخ اللغة الايطالية الحديثة ، فلغته منتقاة دون إغراب ، وجزلة دون تقعر ، ونموذج للرقة دون تهافت ، وتعادل فى استاذية ماهرة بين الحفاظ على جوهر اللغة قواعد وتراكيب ودلالات وبين اختيار ماهو موسيقى من الفاظها ، وتلتقطه اذن السامع وعين القاريء فى سهولة و بعدها تاخذ طريقها إلى الذاكرة فى يسر وسهولة .

تلك هي الخطوط العامة للافكار النقدية لهذا العالم الناقد ، وبسطها يحتاج إلى جهد ، لان الرجل ، انطلاقا من وحدة الفن ، يمزج بين قضايا كثيرة ، وجانب لا باس به من آرائه يلتقى فيه مع كبار نقادنا القدامى، امثال الجرجيان : عبد القاهر وعلي ، وابن الأثير ، وحازم القرطاجنى من بينهم بخاصة ، وقد اعود يوما إلى هذه الألوان من الموافقات .

د. الطاهر أحمد مكي

صحائف تمنع الغضب

قال المعتمر بن سليمان :

كان رجل من الأتقياء يغضب ويشتد غضبه . فكتب ثلاث صحائف . ثم أعطى كل صحيفة رجلا .

قال للأول : إذا اشتد غضبى فقم إلى بهذه الصحيفة وناولنيها .

وقال للثانى : اذا سكن بعض غضـبى فناولنيها .

وقال للثالث : اذا ذهب غضبى فناولنيها .

وكان قد كتب فى الأولى :

ـ أقصر مما أنت فيه ، انك لست إلها . إنما انت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا .

وفى الثانية :

ـ إرحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء .

وفى الثالثـة :

ـ أحمل عباد الله على كتاب الله ، فانه لا يصلحهم إلا ذاك .

الموجة الجديدة في السينما

بقلم: محمد فتحي

ظلت هوليود ـ مهد السينما ـ زهاء نصف قرن تتحكم فى اذواق **الناس : لا فى الولايات المتحدة وحدها** ، بل وفى كثير من بلدان القارات الخمس ، ثم أن **لدولتها أن تدول ، فخوت عروشها** ، وخيم الصمت والسكون على استوديوهاتها ، وكانت **تضج بالحركة وتصاعد فى سمائها أعذب** الالحان ، وتموج باعلا درجات الحسن إناثا وذكورا **ونتاجا عبقريا فى شتى طرز المعيشة** من عمارة وزخرفة ورسوم ومشرب وملبس .

لم يغلق مصنع الأحلام ابوابه ، وإنما تضاءل وضمر حجمه **ونازعه السلطان مراكز اخرى متعددة** ، فى اميركا ذاتها وفى أوربا وافريقيا ايضا ، ما كان احد فى **الثلاثينات يتصور أن ترث هوليود** «هونج كونج» و «اليابان» و «الهند» !

انتقل انتاج الفيلم من أيدى الشركات العتيدة ذات الاسم الرنان ، مترو جولدوين ماير ، يونيفرسال ، باراموتت وفوكس .. الى ايدى فرق عديدة من المنتجين المستقلين الذين انبثوا هنا وهناك ينتجون إنتاجا فرديا او انتاجا مشتركا بين بلدين او اكثر لم تعد تقيد نشاطهم الاستديوهات الثابتة فقد يسرت لهم التكنولوجيا العصرية (١) تجهيزات وادوات دقيقة صغيرة الأحجام تنقل من مكان لمكان دون عسر او مشقة . كذلك يسر لهم التعاون الاقتصادى بين اطراف الانتاج المشترك امر راس المال المطلوب .

هذا التحول الدرامى السريع فى صناعة السينما حدث نتيجة عاملين : الأول هو ظهور التلفزيون وغزوه كاداة جديدة اسرت الباب الناس واقعدتهم فى البيوت أسرى شاشتها الساحرة مما ادى الى انغلاق الاف الدور السينمائية بشكل ملحوظ فى اميركا واوربا ومن ثم اهتز صرح الصناعة المنيف . اما العامل الثانى فهو الظهور التدريجى لجمهور جديد من عشاق السينما يختلف عن جمهور الثلاثينات والأربعينات وحتى الستينات ، ويتميز بفتوته وريعان شبابه . إذ قل ان تجد فيه من تزيد سنه على الثلاثين . ابناء العشرات من السنين اعز نفرا من ابناء وبنات العشرين . كما انه متميز ايضا فى درجة تعلمه ودرجة تخيره . هذا الجمهور الفذ ، بمزاجه واحتياجاته هو الذى خلق ما اسمى بالموجة الجديدة فى السينما .

يتضارب الراى فى هذه الظاهرة او فى هذه الموجة الجديدة فى السينما . يراها البعض فاتحة عصر ذهبى للسينما ، والبعض الاخر يرى فيما تنطوى عليه من إباحة للجنس ومظاهر النزاع والعراك والشد والجذب ... واللامبالاة ـ انحدارا نحو هاوية التحلل ، ربما كانت الحقيقة غير ذلك . فالذى لا مراء فيه ان الافلام الجديدة لا تعنى كسالفاتها بالمظاهر الخلابة ، والقصور وأهل القصور ، والكواكب ذات الأسماء البراقة الرنانة .. إنما عالمها الذى تصوره هو عالم الازقة والحوارى والشوارع الخلفية .. والناس «اللى تحت» والناس «اللى فوق السطوح» .. والحانات الصاخبة .. وكهوف السر من مخدرات وغير مخدرات .. ثم ان ابطالها وبطلاتها نكرات .. لا وجود للسابحات الفاتنات عاليات الصدور او لمارلين مونرو او معبودى الجماهير من امثال رودلف فالنتينو او كلارك جيبل .. وإنما الابطال والبطلات ذوو وجوه عادية ، كالحة فى اغلب الاحيان ، تعيش فى اطر غريبة غير مالوفة .

هذه الأجواء التى تصورها الافلام

الجديدة تعكس وجهة نظر كاتبيها ومخرجيها الشبان . الكلمة فيها كلمتهم وليست كما كانت فى الماضى كلمة المنتجين الكبار اصحاب راس المال . وطابعها شخصى بحت فهى تناقش فى جراة ــ تتجاوز احيانا كل الحدود ــ قيم المجتمع وممارساته السلوكية وتقاليده ، وتمثل بصفة عامة الراى الرافض فى المجتمع . لا تعد الأفلام تصويرا لواقع قائم بقدر ما هى تلمس لفلسفة جديدة واسلوب جديد من العيش ، اسلوب افضل من هذا الواقع المرفوض .

العدو هو المجتمع !

انفتح باب الانتاج السينمائى على مصراعيه وانشرخ صرح الاحتكار فى جميع اشكاله .. احتكار الاستوديوهات واحتكار الكواكب واحتكار ملكية دور العرض (٢) . وتشكلت امام انظار المواطن العالمى الموضوعات ، وتعددت الفلسفات ، وتباينت الأساليب والنماذج البشرية نتيجة تعدد مراكز الانتاج المشترك . ولانهيار نظام الكواكب وانتقاء الوجه الوضاء الذى الفته السينما فى عهد مصنع الاحلام اتيح لافراد الجمهور العالمى ان يتعرفوا على ذاتهم فى ابطال الفيلم وبطلاته من اصحاب الوجوه المتواضعة امثالهم . وليس ابطال الافلام متواضعى الوجوه فحسب . بل إن دور البطولة مختلف كذلك . فهو فى هذه الموجة الجديدة يقاس بمقياس اخر . لا مقياس القدرة على الظفر والنصر . وإنما القدرة على البقاء .. ان تظل حيا ترزق .. فى وجه مجتمع متحجر القلب ، شديد الباس لا يعرف الرحمة والتعاطف وهما قوام الانسانية والعدالة . البطل اليوم يناقش ويسائل ويتظاهر ويتمرد ، وكما قال احد الكتاب الاميركيين (٣) : يدخل السجن ولا يدخل الجيش ليذبح الآمنيــــن فى وطنهم ! (مشيرا الى حرب فيتنام) .

كان دور البطولة فيما مضى هو حماية المجتمع من اعدائه . اما اليوم فالعدو هو المجتمع !

وجه السينما الجديد وجه اخر من وجوه التجريب الانسانى المتلمس لحياة افضل . ونحسب الانسان فى هذه الكرة الارضية المتارجحة وقد رفض عدالة الارض راح يتطلع الى عدالة السماء .. الى طرائق اخرى وعوالم اخرى . وأداته الاتصالية فى ذلك هما . التلفزيون الموحد والمعمل السينمائى العالمى .

افاق الفيلم السينمائى

نمو الفيلم مطرد :

مايزال الفيلم السينمائى محتفظا بمكانته ودوره كأداة للترويح عن الناس على النطاق العالمى . صحيح ان السينما فقدت مكانتها فى بلدين كبيرين لهما تاريخ عريق فى صناعة السينما وفى تطوير الفن السينمائى وهما الولايات المتحدة وكندا . وسبب ذلك ، كما هو معروف ، راجع الى دخول التلفزيون وانتشاره وغلبته الأمر الذى ادى الى ضمور الانتاج فى هذين البلدين بالاضافة الى اغلاق العديد من دور العرض (٤) . غير انه باستثناء هذين البلدين يطرد نمو السينما سواء فى الانتاج او فى انشاء دور العرض اطرادا ملحوظا . كما نشهد تزايدا فى عدد الدول الجديدة التى تدخل فى مضمار الانتاج .

مراكز جديدة للانتاج :

لقد ظلت الولايات المتحدة الاميركية منذ مطالع هذا القرن متسيدة صناعة السينما اجهزة وانتاج افلام وتسويقا . ولكنها من الخمسينات وللسبب الذى اشرنا اليه تخلت عن هذه المكانة : وسرعان ما قفزت الى الصدارة بلدان لم تكن هنا او هناك ــ نعنى فى هذا المجال ــ هونج كونج واليابان (٥) . كذلك نجد الاتحاد السوفيتى وعددا غير قليل من الدول النامية مثل المكسيك والبرازيل والارجنتين كما ظهرت فى بعض بلدان الكتلة الشرقية مثل هنغاريا وبولندة ويوجوسلافيا نماذج فيلمية مميزة جمعت بين الفلسفة وجمال التقنية جمعا موفقا . اما مصر والهند ولكليهما مكانة عريقة فى الصناعة فقد تارجح فيهما الانتاج بين القلة والكثرة وان اصطبغ بصفة اصطلاحية تقربه لقيم التجارة لا لقيم الخلق والابداع . كذلك تارجح انتاج الفيلم فى اوربا الغربية بين النمو والانكماش (٦) .

التوسع فى العروض السينمائية لا يقتصر على انشاء الدور الثابتة المقاعد التى تضاعفت منذ الستينات اكثر من ضعف (قدر عددها إذذاك بمائة الف دار) .

فالنتينـــو
جذب الجمهور فى فتـــرة مبكرة !

بل إن الوحدات المتنقلة وخاصة فى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية زادت من جماهير السينما زيادة ضخمة بحيث يمكن القول استنادا الى اخر الاحصائيات بان الجمهور الأسبوعى للسينما فى الوقت الحاضر يبلغ نحو ٤٠٠ مليون اى ما يزيد على ثمـن سكان المعمورة .

افلام المعرفة

النمو فى الانتاج السينمائى لا ينصب على الفيلم الروائى وحده . فالافلام التعليمية والتسجيلية ، وهما جانبا افلام المعرفة ، تنتشر ايضا فى انحاء العالم انتشارا كبيرا وتنتجها بطبيعة الحال هيئات غير تجارية مثل الوكالات الحكومية المختصة فى شتى الشئون كالصحة والتعليم والزراعة والثقافة وما اليها . كما تتولى انتاجها المؤسسات التجارية والصناعية كشركات النفط والمحتكرة لغيره من المواد الخام والمؤسسات الخيرية ومؤسسات الخطوط الجوية وغيرها وينبغى الا نستهين بهذه الأفلام غير الروائية فبعضها يبلغ من حيث الجودة والاخراج درجة عالية تضعه فى قمة الفن السينمائى المرموق . وواضح ان الفيلم اصبح وسيلة معتمدة من وسائل التعليم وجزءا اساسيا من المنهج الدراسى.

التقدم التقنى
فى الانتاج والعرض

التقدم التقنى فى صناعة الفيلم لا



مارلين مونرو
كانت اســطورة في السينما !



كلارك جيبل
ظل متوجـا لسنوات على عرش السينما !

يتوقف . بل انها فى الخمسينات تمخضت عن تطورات جسام لعل الباعث على ولادتها هو ذلك التحدى السافر الذى واجهته عند دخول التلفزيون وغزوه . ففى مجال الانتاج تناول التطوير تصميم الكاميرا فنتجت كاميرات ٧٠ مم التى تصور افلاماً للشاشات العريضة التى تخيل للمشاهد انه جزء داخل فى البيئة التى يعرضها الفيلم ، ومن ناحية اخرى طورت للهواة وممارسى التجريب كاميرا ٨ مم جامعة بين الصورة والصوت .

وظهرت السينما سكوب والسينراما والفستافيزيون وغيرها من اشكال الشاشات ، وعشرات التقنيات المتعلقة بالعدسات وبالقنوات الصوتية ونظم الصوت ونظم اللون مما جعل السينما اداة بهيجة خلابة تجذب ولا تنهزم امام التلفزيون الغازى .

وفى جانب العرض سار التطور فى خط متواز مع الانتاج ، اتسعت الشاشات فطالت وعرضت ، وللهواة والباحثين رخصت اجهزة عرض الثمانية مليمترات .

كذلك حدث تطور هام بالنسبة للمناطق الاستوائية وشبه الاستوائية فانتجت اجهزة عرض ببطاريات تعتمد لشحن طاقتها على الشمس حيث تتعذر الكهرباء .

مجالات سينمائية مستحدثة

ادخل وتفرج ! :

من الأنماط السينمائية المستحدثة التى جددت الشوق السينمائى وصبت فى جمهوره روافد جديدة ظهور بدعة استلهمها أصحابها من اعتماد الناس على السيارة وارتباطهم بها ارتباطا جوهريا فانشاوا فى الساحات الكبيرة أماكن لدخول السيارات يدعى أصحابها للدخول والتفرج (ادخل وتفرج !) فيجلس أصحاب السيارات هم وذووهم فى سياراتهم ويشاهدون الفيلم المعروض على الشاشة الكبيرة ولاباس من تناول المثلجات أو المدفئات وهم يستمتعون بالمشاهدة . وفى الولايات المتحدة بوجه خاص تجد هذه الساحات السينمائية الجديدة رواجاً واقبالا معوضة على الصناعة بعض ما خسرته من جمهورها للتلفزيون . وهى تنتشر فى الضواحى التى يؤمها الناس للنزهة والترويح والتماس الهواء الرطيب وعطر الخضرة الفواح . كذلك تجدها فى بعض الاندية ذات الاراضى الفسيحة وفى مراكز التسويق الضخمة التى تقف فى اطراف المدن ، وعلى طول الطرق السريعة تخفيفا عن المسافر وترويحا له فى سفره الطويل وتجنيبا له من عناء التسويق فى المدن مع عسر إيجاد أماكن لانتظار السيارات .

السينما والتلفزيون

ومن التطورات الأخرى التى تنبىء عن اتجاه مستقبلى هو أن مجمعات من دور السينما كانت ترتبط بدائرة مغلقة للتلفزيون بحيث يشاهد المتفرج الفيلم السينمائى مضافاً اليه ، الأخبار والأحداث التى تذاع على نفس شاشة السينما فى تليفزيون الدائرة المغلقة حتى ترتبط مئات الدور السينمائية فى البلد الواحد بمحطة تليفزيون واحدة ومن ثم يتم الدمج بين الشقيقتين السينما والاذاعة المرئية .

بعث جديد للسينما

الحقيقة أن هذا المنحى يتحقق بالفعل فى مجال تكنولوجيا الفضاء ، فكاميرات التليفزيون الضيقة ذات الزاوية الواسعة يتزايد استخدامها فى التوابع الاتصالية والارصادية والفلكية والعسكرية كما تستخدم فى مركبات ارتياد الفضاء . ويسود الاعتقاد بان عرض الافلام المبثوثة مباشرا من الفضاء الخارجى والكواكب الى الأرض ، على الشاشات الفضية سيكون بمثابة بعث جديد للسينما . ولاشك فى ان مثل هذا الكشف المنشأ عن الكون وكواكبه تجربة يفضل الانسان ان يراها فوق الشاشة الكبيرة مع تجمعات كبيرة من بنى جنسه من اهل الأرض لا ان يشهدها بمفرده ، فى بيته ، عن طريق شاشة التليفزيون الصغيرة .

محمد فتحى

هوامش

(١) ذكرت مجلة النيوزويك الاميركية بعددها الصادر فى ٧ديسمبر ١٩٧٠ أن فؤاد سعيد المهاجر العربى احدث ثورة فى صناعة السينما باختراعه الاستديو المتنقل المعروف باسم مارك ٤ (سينى موبيل) وهو استديو متحرك طوله ٣٥ قدما يحوى غرفا وحمامات للممثلين ويسع خمسين شخصا عدا الاجهزة الخفيفة الوزن ـ وهو فى شكل اوتوبيس كبير .

(٢) حكمت المحكمة العليا فى مهد السينما واقوى حصونها بعدم مشروعية ملكية الشركات المنتجة لدور العرض .

(٣) الروائى كين كيزى فى رواية «امة عظيمة فى وقت ما» والتى اخرجت فى السينما اخيرا .

(٤) تذكر الاحصاءات ان انتاج الافلام فى الولايات المتحدة الاميركية هبط من ٣٥٠ فيلما الى ٢١١ عام ١٩٦٠ كما هبط عدد دور العرض من ١٧ الف دار عام ١٩٥٢ الى ١٢٣٠٠ عام ١٩٦٠ . وفى كندا اغلقت ٤٥٠ دار ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ .

(٥) دخلت هونج كونج مجال الانتاج السينمائى على نطاق واسع منذ الستينات واصبحت منافسة خطيرة للهند واليابان فى منطقة جنوب شرقى اسيا . ولكن افلامها مثل سلعها الاستهلاكية ذات طابع تجارى صرف فهى تختص مثلا بافلام المغامرات والكاراتيه وما اليها مما يقلل من قيمتها الثقافية الانسانية .

(٦) كان عدد الدول التى تنتج فى الستينات اكثر من ٣٠ فيلما سنويا لا تزيد عن ٣٦ دولة اثنتان فى اميركا الشمالية وهما الولايات المتحدة وكندا ـ ١٢ فى اوربا ـ ٨ فى اسيا ـ اثنتان فى اميركا الجنوبية ـ واحدة فى افريقيا وهى مصر ـ عن كتاب المواصلات العالمية لليونسكو .

من كتاب حكمة الشرق

ترتيب وتصنيف الكاتبة الألمانية : كريستيان ديـنر

ترجمة : الدكتور صالح الشماع

● الآراء كالمسامير ، كلما طرقها المرء اكثر زادها عمقا .

« حكمة صينية »

● المزاج غالبا ما يكون الكوة التى يصدر منها شعاع الحقيقة .

« حكمة يابانية »

● الحب هو القوة التى تخلق جميع الكائنات الحية .

« حكمة صينية »

● لا يضل المرء ابدا بسهولة إلا عندما يتصور انه يعرف الحقيقة

« حكمة صينية »

● من يجاملنى هو عدوى ، ومن يلومنى هو معلمى .

« حكمة صينية »

● الابتسامة التى تطلقها ترجع اليك من جديد .

« حكمة هندية »

● اعمل لا لتربح ، وابدع لا لتملك .

« لاوتسه »

● الكلام الغامض كالمراة المعتمة .

« حكمة صينية »

● لا يغضب إلا الجاهل ، العاقل يتفهم .

« حكمة هندية »

● الذى ينظر الى نفسه ، لا يتعالى على الناس .

« لاوتسه »

● خير الأبواب الموصدة ، ذلك الذى يسعنا تركه مفتوحا .

« حكمة صينية »

من هو الاكمه ؟

الذى لا يمكنه ان يرى عالما اخر

ومن هو الابكم ؟

الذى لا يستطيع ان يقول قولا جميلا فى الوقت المناسب .

ومن هو المعدم ؟

الذى يطمع بكل صعب ونفيس .

ومن هو الغنى ؟

المطمئن القلب .

« حكمة هندية »

● قبل ان تعمل على تحسين اوضاع العالم ، سر فى منزلك نفسه ثلاث مرات .

« حكمة صينية »

● قد تتجرع الشاى البارد والرز ، اما الكلمات الباردة فلا يمكن ان تقف على قدميها .

« حكمة صينية »

● قل ما تريد ان تقوله ، صباحا .

« حكمة يابانية »

● لئن حملت غصنا اخضر فى قلبى ، فلسوف يكون على الغصن طائر غريد .

« حكمة صينية »

● العرف والعادة يقضيان ان تكون اجتماعيا ، اما ان تعرف الناس فهذا يجعلك حكيما .

« كونفو شيوس »

● كما لا يقف الماء على الجبل ، لا يستقر الثار فى القلب الكبير .

« حكمة صينية »

● لا تشعل نارا ، لن تستطيع اخمادها إذا اردت .

« حكمة صينية »

● لا يكون اكثر بعدا عن الحقيقة كالذى يدعي العلم بكل الاجابات .

« تشوانغ تسو »

● كما لا يدوم السلم والراحة أبدا لا يكون الشقاء والنكبات نهاية كل شيء ، فلذا صفى لهيب الرمضاء كل ما هو اخضر العود نبت العشب فى الصيف ثانية .

« حكمة منغولية »

● يبحث العاقل عما فى نفسه هو ، اما الاحمق فيبحث عما هو خارج نفسه (بعيدا عن قدرته) .

« كونفو شيوس »

● لا يكفى ان يؤتى الى النهر رغبة فى الحصول على سمك ، على المرء ان يجلب شبكة معه .

« حكمة صينية »

« حكمة صينية »

● اشعل مصباح الحب بحياتك .

« طاغور »

● من كان الله غايته ، وسعه ان يعيش فى العالم ، لا ان يعيش العالم فيه .

« راما كرشنا »

● لا يسع المرء ان يصل الى كثير ، إن لم يبدأ من البداية تماما .

« كرشنا مرتي »

● اثمن خصائص المراة ، قلب دافيء .

« حكمة صينية »



● الخيانة (عدم الاخلاص) علامة ضعف .

« مهاتما غاندى »

● من لا يرتقى الجبال العالية ، لا يعرف السهول .

« حكمة صينية »

● ان تنقذ حياة انسان اكثر قيمة من ان تبنى عمارة بسبعة طوابق .

« حكمة صينية »

● إذا احب المرء وجد حتى الماء عذبا .

« حكمة صينية »

● اجعل صداقتك لما عند الغير من طيبة ، لا لما عندهم من ممتلكات .

« حكمة صينية »

● للذهب سعر معين ، وليس للكتب سعر ، إلا ان الكتب اثمن من الذهب .

« حكمة صينية »

● كما لا يمكن الانسان ان يقضى الف يوم بصورة متصلة مرفها مرتاحا ، كذلك لا يكون للزهر الرونق الطرى مئة يوم متصلة .

« تسنغ كوانغ »

● السمكة التى لا تريد اصطيادها هى سمكة كبيرة دائما .

« حكمة صينية »

● من يضحك بدل أن يثير صخبا هو الاقوى دائما .

« حكمة يابانية »

● طيبة الكلمات تعبر عن الثقة ، وطيبة الافكار تدل على ما لها من عمق ، وطيبة الهدايا تظهر الحب .

« لاوتسه »

● للانسان ثلاثة طرق يكون فيها ماهرا حسن التصرف : طريق التبصر والفكر وهذا هو الأنبل ، وطريق التقليد وهذا هو الأسهل ، وطريق التجربة وهذا هو الاكثر مرارة .

« كونفو شيوس »

● لا يسع المرء ان يرى اخطاءه إلا بعيون الغير .

« حكمة صينية »

● حتى وإن كان لك عشرة آلاف حقل فحسبك صحن رز فى اليوم ، وإن احتوت دارك على الف غرفة حسبك من المكان ثمانى اقدام لتنام .

« حكمة صينية »

● إذا عملت رعانى الله ، وإذا غنيت احبنى الله .

« طاغور »

● إذا انتظرت بصبر حصلت على اجمل طقس .

« حكمة يابانية »

● إذا حدث امر وانقضى فلا تتحدث عنه ، فالماء إذا انكب صعب جمعه من جديد .

« حكمة صينية »

● (يا إلهي) قدنى من الوهم الى الواقع ، ومن الظلمة الى النور ، ومن الموت الى الخلود .

« الاوبانيشاد »

● من لم تكن له رغبات وصل الى سكينة داخلية .

« لاوتسه »

● إن أردت الحق فاعمل على تجديد نفسك كل يوم .

« كونفو شيوس »

● رغباتنا هى كصغار الأطفال ، كلما تساهلنا معها اكثر زادت طلباتها منا .

« حكمة صينية »

● حيثما ذهبت ، فكن مع قلبك كله .

« كونفو تسه »

● تمام العمل ان يكون لنا الدافع الذى يبعثنا على الوصول الى الغاية لا الى مجرد الوصول .

« مهاتما غاندى »

● فى الحب تهمل وتنسى جميع مفارقات الحياة ، إذ فى الحب وحده فقط لا تكون الوحدانية والثنائية فى نزاع .

« طاغور »

● نمت وحلمت ان الحياة هى السعادة .
● استيقظت ووجدت أن الحياة هى الواجب .
● تعاملت وجربت ان الواجب هو السعادة .

« طاغور »

● خير لك ان تشعل شمعة من ان تشكو الظلام .

« حكمة صينية »

● لا تهم نفسك بما مضى ، وتوجه بذاتك لما سيكون ويأتى .

« تسنغ كوانغ »

● اطلب الكثير من نفسك ذاتها وتوقع القليل من الآخرين ، تبعد عنك كثيراً من الهموم .

« كونفو شيوس »

● من تعرف على الغير كان متعلماً
ومن تعرف على نفسه ذاتها كان حكيما .
ومن انتصر على الغير كانت له عضلات قوية .
ومن انتصر على ذاته كان قويا .
ومن كان مطمئنا فهو الغني .
ومن لم يضع طريقه الوسط دام .

« لاوتسه »

● كما لا يمتلىء البحر بالألف والآلاف من مياه الأنهار الجارية فيه لا يطمئن قلب الانسان مهما حول من حجارة الى ذهب .

« حكمة صينية »

● لما كان الماء الاجاج هو قنية العالم ، فمهما عب الانسان من الماء لا يطفىء ظماه .

« كاداتكو بيليك »

● ان تتطاير الهموم والوساوس فوق بشرتك ، هذا امر لا تستطيع له تغييرا ، لكن فى إمكانك ان تمنعها إذا ارادت ان تبنى اعشاشها فى شعرك .

« حكمة صينية »



محمود فوزي

آخر جيل الدبلوماسيين العظام

● روى شهادته في ثلاثة كتب ورحل قبل أخطر جزء فيها ..!!

بقلم : محمود مراد

صورة نادرة للدكتور محمود فوزى فى شبابه .. عندما كان مندوبا لمصر فى هيئة الامم المتحدة

كان الانسان العادى جداً « الانسان كائنا من كان » هو هدف الرجل الرقيق ، المهذب ، دمث الخلق ، الصامت ابداً ، المثقف فى غير استعلاء .. الدبلوماسى صاحب السمعة الدولية : الدكتور محمود فوزى .. الذى خرج الى الحياة نهار التاسع عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٠ وقطع مشواراً خصباً ثرياً حتى خرج من الحياة فى الثانى عشر من يونيو ١٩٨١ ، بعد مصارعة المرض على مدى جولات استمرت بضعة اعوام ! !

كان مؤمنا بالله .. بالميلاد والنهاية .. لكنه كان يود لو استمر سنوات اخرى يفرغ فيها كل ما لديه .. تسجيلا حيا لكفاح امة .. تجربة للشباب صاحب الغد كله .. شهادة صدق للتاريخ ! !

فى ذلك النهار .. فى السنة « الصفر » الفاصلة بين قرن مضى وقرن يجيء ، كان مولده ليصبح الابن الثانى لفقيه قرية « شبرا بخوم » مركز قويسنا بمحافظة المنوفية .. الشيخ دسوقى جوهرى .. الذى تخرج من مدرستى القضاء ودار العلوم وصار حجة اهل القرية واحد حكمائها العاقلين .. ولقد كان الاب يريد ابنه « محمودا » وقالت الام .. بل « فوزى » .. وتم التوفيق بين الرايين بجمعهما سويا ليصبح اسم الوليد « محمود فوزى » .. ولتلد الام من بعده طفلا اخر . لكنه هو « الاوسط » كان من دون الاشقاء والاقرباء ميالا دائما الى الهدوء ومجالسة الكبار .. يعكف على المذاكرة ويجتاز مراحل التعليم بتفوق ، وعندما وصل الى التوجيهية فى نهاية الثانوى ساله الاب ماذا تريد أن تكون يا محمود ؟ فرد بهدوء وثبات .. « أن اكون محامياً » !!

● ●

كان برغم هدوئه وميله الى العزلة ، اكثر

● ليس من مهمة وزراء الخارجية أن يخطبوا ويلقوا الكلمات ● ● هات القوة وتفاوض هات القوة وتكلم ● ● ● نحن لا صفة لنا إلا أننا خدام الشعب ، وإذا انتفى عنا ذلك فلا صفة لنـــا ● ● ● نحاور من غير أن نساوم ، ونتمسك بالأساس ونترك للمرونة دوراً في الأسلوب « محمود فوزي »

الفتيان استشعارا بالواقع الذى يعيشه واولى دوائر هذا الواقع هو مجتمع محافظته المنوفية حيث الكثافة السكانيــة عالية ـ نسبيا ـ حيث الثراء الواسع متمثلا فى بضع عائلات تمتلك كل منها الاف الافدنة لكن بجوارها الاف العائلات لا تمتلك كل منها سوى بضع افدنة !! .. من هنا اتجه الناس الى تعليم ابنائهم .. وحرص الابناء على الاستذكار ــــ غير أن النسبة العظمى حائرة يطحنها الفكر بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون !! وهذه الاغلبية تتشكل من صغار المزارعين والحرفيين والمهنيين .. من عمال التراحيل .. من الانسان العادى « الانسان » كائنا من كان » الذى يحتاج إلى من يدافع عن حقوقه . ولذلك فعندما تولى لاول مرة مسئولية قيادةالعمل التنفيذى وأصبح رئيسا للوزراء فى ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ كان أول وعد قدمه للشعب هو : حل مشكلات عمال التراحيل !! ورداً على دهشة البعض لهـــذه الاولوية التى يطرحهـــا الرجـــل « السياسى الدبلوماسى » الذى يتعامل مع الطبقة العليا وأصحاب الياقات البيضاء قال فى بيانه أمام مجلس الأمة لممثلى الشعب فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٠ : « ربمـــا يدهش البعض اذ يسمعوننى بادئا حديثى اليوم اليكم بمشكلة فى كلمتين « عمـــال التراحيل » !! وقد نسمع قائلا يقول : عمال التراحيل !! .. وماذا عن السياسة الزراعية ، والصناعية والمالية والدفاعية ، والخارجية؟ وردى ان لهذه الأمور مكانتها الكبيرة فى تفكيرنا ، وفى برامجنا ولكنى اردد : بل عمال التراحيل ! .. بل الرحمة والعدل .. ويا للالم والشعور بالخجل حينما يقال : عمال التراحيل أم قطعان التراحيل !! اننا لا نريدهم مجرد فضلات عمالة .. انما نريدهم تحركا طبيا وامتدادا محترما للعمالة » ..

ولذلك .. اختار ان يكون محاميا ، لكنه بعد التخرج من الحقوق جاءته فرصة سانحة للعمل فى « السلك الادارى » بوزارة الخارجية حيث عمل فى قنصلية مصر بروما وكان هذا مناسبة لاستكمال دراساته العليا بجامعة روما حتى حصل على الدكتوراة فى القانون سنة ١٩٢٤ ليعود بعدها إلى القاهرة ليعمل فى النيابة العامة كمعاون ، ثم مساعد نيابة يتولى التحقيق ويدافع عن المجتمع .. وكان من الممكن ان يستمر لكن افاقه امتدت ليشارك فى الدفاع عن المجتمع المصرى ضد العدو مجسداً فى « الاحتلال والنفوذ والسيطرة » باعتبار ان النصر فى هذه المعركة الكبرى هو طريق إلى حل مشكلات الدخل .. وبالفعل انتقل من النيابة إلى السلك الدبلوماسى سنة ١٩٣٦ ، سكرتيرا للقنصلية المصرية فى نيويورك ثم فى نيو اورليانز ثم نائبا للقنصل المصرى فى نيويورك ثم قنصلا فى اليابان التى سافر اليها فى اغسطس ١٩٣٠ ..

وهنا نتوقف

ان رحلة العمل السابقة كانت تجربة واستيعابا وتثقيفا .. لكنها فى اليابان كانت اشمل واوسع الى حد أن بقيت اثارها معه حتى النفس الأخير !!

لقد انبهر بما وصلت إليه اليابان .. غير انه تجاوز صدمة الانبهار الى عمق التجربة ..أن هناك سمات مشتركة بين مصر واليابان كلاهما من بلاد الشرق المرتبطة بالروحانيات .. كلاهما بدات نهضتها الحديثة فى القرن التاسع عشر .. لكن اليابان تفوقت ومع أن هناك اسبابا عديدة لذلك .. الا أن اليابان سلكت دروبا اصعب لكنها اقصر .. ومنها نظم التعليم .. ومنها معرفة الامكانيات والقدرة والانطلاق من أرض الواقع الحقيقى الى افاق المستقبل .. ومع كل مادرسه الرجل خلال عمله هناك فلقد تعلم هوايتين ظلتا معه الى النهاية .. أولهما الرسم بالرمال الملونة الذى تعلمه واجاده .. وثانيهما : المصارعة التى مارسها ووصل فيها الى درجـــة « الحزام البنى » .. واذا كان الرسم بهذا الاسلوب قد اتفق تماما مع طبيعته المثابرة الدعوب .. المتاملة فى صمت ، فان المصارعة هى الاخرى قد اتفقت مع ارائه واضفت اليها فهى ليست حركات عضلية وانما ـ على حد التعبير ـ « فن البحث عن نقطة الضعف فى الخصم » .. هى اذن .. ليست فن استخدام « العضلة » وانما « العقل » .. وبه يستطيع « الضعيف العاقل » أن ينتزع حقه من القوى .. وبتعبير سياسى : هى فن مواجهة الدول الصغرى للدول الكبرى !!

والفن هو « الفعل » وليس الكلام .. وتلك كانت قناعته التى كررها دائما .. قالها فى مطار جنيف عند ما التف حوله الصحفيون فى ابريل ١٩٥٨ وكان وزيرا للخارجيـــة : « قليل من الكلام ، ومزيد من العمل .. » وقالها ذات الشهر يوم ٢٩ بمطار موسكو : « انه ليس من مهمة وزراء الخارجيـــة ان يخطبوا ويلقوا الكلمات » وقالها غداة تاليفه الوزارة فى اكتوبر ١٩٧٠ « سوف نكون ضنينين بالوعود الا ما ننوى فعـــلا ونستطيع ان نفى به » وقال عن اللغات التى يجيدها حديثا وكتابة وقراءة على مستوى رفيع .. « اننى ايضا تعلمت كيف اصمت بها !! ..

لقد كان الصمت اثيرا لدى الرجل !! كان يقضى ساعات طويلة صامتا بغير كلام ، وكانت قرينته السيدة حسن شاه اسماعيل ـ التى توفيت فى ٢٧ مارس ١٩٦٨ ـ تعرف عنه هذا وتتفهمه منذ ان تزوجا سنة ١٩٣٧ .. كانت تجلس بجانبه ساعات طويلة بدون ان تنطق ـ او ينطق ـ بكلمة .. وكان اصدقاؤه المقربون ايضا يعرفون هذا .. كان يصمت وخلال الصمت يفكر ، ويتحدث مع نفسه ويكاد يتحاور مع من معه .. وكان يمشى لساعات فى حديقة بيته الصغير

محمود فوزي

آخر جيل الدبلوماسيين العظام

المختفى وسط الأشجار على حافة ترعة المنصورية يتامل البرتقال والموز والبيكان « الجوز المصرى » ، والمانجو والمشمش ، يتنفس شذى زهور التوليب التى زرعها بيديه .. يسمع شدو الطيور التى يقول عنها : أن غناء الطيور يذكرنى دائما بالاديب الصافى ، فالاديب الحق كالطائر الذى ينطلق مغرداً فى ابداع دون أن ينتظر تصفيق المستمعين !! .

الابداع اذن ينبغى أن ينطلق بغير حدود .. بغير أن يضع عينيه على « غرض ما » يتوسل منه جائزة !! فان فعل فلسوف ينال الجائزة !! لكن .. هل هذا فى الادب فقط ؟؟

كتب « الرجل » فى أوتوجراف فتاة انجليزية هرعت اليه محيية معجبة عقب القاء خطابه امام مجلس الأمن خلال مناقشاته الحامية عن حرب السويس ١٩٥٦ : « ان الحق الذى دافعت عنه .. جعلنى اكثر من مندوبكم خفة واسرع حركة » .. انه هنا يستخدم تعبير « الحركة والخفة » التى تذكرنا مباشرة بما تعلمه من المصارعة وفنون فلسفتها .. ومن نفس المنطلق كان ـ مثل قليل غيره من وزراء خارجية العالم البارزين ـ لا يعتمد فقط على تقارير السفراء ـ مع كل ثقة وتقدير لهم ـ انما يؤمن بضرورة الحركة والانتقال الى بؤر الأحداث ذاتها .. ايضا كان مرتكزا الى « الحق » يبحث عن نقط الضعف فى الخصم ليحاوره ، وينتزع منه الحق مركزا على نقاط الحساسية واضعا بحكم تجاربه وخبراته وثقافته نصوصا اضافية فى دستور العمل الدبلوماسى السياسى . وعلى سبيل المثال ، فانه خلال المباحثات المكثفة التى اجرتها الامم المتحدة ، بهدف حل مشكلة الشرق الاوسط واحداث لبنان وقتها .. وكانت باشراف داج همر شولد السكرتير العام فى اغسطس ١٩٥٨ .. اجرى « الاهرام » اتصالا تليفونيا مع وزير الخارجية المصرى بنيويورك وساله : ما هى العقبات الان ؟ .

فقال الرجل : « الكرامة .. لا يريد احد ان



الدكتور محمود فوزى عندما بلغ الرابعة والسبعين وقرر ان ينهى عمله الرسمى فى المجال الدبلوماسى الذى اعطاه كل حياته .



جمال عبد الناصر .. كانت لمحمود فوزى ذكريات معه تمثل اخصب فترات حياته ، وضمنها فى كتاب تحت النشر .

يبدو امام العالم انه كان على خطا وبذلك يظهر ان الآخرين كانوا على صواب ، كذلك لا يريد احد ان يبدو امام العالم وكانه خسر المعركة فذلك يجعل الآخرين كما لو كانوا قد ربحوا المعركة !! » .

سؤال : كيف يمكن ان نواجه هذه المشكلة ؟ .

جواب : « نحاور من غير أن نساوم .. نتمسك بالاساس ونحاول ان نترك للمرونة دورا فى الاسلوب .

هل اتضح اسلوب الرجل ؟ .

ان الحق هو الاساس الذى يتحتم التمسك به ولكن « المرونة » .. فقط فى اسلوب المعالجة ! ومن هذه المرونة تجىء المساومة لكنها ليست انتهازية كما يتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة .. ويؤكد الرجل هذا فى كلمته امام الأمم المتحدة بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ بقوله « لنكن رجالا يتسمون بالروح الرياضية حقا ، ولنحترم بشرف قواعد اللعبة مثلما ينبغى ان نراعى المبادىء الاساسية وهى تشكل القاعدة العريضة التى تنبثق منها جهودنا » ..

انها دستور للعمل الدبلوماسى وهى ايضا ـ مثل كل خطبه واحاديثه التى نتمنى ان يجمعها احد فى كتاب ـ مدرسة البلاغة . فقد احب « الرجل » لغتنا العربية وفضلها عن اى لغة اخرى وهو الذى يعرف كل اللغات الحية .. ونسمعه فى نقابة الصحفيين يقول ضمن محاضرة عن دور الفرد فى تنمية المجتمع فى نوفمبر ١٩٧٣ : « ان اللغة العربية ذات الجمال والامجاد ، لغة القرآن التى بسطت رداءها السحرى على اقوام واقوام وبهتت جوارها لغات ولغات .. لغتنا الباهرة الكبيرة .. مالها تبدو ـ الا عند قليل من الكتاب والادباء تفخر بهم وتدين لهم بالعرفان ـ مالها تبدو لدى الاكثرية منا كانها لا تصان كما يحق للحسان ان تصان ؟ . الم تشيع البريق فى مدنيات ودول ؟ ! ماذا عن دورها القادم العظيم ؟ الا نرى انها ستعبر عن حضارة عربية كبرى متالقة فى تجددها ، عميقة الجذور فى اصالتها ؟ . كم اغار اذن على هذه اللغة الحبيبة .. واعلم انكم تغارون » ؟ ! يغار الرجل على اللغة باعتبار انها ستعبر عن حضارة عربية كبرى يتوقع حدوثها غير منفصلة عن جذورها الاولى .. وهذا ليس فقط تنبؤا من « سياسى » وانما رؤية مفكر مثقف يؤمن بانه « لا يمكن ان تكون الثقافة بغير اصالة .. بغير جذور » اى يؤمن بالتزاوج بين الاصالة والمعاصرة بما يصنع الحضارة .. ويؤمن بمستقبل وطنه العصرى وامته العربية .. والذى يصنع المستقبل هو ـ أو هم ـ البشر .. ومن ثم ينبغى الاهتمام به وحل مشكلاته حتى يحقق الآمال .. وعنه نسمعه يقول فى نفس المحاضرة بنقابة الصحفيين :

« ان البشر عندنا لازالوا بحاجة صارخة إلى صحة اوفر .. وتعليم اصوب .. وتدريب اتم .. ان الزراعة تدعونا دعوة ملحة ان نفتح لها ابواب العصر الحديث ونفسح لها

الآفاق فى مصر بسينائها وسواحلها وأراضيها الأخرى ، وتعاوننا مع اخوتنا

وجيراننا فى البلاد الشاسعة العربية والافريقية الذين هم أصدقاء أوفياء فى الرخاء والشدة ..

ان البشر عندنا وفى منطقتنا العربية من خير خلق الله فى اى مكان وزمان .. معدنا وأصالة وموهبة ..

ان البشر هو الذى به وله تكون التنمية والبناء .. هو الجدير بان يكون اول من ينمى واول من يبنى » .

يعلن الرجل هنا ايمانه بالبشر وباحقيته الأولى فى ان يكون اول من تجرى تنميته وبناؤه .

كيف ؟

قبل محاضرته تلك بسنوات عدة .. قال الرجل بعض خواطره فى جلسة خاصة : « داخل كل انسان منا بذرة تحتوى على اسرار عجيبة .. بذرة لها نمو ولها شكل .. لها اوراق ولها الوان .. لها تساقط وتجدد .. لها زهور ولها ثمر .. اليس عجيبا اننا نهتم ببذور القمح ونزرعها ولا نهتم ببذرة الانسان لنعمل على تنميته وبنائه ؟ ! » .

كيف ؟

للرجل .. اذا شئنا .. كلام كثير قاله فى مناسبات متفرقة ومنه ضرورة البدء بالاهتمام بالانسان فى مراحل الطفولة بتوفير الرعاية الصحية والغذائية والنظم التعليمية .. ثم تمشيا معه الى مرحلة الشباب .. ويقول فى حوار مع « محمد حسنين هيكل » نشر فى الأهرام اول نوفمبر ١٩٧٠ بعد توليه رئاسة الوزارة .. وهو الحديث الصحفى الوحيد له : اننى لا احب تعبير « اننا سننزل الى الشعب » .

افضل عليه « اننا سنتلاقى مع الشعب » ولا احب تعبير « اننا سننظم الشباب » افضل عليه تعبير « اننا سنتلاقى مع الشباب » .

« ان ثلاثة ارباع هذا اليوم ملك للشباب .. والغد باكمله ملك للشباب .. وهم أصحابه بغير شريك . اننا نقول احيانا .. ان الشباب تعوزه التجربة ولكنى اقول ان هذه ميزة ليست نقصا .. انهم على الأقل ، ليسوا مكبلين ومختنقين بهذه التجارب التى تثقل الكواهل ، وانما هم متحررون وبالتالى منطلقون ..

والشىء الاخر ان الشباب بالطبيعة الزمنية والروحية اكثر منا مقدرة على لمس زمانه وأن ترى بصيرته من صور المستقبل وان تتسع اذانه من صوت المستقبل .. مالا نراه ولا نسمعه نحن الذين كنا هنا قبله فى عصر غير العصر وزمان غير الزمان » .

وتنفيذا لسياسته بدأ بجولة فى موقع الشباب ومنها زيارته لمدرسة شبرا الثانوية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ التى قال خلالها : انه اذا كان اليوم ثلاثة ارباعه ملك للشباب .. فان الغد كله ملكه .. وعلى اكتافكم سوف يبنى الوطن .. لقد لقيت فى معهدكم ما كنا نتطلع اليه هو الربط بين نظرية العلم والتطبيق العملى له . وبلادنا فى حاجة قبل كل شىء الى التطبيق وإلى الانتاج » .

هكذا تبدو نظريات الرجل فى العمل الداخلى برغم ما يبدو من استغراقه فى المشاكل الخارجية .. وهو فى ذلك له راى

نكره فى مرحلة مبكرة .. فى أوائل عام ١٩٥٣ .. « ان السياسة الداخلية هى التى ترسم السياسة الخارجية » .

● ●

كان عام ١٩٥٣ قد اصبح ومنذ سبتمبر من العام الذى سبقه وزيرا الخارجية مصر اذ اختارته ثورة ٢٣ يوليو فور قيامها سفيرا فى لندن ثم استدعته ليتولى المسئولية الوزارية بعد شهرين .. وقبلها كان قد قطع مشوارا طويلا منذ ان سافر لليابان سنة ١٩٣٠ ان نقل بعد طوكيو ليصبح سكرتيرا أول للمفوضية المصرية فى باريس ثم عاد عبر البحر المتوسط ليكون قنصلا فى القدس سنة ١٩٤١ ثم قنصلا فى اديس ابابا ليعبر البحر والمحيط مرة أخرى إلى واشنطون مستشارا فى سفارتنا هناك ثم مندوبا لمصر فى الأمم المتحدة ١٩٤٦ ثم بعد ثلاث سنوات مندوبا دائما فى مجلس الامن وظل يشغل موقعه هذا الى ان قامت الثورة .. ليصبح سفيرا فى لندن ثم يجىء إلى القاهرة .. ليصبح وزيرا للخارجية .. وليمارس اخصب فترات حياته كلها ..

ولقد كان له ــ مثلا ــ دور بارز فى محادثات جلاء القوات البريطانية عن مصر سنة ١٩٥٤ ضمن وفد مصر برئاسة جمال عبد الناصر .. وكان له دور فى الضجة العامة التى تلت كسر احتكار السلاح بالصفقة التى عقدتها القاهرة مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ .. ووقتها قال « الرجل » تعبيرا عن الحاجة الى القوة لا للقتال وانما دفاعا عن الحق .. « هات القوة وتفاوض .. هات القوة وتكلم » ويعنى نلك بالطبع انه بدون قوة لا تجدى مفاوضات ولا يثمر الكلام !

وكان له دوره العظيم فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن بعد ان اعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .. ثم خلال العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه انجلترا وفرنسا واسرائيل ضد مصر فى ٢٩ اكتوبر من نفس العام .. ثم محادثات التسوية بعد ذلك .. وبسبب مكانة هذه الأحداث التى عرضت باسم « حرب السويس » وقدرها فى التاريخ السياسى والعسكرى فى العالم ، إذ كانت الحد الذى انتهت عنده توسعات الامبراطورية البريطانية وسحبت قوتها شرقى السويس وفقد الأسد البريطانى اسنانه وذيله الى الأبد .. كما كانت البرهان العملى لكيف تقف دولة صغيرة ضد دول عظمى .. وكانت الضوء الأخضر لدول العالم الثالث لكى تنتزع استقلالها وحريتها وتسيطر بنفسها على مواردها وثروتها وتبحث جميعا عن صيغة لتحالف مشترك غير منحاز .. وكانت بداية تحرير بقايا الأمة العربية المحتلة .. ثم وبسبب اسرار هذه الحرب منذ معاهدة سيفر ــ احدى ضواحى باريس ــ الى اعتزال ايدن للسياسة والى غير ذلك من الخبايا .. فان مئات الكتب قد صدرت عن « حرب السويس » واذا كانت مذكرات سير انطونى ايدن ــ رئيس حكومة بريطانيا وقتها ــ هامة .. فان وزراء خارجية الدول المشتركة فى الحرب قد كتبوا الأسرار ــ من وجهة نظرهم ــ عدا « الرجل » لقد كتب كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا .. وكتب سلوين لويد وزير خارجية انجلترا .. ومن اسرائيل كتب بن جوريون وديان لكنه هو .. وزير خارجية مصر لم ينشر بعد ! لذلك فان الرجل عندما تخلى عن العمل الرسمى سنة ١٩٧٤ .. عكف على اعادة ترتيب اوراقه وبدأ يكتب مذكراته .. وهى ليست مذكرات بالمعنى التقليدى وانما قسم الاحداث الى موضوعات .. وبالفعل كتب ثلاثة كتب الآن تحت يد ابنه يستعد لنشرها :

● « رحلة مسافر » .. يضم مذكراته عن الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٥٢ .

● « وهنا قامت الثورة » .. يتحدث فيه عن ذكرياته مع جمال عبد الناصر واحداث مصر والعرب وزعماء العالم منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ اى وقت رحيل عبد الناصر .

● « حرب السويس » .. عن حرب ٥٦ الشهيرة .

● ●

من ادواره البارزة ايضا .. تلك المواقف التى هز بها المجتمع الدولى خلال احداث ١٩٥٨ عندما نزلت قوات مشاة الأسطول الأمريكى فى لبنان .. والقوات البريطانية فى الاردن ..

واحداث الثورة الجزائرية التى اشتدت فى ذلك العام .. ونادى « الرجل » من فوق منبر الأمم المتحدة داعيا الى الحرية .. الى السلام قائلا :

محمود فوزي

« ان السلام يجب ان يقوم على اسس راسخة ولا يمكن ان يتم ذلك بالمشي على حبل مشدود فوق الجحيم مثلما يحلو للبعض ان يفعل .. كرياضة او كهواية ! كذلك فان السلام لا يمكن ان يتحقق بالمسكنات والمهدئات أو بمجرد وجود الالتزامات » !

وفى سنة ١٩٦١ .. بالتحديد ١٨ اكتوبر .. كانت الامم المتحدة تناقش المشكلة المزمنة وهى نزع السلاح ، والحد من التجـــارب الذرية .. ووقف : « الرجل » فى جراة يقول :

« ان الامم المتحدة يجب أن تتخذ اجراء ما والا اصبحت مجتمعا خاملا عـــديم الجدوى ، ويثقل نفسه بمناقشات لا اهمية لها ! فلقد طالت الكلمات واصبحت مملة .. واسهب المتحدثون فى بيانات يكررون بهـا انفسهم دون أن يحمل احدهم نفسه مشقة دراسة المشكلات قبل ان يقف ليتحدث ! » .

هكذا كان واضحا وجريئا يعبر عن رأيه باقصر الطرق .. برغم رقته .. برغم صوته الهادىء جداً .. الوقور .. المتزن .. وهو بالنسبة لنبرات الصوت سواء فى الخطابة او حتى فى الكلام العادى .. له راى يقول : « ان من الأصوات ما يشجى ويطرب ويريح ، ومن الراى ما يطعم النفس من جوع ويرويها من عطش ويقنع ، ومن الحركة مـــا هـــو ـ بحق ـ بركة .. ومنها ما يفضله السكون !

ان الصياح ليس حجة ، وان النوبة العصبية ليست رأياً .. وان حمل السلم بعرض الطريق ليس هو أسلوب السير الى الأمام ! » فى تلك الفترة ـ حتى لا ننسى ـ كانت الوحدة قد قامت بين مصر وسوريا وظل الرجل وزيراً مركزياً للوحدة وفى ٢٤ اكتوبر ١٩٦٢ عين عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى وفى ٢ اكتوبر ١٩٦٥ عين نائبا لرئيس الوزراء للشئون الخارجية وظل محتفظا بنفس مكتبه فى مبنى وزارة الخارجية المطل على ميدان التحرير .. وفى ١٩ يونيو ١٩٦٧ عين مساعدا لرئيس الجمهورية للشئون السياسية ، على أن يحضر اجتماعات مجلس الوزراء لكنه استأذن فى عدم الحضور بشكل مستمر وكان له ما أراد .. وفى ٥ مايو ١٩٦٨ عين رئيسا للجنة المشرفة على انتخابات الاتحاد الاشتراكى .. وفى ١٩٦٩ اختير امينا للجنة وضع مشروع الدستور حيث عكف على هذه المهمة وجمع الدساتير المصرية السابقة ودساتير العــالم للاسترشاد بها .. ثم .. وفى ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ صار رئيسا للوزراء وبعد توليه المسئولية بايام قال « للاهرام » (اول نوفمبر ١٩٧٠) « نحن لا صفة لنا الا اننا خدام هذا الشعب واذا انتفى عنا ذلك فلا صفة لنا » ..

ذلك سوف يكون تصرفى ازاء كل ما يجب أن لا يحدث . وسوف يكون تصرفى ، ازاء كل ما يجب ان يحدث .. وسوف افعل ذلك باعلى صوت لأننى لا احب «الوشوشة» وقال معلنا بنفس الصراحة : « ان امامنا اشياء ثلاثة : المعركة، ثم مشاكل الرجل العادى، ثم ضرورات المستقبل .. »

وبدا يتحدث عن مشاكل الرجل العادى .. الرجل كائنا من كان ، مقتبسا هذا التعبير من جمال عبد الناصر ، منفذا وصاياه ولذلك فقد كانت مشكلة عمال التراحيل .. اول وعد تقدمت به وزارته ، ايضا كان اهتمامه ـ الذى اشرنا اليه ـ بالشباب .. وبالبشر وهو فى ذلك يقول « ان أنفع استثمار هو استثمار الانسان . واستثمار الانسان مستحيل بغير التعليم والصحة » .

التعليم والصحة .. كانتا مثل غيرهما من ضمن « ضرورات المستقبل » وهو يقول أن « لا كرامة بغير قوة » و « العالم المتقدم عملاق .. عضلاته قوية وعقله جبار .. وذلك متاح له بالعلم واذا لم ننتبه فقد يدوسنا وهو لا يشعر ! وهذا اسوا لانه يضيف الاهانة الى التهديد .. » ويقول : « ان الصحة انتاج من اجل التقدم » .

ويضع تصوراته فى فلسفة مختصرة « إن صراع الحياة كله يتلخص فى عبارتين : ان نشد المستحيل لنجعله ممكنا،وان نشد الممكن لنجعله واقعا . وحتى نفعل هذا لابد من الاساليب العلمية الحديثة .. ولابد مثلا من « تقليل كمية الضائع من حياتنا او العادم » كما يقول المهندسون . اما المعركة .. وبناء القوة ودورها واهميتها فقد عبر عن ذلك فى ٩ ديسمبر ١٩٧٠ عندما ذهب يلتقى بالمقاتلين فى الجبهة .. قال :

« سر بالكلمة اللينة والعصا الغليظـة فانك ستسير كثيراً .. وهذا معناه انه بدون العصا لن يكون للكلمة اى صفة .. لابد من سند للكلمة وسندها هو القوة الرادعة . القوة المقنعة ونحن لا نخشى شيئا .. اذ لا قيمة للحياة مع المذلة » وقال : انه ليس لدينا خيار فى خوض المعركة .. لكن لدينا التصميم والفكر لخوضها » .. وعاهد المقاتلين على خط النار الاول بنفس ما يؤمن به دائما « ان الصراحة هى العملة الوحيدة التى نتعامل معها » . واجرى « الرجل » تعديلين فى وزارته .. فى ١٥ مايو ١٩٧١ .. ثم فى سبتمبر من نفس العام .. وفى يناير التالى ترك المنصب ليصبح نائبا لرئيس الجمهورية .. وفى صباح يوم ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ قدم كتاب استقالته الى رئيس الجمهورية :

« ارجو ـ والسنون اكثر مما رجوت منذ الثالث من اكتوبر عام ١٩٧٠ ـ ان تاذن لى بانهاء كل عملى الرسمى والاتجاه الى سواه فى وقت لا يعدو الثامن عشر من سبتمبر القادم حين اكون قد بلغت ـ بحمد الله ـ الرابعة والسبعين وأمضيت فى العمل اكثر من خمسين عاما . وانى اذ افسح المجال لمن هم اوفر منى عافيه واقدر على حمل رسالة العمل الرسمى المقبل الكبير فى ظروف النصر الجديدة » .

وفى ١٨ سبتمبر ١٩٧٤ .. كان له ما اراد ... وفى ٢٣ اكتوبر ١٩٧٤ .. وفى مجلس الشعب امام ممثلى الشعب تسلم بعض تكريم الدولةله « قلادة النيل » ارفع الاوسمة .. وبعدها عاد الرجل الى بيته الصغير على ترعة المنصورية .. البيت الذى خلا منذ سنوات برحيل الزوجة التى انطبق عليها قوله هو ذات مرة .. « ان وراء كل عظيم امراة .. فاضلة » نعم .. ليست مجرد امراة وانما فاضلة .

منذ رحيلها ظل يعيش فى البيت بمفرده مالكا كل وقته لاول مرة فى حياته وكم كان يود لو شاركته الرحلة .. لو شاطرته هذا الوقت .. لو جلسا معا ـ كما كانا ـ يتحدثان .. تناديه ـ كما تعود « محمود » ويناديها ـ كما تعود ـ « حسن » .. ويسيران بين الاشجار وتحت اغصانها يسمعان شدو الطيور لكنها راحت .. !

وثقلت عليه الأيام .. واشتد المرض .. وسافر الى لندن للعلاج .. لكنه ومثل كل مرة سافر فيها .. كان يخرج عن طبيعته الهادئة ويطلب فى الحاح وصياح العودة إلى مصر .. وعندما عاد هذه المرة ـ وبضغط الاطباء المعالجين ـ نقلوه من الطائرة الى مستشفى دار الشفاء بحي العباسية فى القاهرة .. ومنذ أن وصل اليها اخذ يلح طالبا مغادرتها والعودة الى بيته الصغير وسط الأشجار ..

لقد كان يريد أن يسبق الزمن .. يريد ان يفرغ من كتاب جديد لم يبدأ فيه الا بضع صفحات متناثرة كتبها سرا واخفاها بعيدا عن كل عين ولم يتحدث عنها مع أحد .. كتاب عن الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى ١٩٨١ اى منذ رحيل عبد الناصر ، وماذا حدث بعده ؟ وكيف جرى الصراع على السلطة وماذا فعل خلال حكم أنور السادات ورايه فى حرب أكتوبر وما أعقبها وغيرها .. لكنه لم يسبق الزمن بل صرعه الزمن ! وخيم الصمت على بيته وسط أشجار المنصورية ..

الآن .. توقف شدو الطيور ! الآن .. ذبلت زهور التيوليب ! .. لقد رحل صاحب البيت .. ذهب « محمود » يلتقى مع « حسن » بعد طول فراق !

محمود مراد

إلى الزنبقة الغائبة

شعر : م . كجراي

الخرطوم

وهانذا يا حبيبةَ قلبى أهزُّ الجدارْ
واكتبُ اغنيةً عن بريق الشموسِ
تسلّلَ من خلف نافذتى رغمَ كل الحصارْ
يحدثنى من ثُقُوب النّهـــارْ
عن الموتِ والليلِ
عن خطواتِ الذبولِ وعن ساعةِ الاحتضارْ
تجرّعتُ حتى الثمالـة كأسَ أسَايا
وجئتُ إلى الشّاطىءِ السندسىِّ اقصُّ الحكايَا
أرى اليومَ موتَاىَ حين يطلّون من قلبِ كلِّ المرايا
على دربكاليوم يختلطُ الوردُ والدّمُ والنارُ
والاغنياتُ الأناشيد تبعثُ من خَنْدقٍ ضمَّ كلَّ الضحَايَا
وفى ساحلِ الذكريات الطويلْ
أصافحُ صوتكِ
أوّاهُ صوتك سيدتى مثلما كانَ قبل الرحيلْ
وهانذا مثل هام النخيلْ
إذا ما اشرأبَّ كقامةِ شيخ دهتْهُ الخطوبُ
فمدَّ العيونَ لعلَّ الصبَاحَ
يجىءُ على فرسِ المستحيلْ
لعل المواويل تَنسجُ اغنيةً لِلَهاةِ الكنّارْ
فينطلقُ الشجْوُ فوق رؤوسِ النخيلْ
وعَبْرَ رئاتِ القَمارى
مُغَنّيك قلبى على ساحةِ العِشْقِ والانتظارْ

فلا العنكبوتُ يقيدنى بالشراكِ ،
ولا الريحُ تعرفُ كيفَ تصيحُ لتعلنَ عن إنكسَارِى
مغنيك سيدتى
صوتُه يتهيّج فى دعوةٍ مستجَابَةْ
يسير على هذي صوتكِ
لا يتلفتُ للزيفِ يعبر كلَّ خُطوط الغَرَابَةْ
وجاء البريدُ ، قرأناهُ فى لغة المطرِ المتساقِطِ
يا للبريدِ يفاجؤُنا حين تهمى السّحَابَةْ
رسالَة برقٍ تراقص فوقَ الحقولْ
وَعِينَا تفاصيلَها إذ تقولْ
هو الرعدُ يهدرُ فوقَ البرارى
فيمطرُ سهْلاً ويحرقُ غَابَةْ
فيا وجْهَ سيدتى القمرىّ
دفنْتُ مع الليلِ خارطةَ للكآبَةْ
فكلُّ الحروف تؤدّى الى ارضِ قيْصَرَ
ما عادَ قيصَر يملؤ ثوبَ المهابَةْ
اقول لسيدتى دفترى عربىٌّ الكتابَة
وهانذا يا حبيبةَ قلبى أهُزُّ الجدارْ
واكتبُ اغنيةً عن بريقِ الشموسِ
تسلّلَ من خلفِ نافذتى رغمَ كل الحَصَارْ
لعَلّى أراكِ
تُطلّين زنبقةً كجبين النهارْ .

أغطية الرؤوس في العالم العربي

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام



يعد العالم العربي ـ بمساحاته الشاسعة ، واطرافه المترامية ـ من اثرى مناطق العالم بالأزياء المتنوعة ، التى تعكس الظروف الجغرافية والمناخية المتباينة لاقاليمه ، والرواسب التاريخية المتاصلة فى وجدان شعوبه ، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية بالشعوب الاخرى المجاورة لهم .

ولو اننا تصورنا متحفا يضم نماذج من هذه الأزياء جميعا ، لاستاثرت بانتباه زائريه ـ بوجه خاص ـ اغطية الرؤوس العديدة ، بانواعها واشكالها والوانها المختلفة ، التى يعبر تباينها عن الانتماءات الاقليمية والعرقية ، والدينية والمهنية للابسيها ، فضلا عن مستوياتهم الاجتماعية والعلمية والوظيفية .

وفى السطور التالية ، سنعرض أمثلة لأكثر اغطية الرؤوس انتشارا فى انحاء العالم العربى ، فى زمننا الحاضر ، مع التاصيل التاريخى لكل منها .

العمـــــامة

العمامة ـ بغير شك ـ اكثر اغطيـــة الرؤوس انتشارا فى العالم العربى ، فهى ـ بعكس الكوفية والعقال ، او الطربوش ـ مثلا ـ لا يقتصر استخدامها على مناطق منه دون أخرى . إذ لا تخلو دولة عربية من لابسى نوع او اكثر من انواع العمامة . ولا عجـــب فى ذلك ، فالعمامة ـ بـدون جدال ـ أعرق البسة الاجداد حتى رددت ماثوراتهم (العمائم تيجان العرب) . وقد نسب ذلك القول الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتحقق العمامة للابسها فوائد كثيرة . وقد ذكروا العمامة عند ابى الاسود الدؤلي فقال : « جنة فى الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفاة من العر ، ووقار فى الندى (اى مجلس القوم ومتحدثهم) ، وواقية من الاحداث ، وزيادة فى القامة . وهى بعد عادة من عادات العرب » .

وقيل لاعرابى : « إنك لتكثر لبس العمامة » ، قال : « ان شيئا فيه السمع والبصر ، لجدير ان يوقى من الحر والعر » .

وكان سعيد بن العاص يقـــال له « ذو العمامة » لانه إذا جعل على راسه عمامة ، لم يلبس قرشى مثلها ، حتى ينزعها .

وقيل ان ذلك اللقب لزم سعيدا كناية عن السؤدد ، وذلك ان العرب تقول للســـيد « فلان معمم » يريدون ان كل جناية يجنيها الجانى من عشيرته ، معصوبة براسه .

وكان بعض فرسان العرب ، يميزون عمائمهم ـ عند القتال ـ بعلامات خاصة .



وكان حمزة يوم « بدر » معلما بريشة نعامة حمراء .

وكان لبس العمائم وخلعها عن الرؤوس فى المناسبات المختلفة ، يخضع لآداب خاصة ، أوضحها « ميخائيل عواد » فى مقالين احدهما بالعدد ٤٥٣ من مجلة الرسالة (سنة ١٩٤٢) والأخرى بالعدد ٢٨٥ من مجلة الثقافة (سنة ١٩٤٤) .

وقد تطورت أشكال العمائم عبر العصور المتتالية . وأشار الجاحظ فى كتابه (البيان والتبين) إلى اختلاف اشكال العمائم فى عصره ، باختلاف الطوائف والطبقات الاجتماعية .

ومازالت لأشكال العمائم والوانها ـ حتى الآن ـ دلالاتها المتعددة ، على انتماءات اصحابها ، فى كثير من اقطار العالم العربى ، بحيث يمكن الاستدلال بها على مواطن لابسيها ، اى ما إذا كانوا من ابناء إقليم معين (اى من ابناء المناطق الجبلية أو الصحراوية او الساحلية) كما يمكن الاستدلال بها على اجناسهم ، اى ما إذا كانوا من اصول عربية خالصة ، ام عناصر اخرى تشاركهم اوطانهم ، بل وعلى قبائلهم ، وعقائدهم الدينية ، ومهنهم ، ومراكزهم الاجتماعية ، وربما على امزجتهم واهوائهم الشخصية ايضا .

ويكفى ان نذكر ان من أسماء اللغات المختلفة للعمائم التى عرفت فى العراق وحده ـ على سبيل المثال ـ اللغة الجراوية واللغة العصفوية ، واللغة الشيلاوية ، ولغة العدام (او القلماوية) ، واللغة الهداوية ... واللغة الفضلاوية ، واللغة المسماة (بى لغة) . وكان لكل من تلك اللغات دلالتها الخاصة .

وفى بعض الأقطار العربية يمكن التمييز بين الشريف الحسنى والشريف الحسينى ـ مثلا ـ من لون عمامته ، كما تستطيع التمييز بين اتباع الطرق الصوفية من الوان العمائم ايضا . فالعمامة الحمراء للأحمدى ، والخضراء للسعدى ، والبيضاء للشاذلى ، والسوداء للرفاعى .

كما يتميز الميرغنية والنقشبندية والتجانية ، بعمائم ذات أشكال خاصة .

والملاحظ أن احجام العمائم ، قد تضاءلت كثيرا ـ فى عصرنا هذا ـ مع تضاؤل احجام اللحى .

ويفهم مما ذكره كلوت بك فى كتابه « لمحة عامة إلى مصر » ان عمائم العلماء كانت ـ فى أوائل القرن الماضى ـ تتميز بالضخامة ، ويتكون منها حول رؤوسهم ما يشبه الكرات العظيمة . كما كان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير او الحرير الموصلى ، يهبط منه طرفان احدهما يمس الصدر ، ويبقى معلقا امامه من ناحية احد الكتفين ، ويمس الثانى الكتف الأخرى . وكانت تلك العمائم الضخمة ، تسمى الواحد منها (المقلة) .

وقد شجعت ضخامة تلك العمائم ، على استخدام طياتها فى حفظ بعض الوثائق والأدوات الخاصة .

ويروى محمد سعيد القاسمى فى كتابه الذى نشر بعنوان (قاموس الصناعة الشامية) واقعة فى ذلك ، قال فيها :

- وحدثنى بعض أصفيائنا الأفاضل ما معناه انه ابصر فى وسط القرن الماضى رجلا فلاحا من اهالى التل « وهى قرية من قرى الشام » كان يتعمم بعمة كبيرة ، وانه مرة أراد أن يظهر صكا فى بيع او مشترى قال : فانزل من قمة راسه عمته ـ التى هى كالبرج ـ إلى الأرض ، واخذ يفتش فى ثناياها عن الصك ، فاخرج من الثنية الأولى أوراق الميرى ، ومن الثانية أوراق الذمم على اهل البلد ، ومن الثالثة مشطا ، ومن الرابعة الصك المفتش عنه ، مع صكوك وحجج اخرى) .

وعلق على ذلك قائلا : « فكانت عمامته كانها خزانة أوراق ، او صندوق الحوائج » .

كما ذكر ان لف تلك العمائم ، وفق الأشكال المطلوبة ، ذات الدلالات المختلفة كان يحتاج إلى دراية خاصة ، وكان هنالك اناس متخصصون ، يرتزقون من ذلك .

وكان بعض المتعممين من العلماء

أغطية الرؤوس في العالم العربي

والاعيان ، يحتفظون فى منازلهم بحوامل خاصة ، توضع عليها العمائم عند خلعها ، صونا لها ، وكان ذلك الحامل ـ الذى يسمى (كرسى العمامة) ـ يعد من أهم الادوات التى يضمها جهاز العروس .

وكانت العمامة ، ولا تزال ـ تحظى بقدر من الاحترام ، يفوق ما تحظى به غيرها من اغطية الرؤوس . ولذلك فان هناك شعورا راسخا ، بمسئولية المتعممين عن الحفاظ على المعنى الكريم الذى توحى به ، او ترمز إليه ، العمامة .

ولذلك فقد اعتبروا سقوط العمامة عن راس الرجل ، مخلا بكرامته ، واعتبروا نزعها عنوة ، أو إلقاءها على الأرض ، من الاهانات الشديدة ، التى لا تغتفر .

وقد حكى المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين ـ الذى عاش فى القاهرة فى اوائل القرن الماضى ، واقعة طريفة رويت له . وهى : « ان عالما سقط من فوق حماره فى شارع من شوارع المدينة ، وقدتدحرجت العمامة بعيدة عنه ، فتجمع المارة واخذوا يجرون وراء العمامة ـ وقد تركوا صاحبها ـ صائحين : (ارفعوا تاج الاسلام .. ارفعوا تاج الاسلام » . فصاح يناديهم مغتاظا : « انهضوا اولا شيخ الاسلام » .

وحدثت فى لبنان سنة ١٩٣٢ واقعة من اروع وقائع الثار لكرامة العمامة . فقد كلف بعض خصوم السيد عبد الحميد كرامى زعيم طرابلس ومفتيها فى ذلك الزمن ، احد الشبان بالاقدام على عمل يستهدف تحقيره واهانته ، فتربص له ذلك الشاب ، حتى باغته ، عند ترجله من سيارته ، وانهال على راسه ضربا ، حتى اسقط عمامته على الأرض .

فسارع السيد عبد الحميد بالتقاط عمامته وتسويتها اولا ، ووضعها على راسه ثم اخرج مسدسه ، واطلق الرصاص على ذلك الشاب ، فارداه قتيلا على الفور ، وتوجه إلى دار الحكومة ، حيث اطلع المسئولين على المسدس ، وروى لهم ما حدث .

وتقديرا للاهانة الخطيرة التى استهدف لها ، اكتفت المحكمة بحفظ القضية ، وتكليفه باداء الدية فقط .

غير ان مكانة العمامة ـ كزى لموظفى الدولة ـ بدات تتضاءل ، عندما قرر السلطان محمود الثانى العثمانى ، ان يستبدل بها الطربوش ، فى الوظائف العسكرية ثم الدينية ، وقمعت كل محاولة للتردد فى تنفيذ ذلك القرار ، او الاعتراض عليه .

ويروى ان رؤوف باشا والى دمشق ، شوهد متعمما ، عندما خرج على راس موكب الحج اميرا عليه فى سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧) م ، ثم صدر الامر باستبدالها بعد ذلك ، فاستجاب له ، وشوهد عند عودته ، وهو يلبس الطربوش .

وكانت من أشد الحملات التى استهدفت لها العمامة فى عصرنا هذا ، تلك التى شنها طلاب دار العلوم بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ عندما اعلنوا تمردهم على زيهم الشرقى ، فعارضتهم الحكومة ، وخاصة بعد ان اعتصموا بالدار فى زيهم الجديد ، وقد استبدلوا الطرابيش بالعمائم ، وكلفت الشرطة باجلائهم عنها ، ولكن دعوتهم انتصرت فى النهاية .

وذكر الشيخ عبد العزيز البشرى فى مقال له بالعدد الصادر فى ٩ مارس سنة ١٩٢٩ من صحيفة (السياسة الاسبوعية) انه لم يعد باقيا من الطلاب المحتفظين بعمائمهم فى دار العلوم ، سوى ثلاثة او اربعة ، وان تلك الدعوة قد بدات تمتد إلى القسم العالى بالازهر ايضا .

وكان الشيخ على عبد الرازق صاحب كتاب (الاسلام واصول الحكم) فى مقدمة من هجر العمامة ، من علماء الازهر ، وكتب فى عدد ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ من (السياسة الاسبوعية) رسالة بعث بها من باريس ، يناجى فيها عمامته ، ويعتذر لها عن تركه إياها ، ذاكرا اسباب ذلك .

وبرغم تخلى الكثيرين من خريجى الكليات والمعاهد الدينية عن العمائم ، فاننا نستطيع ان نحصى فى مصر ـ وفى غيرها من الأوطان العربية العشرات من انواع العمائم ، ذات الأشكال والالوان المختلفة ، التى تعكس كل منها دلالة خاصة .

الشاشية والطربوش

ونذكر الشاشية والطربوش معا ، لان الشاشية ليست سوىحلقة متقدمة ، من حلقات التطور التاريخى للطربوش . ونقصد بالشاشية غطاء الراس الشائع الآن فى دول شمال افريقية ، وهى اشبه بالطربوش الاحمر القصير ، الذى يتعمم عليه علماء الأزهر فى مصر ، مع استبعاد الزر . وقد يطلق عليها فى الصحراء الغربية بمصر (الشنه) .

وما زال شيوخ القبائل العربية فى مصر الذين تمتد اصولهم وروابطهم القبلية عبر حدودها الغربية ، يتخذونه زيا مميزا لهم ، مع احتفاظهم بزره الأزرق الكثيف ، ودون التعمم عليه .

وقد ورد ذكر (الشاشية) كغطاء خفيف للراس ، فى مصادر ترجع إلى عصور الدولة العباسية على الاقل ، وهى تنسب لغويا إلى نسيج (الشاش) الذى كانوا يتعممون عليها به احيانا . وينسب هذا النسيج بدوره إلى بلدة فى اقصى الشمال ، اشتهرت فى الشتاء ببردها القارص .

غير انه لا يوجد ما يؤكد تماثل الشاشية التى ذكرت فى تلك المصادر ، والشاشية المستخدمة الآن فى دول شمال افريقية .

وقد ذكر روجيه لوتورنو فى كتابه (فاس فى عصر بنى مرين) ان الصناع الاندلسيين ، الذين وفدوا على مدينة فاس هم الذين نقلوا إليها صناعة الشاشية فى هيئتها الحالية ، التى عرفت اولا فى بلادهم ، ثم انتشرت من فاس الى غيرها من انحاء العالم الاسلامى ، فنسبت إليها ، وعرفت بالانجليزية باسم (فيز) ، وفى بعض البلاد العربية باسم (فيشة) .

والواقع ان صناعة الشاشية التى ظهرت فى تونس عن طريق الصناع الاندلسيين ايضا ، لم تكن اقل ازدهارا منها فى فاس .

ويذكر محمد بيرم التونسى فى كتابه (صفوة الاعتبار) ان والى تونس فى القرن الماضى كان يلبس فى المواكب الرسمية شاشية مركبا عليها ثلاثة نياشين كبار من الذهب ، على هيئة اوراق النبات ، وبوسطها ترصيع من الياقوت الابيض .

ويرى العلامة المغربى عبد العزيز ابن عبد الله ان الزر الأزرق الذى يتدلى من مؤخرة الشاشية ـ وقد اسماه الشوشة ـ لم يعرف بالاندلس قبل العصر الذى تفشت فيه محاكم التفتيش ، عندما اجبر الأسبانيون العرب الذين ارغموا على التنصر ، بان يتميزوا بعلامات زرقاء .

كما يرى القاسمى فى (قاموس الصناعات الشامية) ان الزر ـ وقد سماه الطرة ـ كان فى الأصل طويلا وعريضا جدا ويتدلى على الرقبة والكتفين (وكانت الحكمة منه ـ كما ذكر البعض ـ وقاية فقرات القفا من اشعة الشمس ، ولسع

الرياح ، ثم تضاءل حتى صار حليـــــة للطربوش .

اما جورجي زيدان فيقول فى تأصيل زر الطربوش فى مقال له عن (تاريخ الأزياء الشرقية) نشر بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة (الهلال) انهم لبسوا الطربوش – فى البداية – مجردا ، ثم تعمموا عليه . واستعاضوا بعد ذلك عن النسيج الذى كانوا يتعممون به على الطربوش بكساء من الخيوط الخضراء كالشراريب ، تعلق فى قمته ، وترسل إلى دائرة ، تغطيه لمجرد الزينة ، ثم حسروا ما يهبط إلى الجبهة من تلك الشراريب ، لئلا تضايق اللابس ، وجعلوها سوداء فاصبحت الشراريب تحيط بالطربوش من كل جهاته الا الأمام ، ثم ضموا الشرابة ضمة واحدة ، وهى الأمر المعروف .

ونشر مع المقال صورة لقائد عثمانى يدعى رشيد باشا ، وهو يلبس طربوشا ذا شراريب من الخلف ، من تلك التى تمثل – فى رأيه – مرحلة سابقة ، للشكل الحالى للزر .

ويقال فى تأصيل اســــــتخدام تلك الشاشيات المغربية فى الدولة العثمانيـة والمشرق العربى ، ان محمد خسرو باشا وزير الحربية العثمانى ، عاد من احد أسفاره فى شمال افريقية ، ومعه عدد من الجنود التونسيين ، وعلى رؤوسهم ذلك الزى ، فاعجب به السلطان محمود الثانى – وكان يبحث عن غطاء رسمى ملائم للراس ، ليستبدله بالعمامة – فاصدر امره بتعميمه فى الجيش سنة ١٩٢٤ ، بعد ان حصل على فتوى بجواز ذلك من المشيخة الإسلامية ، وكلف احد رجاله – وهو كاتب زادة مصطفى افندى – بشراء ٥٠ الف شاشية من تونس ، كما عهد إليه بانشاء اول مصنع للشاشيات فى الأستانة ، واستعان فى ذلك بخبراء من تونس وفاس ، وعرف ذلك الزى باسم (السربوش) اى (فوق الراس) او (غطاء الراس) ثم اشتهر باسم (الطربوش) .

وتطور شكل الطربوش ، من هيئته الأولى – اى ما كان يسمى (الطربوش المغربى) الذى يتعمم عليه الآن علماء الأزهر – حتى اتخـــذ شكله الأخير الأسطوانى الطويل فى عهد الســــــلطان عبد العزيز ، الذى تولى الخلافة سنة ١٨٦١ هـ . فعرف باسم (الطربوش العزيزى) ، واشتهر خطا انه زى تركى ، بينما هو ينتمى – فى الحقيقة – إلى اصل عربى اندلسى .

ولم يكن إسم (الطربوش) جديدا على اللسان العربى ، إذ كان يعرف فى الشرق العربى – قبل ظهوره بشكله الأخير – غطاء اخر للراس يسمى (طربوش دلخ) كان يصنع من نسيج احمر ، إلا انه يتجاوز نصف الذراع طولا . وكانوا يتعممون عليه احيانا .

كما ورد اسم (السربوش) – كغطاء للراس – فى قصص الف ليلة وليلة ، وفى كتابات عربية اخرى ، ترجع إلى العصر العباسى ، ككتاب (بدائع البدائه) لعلى ابن ظافر الأزدى ، الذى ذكره فى واقعة جرت فى اوائل القرن السابع الهجرى .

وكانت مصر من اوائل البلدان التى استبدلت الطربوش بالعمامة . ويذكر كلوت بك فى كتاب (لمحة عامة إلى مصر) ان ابراهيم باشا ابن محمد على باشا كان اول من لبس الطربوش ، فاقتدى به كبــــــار الموظفين والأعيان ، ثم جعل الزى الرسمى للجيش النظامى عند تشكيله فى سنة ١٨٢٣ ، وانشىء فى العام التالى اول مصنع مصرى للطرابيش فى بلدة (فوة) بشمال الدلتا ، استعين فى انشائه وتشغيله بخبير تونسى يدعى محمد المغربى .

وقد تقاطا انتشار الطربوش فى المشرق العربى ، حتى امر ابراهيم باشا – عند احتلاله لبلاد الشام – الأمير بشير الشهابى وافراد اسرته بلبسه فى سنة ١٨٣٨ ، فاستجابوا له ، واقتــــــدى بهم الكثيرون ، ثم لم يلبث ان صار الزى الغالب فى تلك المنطقة .

ويذكر على ظريف الاعظمى فى كتابه (مختصر تاريخ بغداد) ان الطربوش فرض – كغطاء رسمى للراس فى العراق – فى ولاية على رضا باشا .

ويرجع انتشار الطربوش فى السودان الى عهد موسى حمدى باشا الذى عين حكمدارا له من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٥ فكان اول من الزم الموظفين السودانيين ، باتخاذ الزى الأوروبى والطربوش – بدلا من الجلباب والعمامة – اسوة بالمصريين والاتراك .

وقد استهدف الطربوش لحملة نقــــد عنيفة بالمشرق العربى ، منذ اندلعت الشرارة الأولى للثورة العربية فى سنة ١٩١٧ ، وتصاعدت الدعوة إلى التخلص من كل مظهر من مظاهر التبعية للاتراك ، ومنها الطربوش ، فتخلص الكثيرون منـه طواعية ، قبل ان يصدر تشريع فى العراق بالغائه فى سنة ١٩٢٤ .

وكانت تلك الدعوة قد انطلقت فى تركيا نفسها ، فى غمار الرغبة فى التخلص من كل مظهر شرقى ، فصدر تشريع باستبدال القبعة به ، فى سنة ١٩٢٥ .

وامتدت اصداء تلك الدعوة إلى مصر . فالى جانب دعوة بعض المتعممين إلى استبدال الطربوش فى اوساطهم بالعمامة ، كانت هناك دعوة اخرى للمطربشين إلى استبدال القبعة بالطربوش وافسحت صفحاتها للآراء المتباينة ، التى اثارتها هاتان الدعوتان . وقد عرض الدكتور خليل صابات فى كتابه (موقف الصـــــحافة المصرية من العمامة والطربوش) تفاصيل المعارك الفكرية ، التى اثيرت حول ذلك الموضوع .

وكان قرار الجمعية الطبية المصرية الصادر فى سنة ١٩٢٦ – والذى افتى بان الطربوش ضار – من الوجهة الصحية – بالراس والعينين – من اهم الحجج التى استند إليها دعاة التخلص منه .

وفى السنة نفسها ، عقد الفلسطينيون – من المسلمين والمسيحيين – اجتماعا فى القدس ، لبحث مصير الطربوش ، فاصدروا قرارا بانه (ليس لباس الراس العربى الوطنى ، ولا اهمية دينية له) .

وقد بدىء فى التخلص من الطربوش فى مصر ، باستبعاده من زى ضابط القوات الجوية فى سنة ١٩٣٩ ثم من زى سائر قوات الجيش والشرطة سنة ١٩٤٧ ، وكان ذلك بالنسبة لأوقات العمل غير انه ظل يحتفظ بمكانته كزى للمناسبات الرسمية . حتى اخذت مكانته تتدهور – فى المجالين المدنى والعسكرى بعد قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، حتى اسدل عليه الستار نهائيا – كزى لجنود الشرطة .

وبينما ظلت قلة قليلة من المسنين ، تحتفظ بالطربوش (بمظهــــره التركى او العزيزى) فى بعض الأوطان العربيـــــة ، وخاصة فى مصر ، وبعض دول المشرق العربى ، فان الشاشية (اى الطـربوش بمظهره المغربى) لا تزال محتفظة بمكانتها فوق الرؤوس – كزى عربى اصيل – فى دول المغرب العربى ، وبين الجماعات البدوية الاصل فى مصر ، التى تمتد اصولهـــــا وروابطها القبلية ، عبر حدودها الغربية . كما يتعمم الأزهريون على نوع منه .

الكوفية والعقال

يشيع لبس الكوفية والعقال ، فى معظم

انحاء المشرق العربى ، ولا يكاد يستثني منها سوى القطاع الجنوبى من الجزيرة العربية . ويمتد انتشارهما غربا ، حتى يشمل شبه جزيرة سيناء كلها ، كما يشمل بعض المناطق المصرية الاخرى ، وخاصة بين الجماعات البدوية الأصل ، التى تمتد اصولها وروابطها القبلية ، عبر الحدود الشرقية للبلاد ، من سكان محافظات الاسماعيلية والشرقية والقليوبية والبحر الاحمر ، وقد عارض الاب انستاس مارى الكرملى ، فى بحث له نشر بعدد مارس سنة ١٩٤١ من مجلة (المقتطف) الاعتقاد الذى كان شائعا بان الكوفية والعقال ، لم يظهر استعمالهما كزى عربى ، إلا منذ قرنين ، او ثلاثة قرون على الأكثر ، واثبت انها استعملا فى هذا الغرض ، قبل مولد السيد المسيح بعدة قرون ، مستشهدا على ذلك بنص ورد فى سفر الملوك الثالث من التوراة ، وببعض النقوش والتماثيل التى ترجع إلى عهد حمورابى ، وشواهد اخرى ، منها بعض النصوص التاريخية واللغوية ، التى تؤكد استعمالها فى العصور الاسلامية الاولى .

وانتقد ما أورده « رينهارت دوزى » فى مؤلفه (المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب) من إرجاع كلمة (الكوفية) إلى أصل ايطالى ، ورجح اشتقاقها من كلمة (التكوف) العربية ،التى تحمل معنى الاستدارة حول الراس ، او من اسم مدينة (الكوفة) التى اشتهرت بصناعتها .

وتضمن البحث كثيرا من الالفاظ التى تطلق فى انحاء العالم العربى على الكوفية والعقال ، والتى تختلف باختلاف نقوشهما والوانهما ، والمنسوجات التى تصنعان منها ، والمناطق التى يشيع لبسهما فيها ، مع تحقيق اصولها اللغوية . ومن امثلة ذلك (المحرمة) و (الحلالية) و (الشماغ) ـ او (اليشماغ) ـ و (الدسمال) و (الضريبة) و (القزية) و (الصمادة) و (الخزام) و (العصابة) و (المريرة) و (الخزام) و (السب) .

ثم نشرت المجلة فى عدد مايو سنة ١٩٤١ تعليقا ضافيا من روكسى بن زايد العزيزى بشرق الاردن ، تناول فيه بالتصويب والاضافة ، بعض المعلومات والالفاظ التى تناولها ذلك البحث .

وكان اتخاذ الكوفية والعقال غطاء للراس ، يكاد يقتصر على الجماعات البدوية ، حتى بدأ الاقبال يتزايد على هذا الزى فى الأوساط الحضرية بالمشرق العربى ، منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى ١٩١٧ ، حتى شاع لبس الكوفية والعقال مع الزى الأوروبى .

وعندما رئي التخلص من الطربوش كرمز للتبعية التركية ، عقد اجتماع فى دار الأمير سعيد الجزائري بدمشق فى سنة ١٩١٩ لاختيار غطاء عربى عام للراس ، قاعدت ثلاثة نماذج لاختيار احداها .

ووقع التفضيل على تصميم مطور للكوفية والعقال ، يلائم الشباب وطلاب المدارس ، واطلق عليه (السعيدية) نسبة للأمير سعيد .

وكانت الانتفاضات الشعبية فى اوطان المشرق العربى ، التى بليت بالاستعمار ، فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، يصاحبها تصاعد الاقبال على اتخاذ الكوفية والعقال زيا للمثقفين ، وخاصة عند اندلاع ثورة سنة ١٩٣٦ بالسودان .

وقد قاد شيخ العروبة احمد زكى باشا الدعوة إلى تعميم هذا الزى فى مصر ، بديلا للطربوش . وتبريرا لذلك ، ذكر ـ فى حديث له نشر بعدد ٢ مايو سنة ١٩٣١ من مجلة (كل شىء) ان الكوفية والعقال » إلى جانب فائدتهما صيفا وشتاء ، وكونهما مظهرا من مظاهر القومية العربية ، تجمعان جلال المظهر ، وحسن الرواء » .

وكان هو نفسه فى مقدمة الذين تزيوا بذلك الزى ، قدوة لغيرهم .

الطاقية والسدارة

تنتشر فى العالم العربى انواع اخرى من اغطية الرؤوس ، ابسطها (الطاقية) التى تعرف باسماء مختلفة وفقا لاشكالها او الوانها ، او المنسوجات والمواد التى تصنع منها ، او المناطق التى تنتشر فيها ، مثل (الكوفية) و (الطاقية) و (اللبدة) و (التكلت) و (العرقجين) ـ او (العرقية) او (العراقية) ـ و (المكاوية) .

وقد تلبس احدى هذه الاغطية مجردة ، كغطاء للراس ، او يتعمم عليها من يشاء ، بنوع من العمائم المختلفة . وهى ـ إلى جانب كونها من ابسط اغطية الرؤوس ، واكثرها انتشارا ، على اختلاف انواعها ـ فهى من اعرق هذه الاغطية ايضا .

وقد ذكر المقريزى ـ فى معرض حديثه عن (سوق البخانقيين) بالقاهرة ، فى خططه ـ انه معد (لبيع الكوافى والطواقى التى يلبسها الصبيان والبنات) ثم قال : وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ـ ومن يتشبه بهم ـ للطواقى ـ فى الدولة الجركسية ـ يقصد دولة المماليك الجراكسة ـ وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ، ويمرون كذلك فى الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب ، لا يرون بذلك باسا ، بعدما كان نزع العمامة من الراس عارا وفضيحة ، ونوعوا هذه الطواقى ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان .

والمقصود بالكوفية هنا ـ وقد تجمع على كوفيات ، او كواف ، نوع من الطواقى ، وليس تلك التى تستخدم مع العقال .

وعندما انشا الملك فيصل الاول دولته العربية بالعراق ، استحدث غطاء للراس نسب إليه ، فاطلق عليه (الفيصلية) ـ وهو ما يعرف الآن بالسدارة ـ وقد استعير شكله من غطاء للراس ابتكره السياسى الفرنسى جورج كليمنصو ، كما كان الجنود الاسكتلنديون يتخذون زيا شبيها له فى الحرب العالمية الاولى .

وكان اشتقاق اسماء اغطية الرؤوس من اسماء القادة والحكام مالوفا من قبل فقديما اعجب الخليفة العباسى المعتصم بالله بالقلانس الطويلة (جمع قلنسوة) ، فاتخذها زيا له ، تشبها بملوك الاعاجم . وأمر بتعميم ذلك الزى فشاع استخدامه ، وسميت تلك القلانس (المعتصميات) .

وفى تركيا شاع غطاء للراس منسوب إلى وزير الحربية الاسبق بها ، فسمى (الانورية) . واستحدث الشاه

رضا خان بهلوى غطاء اخر للراس فى ايران . فاطلق عليه (البهلوية) . واستحدث فى مصر غطاءان للراس فى الزى العسكرى . فى عهد الملك فاروق فاطلق على أحدهما (الفاروقية) نسبة إليه ـ وكان يشبه الفيصلية ـ وعلى الآخر (الفؤادية) ـ وهو ما يسمى الآن (الكاب) نسبة إلى ابيه .

ومن طريف ما يذكر ان امين الخولى استبدل بعمامته ـ عندما كان يتولى التدريس بجامعة القاهرة . (الفاروقية) وقد لبسها مع سائر زيه الازهرى . وعندما ندب للتدريس بكليات الازهر . اقتدى به بعض طلابها . فنشرت مجلة (المصور) فى عدد ١٨ ابريل سنة ١٩٤٢ حديثا لمندوبها مع شيخ الأزهر والمفتى ، عن رايهما فى ذلك . فاجاب شيخ الازهر بانه وان كان الدين الاسلامى لم يفرض زيا معينا للمسلمين (إلا انه يرى ان للتقاليد احترامها . ولا سيما فيما يختص برجال الدين) واضاف (ثم ان الزى لم يكن فى يوم من الايام ، ولا فى عصر من العصور . وسيلة من وسائل التقدم . بل العبرة بالتربية) .

وكان ذلك الزى فى الحقيقة مجرد بدعة من البدع التى ظهرت فجاة فى تلك الاونة ، ثم اختفت باسرع مما ظهرت .

القبعــــة

لم تبدا الدعوة إلى اتخاذ القبعة غطاء للراس فى العالم العربى ، إلا بعد تقرير استبدالها بالطربوش فى تركيا فى سنة ١٩٢٥ . اما قبل ذلك . فقد صدرت فتاوى متضاربة حول اتخاذ المسلمين العقبة زيا لهم ، اثناء وجودهم فى بلاد غير اسلامية .

واشهر الفتاوى التى صدرت فى هذا الصدد ، تلك التى اصدرها الامام الشيخ محمد عبده فى سنة ١٣٢١ هـ . ردا على ثلاثة اسئلة بعث بها إليه بعض المسلمين من سكان الترنسفال بجنوب افريقية ، فسمى رده عليها (الفتاوى الترنسفالية) .

وقد اثار ذلك الرد صدى عنيفا فى الراى العام الاسلامى بالبلاد ، عنى باذكائه الخديوى عباس ضمن حملته على الشيخ محمد عبده . وكان اول تلك الاسئلة (يوجد افراد فى هذه البلاد يلبسون البرانيط ، لقضاء مصالحهم ، وعود الفوائد عليهم . فهل يجوز ذلك ام لا ؟) .

وكان رده على ذلك : (ان لبس البرنطية اذا لم يقصد فاعله الخروج من الاسلام ، والدخول فى دين غيره ، فلا يعد مكفرا . وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس ، لو دفع مكروه ، او تيسير مصلحة ، لم يكفره ذلك ، لزوال معنى التشبه بالمرة).

وقد صدرت بعض الفتاوى والرسائل ، التى عارضت ذلك الراى ، واتهمت صاحبه بالكفر والتضليل . ومن امثلة ذلك الرسالة التى وضعها الشيخ يوسف الشرابخومى فى ١٣٢٥ هـ . (١٩٠٤) بعنوان (التعاديل الاسلامية ، فى تخطئة حزب الفتاوى الترنسفالية) وكان من مؤيدى الأستاذ الامام السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) ومحمد كرد علي الذى نشر فى عدد مارس سنة ١٩٠٤ من مجلة (المقتطف) مقالا بعنوان (لباس الراس) استشهد فيه بالحديث الشريف الذى روى عن ابن عباس (كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف او مخيلة) واورد تحقيقا لغويا ضافيا . لتاصيل كلمة (القبعة) وبدء استخدامها فى اللسان العربى ، وإدراجها بالمعاجم العربية . ونشرت بعد ذلك بحوث اخرى ، حاول بعضها تاكيد اصلها العربى ، وارجعتها بحوث اخرى إلى اصل لاتينى او يونانى .

والواقع ان القبعة ـ وان كانت دخيلة من الناحية اللغوية ـ فقد اتضح ـ من الناحية الواقعية ـ انها من الأزياء المستعملة ـ ولو باسماء اخرى ـ فى بعض المجتمعات العربية المعاصرة ، التى اتخذتها غطاء للراس ، لأسباب مناخية محلية ، وليس استجابة لاية مؤثرات اجنبية .

وقد اشار إلى هذه الحقيقة ، احمد زكى باشا (شيخ العروبة) ضمن مشاهداته وخواطره التى سجلها فى كتابه (السفر الى المؤتمر) ، اثناء رحلته فى بعض انحاء اوروبا ، حينما توجه الى لندن لتمثيل مصر فى مؤتمرالمستشرقين الدولى التاسع سنة ١٨٩٢ . وذلك فى معرض الشكوى من الاضرار الصحية للطربوش . فبرغم من معارضته اتخاذ الزى الاوروبى العام فى البلدان الشرقية ، إلا انه استثنى من ذلك القبعة التى وصفها بانها (ليست محرمة ، لا شرعا ولا عقلا . فضلا عن أن عرب مراكش (يقصد المغرب) لا يزالون إلى الآن ـ وهم على ما هم عليه من التمسك بالاسلام ، ويلبسون شيئا شبيها بالقبعة ، له حواف تمنع وهج الشمس من الوجه) .

ولأسباب صحية ايضا ، عرض جورجى زيدان فى مقاله عن (تاريخ الازياء الشرقية) بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة (الهلال) اقتراحا عجيبا يتضمن تفضيل الحفاظ على الزى الشرقى . على ان تلبس معه العمامة عندما يشتد البرد شتاء والقبعة عندما يشتد الحر فى الصيف .

وتدليلا على اصالة استخدام القبعة فى بعض انحاء العالم العربى ، ذكر الامير المصرى السابق محمد علي ـ ضمن مشاهدته فى رحلته الى شمال افريقية فى اوائل هذا القرن ـ ان بعض النساء فى منطقة الريف ، يتخذن اغطية للرؤوس من القش والخوص ، تشبه القبعات المكسيكية .

وفى الجزائر يستخدم غطاء للراس على هيئة قبعة كبيرة من القش الجزائرى . قد توضع فوق الراس مباشرة ، او فوق العمامة . غير انهم يرفضون لبس اى نوع اخر من اغطية الرؤوس المماثلة ، ما لم تصنع محليا . وبالهيئة التى الفوها . تبرءا من شبهة تقليد الاجانب .

وذكر الرحالة « بوركهارت » . انه شهد اثناء رحلته فى بلاد النوبة والسودان سنة ١٨١٣ بعض الرجال والنساء من قبيلة الجعليين ، فى بلدة شندى ، يلبسون قبعات عالية ومدببة ، مصنوعة من القش ، ولها حواف عريضة ، وتثبت باربطة من الجلد . اسفل الذقون .

كما ينتشر استخدام نوع من القبعات المحلية ، بين قبائل الزاندي فى السودان .

وذكر فؤاد حمزة فى كتابه (فى بلاد عسير) ان نساء قبيلة (ربيعة اليمن) يلبسن اغطية للرؤوس على هيئة قبعات من الخوص ، تسمى (طقشة) وهي نوعان : نوع ذو حافة عريضة ، ويختص به اهل تهامة ، حيث الشمس ساطعة ، واخر ذو حافة ضيقة ، تتوسطه اسطوانة بارزة ، يجعلها اقرب فى شكلها من القبعات الاسبانية ، لولا ان هذه من الحرير ، وتلك من الخوص .

وكان سلامة موسى من اكثر كتاب العربية اهتماما بالدعوة إلى لبس القبعة ، وبلغ فى مغالاته فى تلك الدعوة ، ان ذكر في كتابه (اليوم والغد) تحت عنوان (القبعة رمز الحضارة) : (إن للمتحضرين عادات يتعارفون بها ، ويصطلحون عليها . واتخاذ القبعة من هذه العادات . فلسنا نحب ان نخرج على العالم المتمدين بلباس خاص ، يجعلنا فى مركز الشذوذ ، يجذب

إلينا الأنظار ، فيعمد السائحون إلى تصويرنا كاننا امة غريبة عن الأمم التى جاءونا منها)

وكان احمد حسن الزيات ، من اشد الكتاب معارضة لتلك الدعوة . وقد ذكر في مقال له نشر بعدد ٧ يونية ١٩٣٧ من مجلة (الرسالة) : (إن قيمة الغطاء هو فى الراس الذى يحمله ، والشعب الذى يمثله لا فى اصله ، ولا فى شكله ، ولا فى لونه . والثوب ـ كما يقول الفرنسيون ـ لا يصنع الراهب) .

وقد ظلت القبعة حتى الآن من الأزياء التى لا يتحمس لها الراى العام العربي . فلم يكتب لها الظهور إلا فى حالات ضرورية محدودة ، ترجع لأسباب صحية مؤقتة ، أو مع الزى العسكري ـ وهو زي خاص مع تعديل شكلها ، واطلاق اسماء عربية عليها

تعرية الرؤوس

من اعجب العادات المتبعة في بعض انحاء العالم العربى ـ وخاصة فى المجتمعات البدوية ـ الاكتفاء بتشكيل شعر الراس ـ بعد إطالته ـ على نحو يغني عن تغطيته .

ففي الصحراء الشرقية بين مصر والسودان ، يشكل افراد قبائل البشارية ، شعر رؤوسهم الكثيف ، على نحو يجعلها اشبه بالعمائم الضخمة ، ويدهنونها بالشحم أو زيت الخروع ، لدعم تماسكها ، ويغرسون فيها ادوات حادة ، يستعملونها في بعض اغراضهم .

وذكر فؤاد حمزة ضمن مشاهداته في « بلاد عسير » ان بعض البدو هنالك كانوا يتركون رؤوسهم عارية ، ويضفرون شعورهم او يتركونها على طبيعتها منفوشه ، على نحو يلقي الذعر في قلوب الأعداء ، وقد يربط الشعر ـ فى هيئته هذه ـ احيانا باعواد من العشب ، او غيره من النبات ، منعا لتحريك الريح له .

والواقع ان ترك الرؤوس عارية ، قد اصبح الاتجاه السائد في كثير من انحاء العالم العربي . فالذين نزع ماؤهم عن رؤوسهم العمامة او الطربوش او السدارة ، او غيرها اثروا الا يستبدلوا بها اغطية اخرى .

والتاريخ بذلك يعيد نفسه فقد كان لهذه الظاهرة سابقة في بعض المجتمعات العربية التي عاصرها اجدادنا إذ ورد في كتاب (نفح الطيب) للمقري ، ان الأندلسيين انتهى بهم الأمر إلى ترك العمائم ، وخاصة في المشرق ، حتى رئى عزيز بن خطاب أكبر علماء مرسية (وقد خطب له بالملك فيها ، وهو حاسر الراس ، وقد غلب شيبه على سواد شعره . اما الأجناد وسائر الناس ، فقليل منهم من يرى بعمامة في شرق منها او غرب . كما شوهد بعض ملوك الطوائف ايضا بدون عمامة .)

وبعد

فهذه امثلة لتعدد اغطية الرؤوس في مختلف انحاء العالم العربي ، وما ينطوي عليه هذا التعدد من دلالات تاريخية وجغرافية ، واجتماعية .

ولعلنا نكون قد اثرنا ـ من خلال هذه السطور ـ حماسة القراء نحو تشجيع الدعوة إلى إنشاء متحف عام للملابس العربية الحالية ، وتوضيح مواطن انتشارها ، مع إبراز مراحل التطور التاريخي لكل منها ، ودراسة ما ينطوي عليه التنويع الظاهر في اشكال هذه الملابس ، من دلالات مختلفة .

اللواء إبراهيم محمد الفحام

قـــالوا ..

● المجد كالرزق . بعضه حلال وبعضه حرام
« زكى مبارك »

● ●

● يجب أن نوفر لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر .
« تروتسكى »

● ●

● احترس من الكلب وانت تقتله ، إنه يعوى ويعض
« دستويفسكى »

● ●

● فاطلب العز فى لظى ودع الذل
ولو كان فى جنان الخلود
« المتنبى »

● ●

● متى احرجت ذا كرم تخطى
إليك ببعض اخــلاق اللئيم
« البحترى »

من لى بانسان إذا اغضبته
وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من
اخلاقه وســكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبــه
وبسمعه ولعله ادرى بــه
« ابو تمام »

محمد مروان جميل مراد

معالم وحكايات من لندن



من ساعة بيج بن إلى برج لندن

● من الذى أقام ساعة بيج بن ؟ ● عندما حاول الألمان اسكات الساعة فى الحرب الثانية ● مليونير يعرض شراء الساعة بأى ثمن فترفض انجلترا ● برج لندن أقدم سجن فى انجلترا وأكبر معرض للمجوهرات ● وراء إنشاء جامعة كمبردج إعدام ثلاثة علماء ● مكتبة جديدة تتكلف ١٦٤ مليون جنيه استرلينى ...

● ● « عزيزتي بيج بن » .. ارجوك ان تعودي بخير ، لاستمع إلى صوتك المميز من جديد .. انت مدهشة وعظيمة كما لا تتصورين ، وانا احبك » ..

لم تكن هذه الرسالة موجهة لصبية هجرت عاشقها ، بل كانت موجهة لساعة « لندن » الشهيرة ، حين توقفت عن العمل لمدة ٢٢ يوما فى اغسطس ١٩٧٦ ، بسبب خلل طارىء .. ولم تكن الرسالة ، كذلك ، فريدة من نوعها بل كانت واحدة من الاف الرسائل التى انهالت على ساعة « بيج بن » وكلها يستفسر عما أصاب الساعة ، واضطرها للتوقف .

« بيج بن » التى يسمع الناس دقاتها كل يوم ، من خلال الاذاعة ، والقائمة فى اعلى

من ساعة بيج بن إلى برج لندن

برج « ويستمنستر » اخذت اسمها من الاسم المختصر لوزير الأشغال البريطاني » السير بنجامين هول » الذى اشرف على تصميم برج الساعة فى اواسط القرن الماضي .

وقد تم تصميم الجرس الكبير للساعة « ١٦ طنا » فى كليفلاند ، وتم نقله إلى لندن ، بعد رحلة متعبة ، وحين اختبر بواسطة مطرقة ضخمة ، اصيب بشرخ ، فاستبدل بجرس اخر ، ومطرقة اصغر ، ولكن على الرغم من اصابة الجرس الجديد بشرخ ، فقد تم تركيبه على البرج ، واعطى الشرخ للجرس صوتاً مميزاً ، تدركه الأذن بسهولة .

عندما بدات الاذاعة البريطانية ببث برامجها ، ثبت فى الساعة ميكروفنا لينقل دقات جرسها إلى العالم ، لكن الاذاعة استغنت عن الميكروفون خلال حصار بريطانيا ١٩٤٠ حتى لا ينقل دوى الانفجارات ويبث الرعب ، واستخدمت الاذاعة بدلا منه تسجيلا لدقات الساعة .

ولم يعرف الالمان بالامر ، وراحت طائراتهم تقصف برج الساعة لاخماد صوت « بيج بـن » دون جدوى .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية ايضا، اطفئت انوار الساعة لأول مرة ، وفى عام ١٩٦٩ توقفت الساعة ، حين سقطت بالخطا قضبان حديد ، واشتبكت باثقال الساعة وتم اصلاح الخلل بعد ٢٧ دقيقة .

اما الحدث الاكبر الذى كاد يعطل الساعة فعلا ، فقد وقع سنة ١٩٧٦ حين سقط احد طبول الساعة (يزن نصف طن) بسبب تاكل فى المعدن ، واتلف معظم اجزائها الميكانيكية ، واوقفها بعد عمل متصل لأكثر من نصف قرن ، واصلح العطل ، وتم اختيار كل الأجزاء الاخرى باشعة اكس ، لتلافى اى خلل فى المستقبل وقد توقفت الساعة هذه المرة ٢٢ يوما ، بينما صمتت الاجراس تسعة شهور كاملة ، انهالت خلالها الرسائل على ساعة (بيج بن » والبطاقات ، تتمنى لها الشفاء والصحة الدائمة ، وكان من اطرفها تلك التى وجهتها : « ليزا كلير » من شمال لندن لتقول فيها : ساظل أهتف لك من الاعماق : ديتج دونج ، وبحرارة ، حتى تعود لك الصحة .. وقد عادت الصحة إلى « بيج بن » بتكلفة ٣٠ الف جنيه ، وصار صوتها اكثر قوة ووضوحا ، لدرجة ان واحدة من محطات الاذاعة فى كنساس ، طلبت إلى « نيفيل ماكيفوي » وهو صاحب كافيتريا مقابل مجلس النواب البريطاني ، طلبت إليه ان يرفع سماعة الهاتف ، حين تدق « بيج بن » ١٢ دقة ، لتقوم الاذاعة بارسال الدقات إلى مستمعيها .. وقد نفذ صاحبنا المهمة ، ورفع سماعة هاتفه مقابل الساعة ، واستمع الناس فى أمريكا إلى دقاتها بوضوح ، واهدى « ماكيفوي » رحلة سياحية لمدة اسبوعين إلى الولايات المتحدة .

... على ان اطرف الاحداث التى شهدتها « بيج بن » ذلك الطلب الغريب الذى تقدم به ، منذ فترة قصيرة ، بعض اثرياء كاليفورنيا لشراء الساعة ، بالثمن الذى يحدد لها ، لكن دائرة البيئة البريطانية ، ردت بلباقة :

– « بيج بن » ليست للبيع ، لانها جزء من تراثنا .



اليزابيث « الاولى »
تعرضت للسجن فى البرج وكان المفروض إعدامها ولكنها نجت باعجوبة لتحكم بريطانيا ٤٥ عاما



اسحق نيوتن
كان وراء انشاء جامعة كمبردج

... وبرج لندن

● ● .. خطوات عديدة ، ويرتفع امامك صرح اثري شهير .. برج لندن ! . لقد ذكرت نشرة سياحية مؤخرا ان عدد زوار البرج خلال العام الماضي ، بلغ بضعة وثلاثة ملايين شخص ، وقد طاف هؤلاء باروقة القلعة المترامية ، وقلبوا صفحات التاريخ المدونة على جدرانها لتختصر احداث ٩٠٠ سنة ونيف ، ثم خرجوا يستعيدون فى مخيلاتهم الحكايات التى شهدتها القلعة من يومها الاول .

فبعد اثني عشر عاما من نزول قوات وليام الفاتح على شاطىء بريطانيا (حوالي ١٠٧٨م) امر ببناء قلعة فى لندن ، يستطيع بها حماية المدينة ، والسيطرة على سكانها ، وارتفع برج القلعة من ذلك اليوم بلونه الابيض ، ولكنه ما لبث بمرور الأيام ان اصطبغ باللون الاسود ، وهو يشهد الوف السجناء يدخلونه عبر سنوات طويلة من تاريخ بريطانيا السياسي ، إضافة الى الجرائم الوحشية التى دبرت فى ابهائه ، فاودت بحياة الأمير « ادوارد الخامس » وشقيقه عام ١٤٨٣ زمن حكم ريتشارد الثالث .

وقد دخل البرج « سير توماس مور » و سير « والتر رالي » وروبرت ديفيريه ، والملكة اليزابث الأولى ، وانتهى الجميع إلى نهاية مفجعة ، عدا الملكة اليزابث التى قدر لها الخروج حية ، لتذيق الكثيرين من نفس الكاس ، وتقبرهم احياء فى البرج .

وكان اخر سجناء البرج « رودلف هس » نائب هتلر الذى نقل فيما بعد إلى سجن اخر .

وفيما بعد استخدم العديد من ملوك وملكات بريطانيا ، البرج كقصر مهم حتى ايام جيمس الاول ، كما استخدم مقرا للحكم ، وخزانة للمجوهرات ، ومحكمة عليا ، وحديقة حيوان ملكية ، ولاتزال مجوهرات التاج توضع هناك إلى اليوم ، وبالرغم من سمعته السيئة ، يعتقد البريطانيون ان البرج هو اكثر الأماكن فى العالم اجتذابا للسياح ، ويأملون ان يزداد عددهم عاما بعد عام ..


رودلف هيس
نائب هتلر واخر سجين شهير فى برج لندن

كلية بيتر هاوس

● ... هـل ينسحب القول المأثور : « مصائب قوم عند قوم فوائد » على الاماكن والمعالم والمدن ايضا ؟! لم لا ؟!

فى عام ١١٧٦ ، أصدر الملك هنرى الثاني امرا ، حظر فيه على الكهنة والمثقفين الانجليز ، الدراسة خارج البلاد . وكان ذلك القرار جزءا من الصراع الذى كان محتدما بين الملك ورئيس اساقفة كانتربري « توماس بيكيت » على انه لما كانت الجامعات الانجليزية ، موضوعة فى ذلك العصر ، تحت رعاية الكنيسة ، كان ذلك الامر دون قصد من الملك ، بمثابة دفع للمثقفين الانجليز لعدم الالتحاق بجامعة باريس ، والتى كانت آنذاك ، اعظم مركز علمى فى اوروبا .

هنا ، كان لابد من إيجاد بديل لجامعة باريس ، فجاء البديل من خلال إنشاء جامعة فى « اكسفورد » نظرا لموقعها الملائم بين لندن العاصمة ، ومنطقة « ميدلاندز » الهامة ، وحدث فى عام ١٢٠٨ ان لفقت السلطات المحلية لمنطقة اكسفورد ، نكاية بالجامعة الجديدة ، تهمة لثلاثة من علماء الجامعة ، انتهت بالحكم باعدامهم ، واثار الامر ذعر المثقفين والعلماء ففروا إلى بلدة « كمبردج » لانها ابعد عن مراكز العمران ، والسلطات الرسمية ، واكثر امنا من اكسفورد ، وكان تجمع العلماء فى هذه البلدة حافزا لاسقف المدينة ، للايعاز بانشاء اول كلية فى كمبردج وهي كلية « بيتر هاوس » ...

وفى عام ١٦٣٨ اعترف البابا للكلية الجديدة فى كمبردج ، بمستوى جامعي إلا ان الملك هنرى السابع ، قام ببناء كنيسة ضخمة بالبلدة تعتبر حتى اليوم اية فى فن العمران ، وهـدم لتحقيق غايته شـوارع باكملها ، مما اذن بتشريد الكثير من السكان ومعظمهم من العلماء والمثقفين ، ولكن هؤلاء واصلوا الاقامة فى المدينة ، ومارسوا أعمالا تجارية ويدوية لكسب رزقهم ومتابعة تحصـيلهم ، وكان فى عدادهم « اسحق نيوتن » الذى اصبح فيما بعد أشهر عباقرة الرياضيات ومكتشف قوانين الجاذبية الأرضية .

ومن الطريف ان معظم مواد الدراسة فى الجامعة ، كان يتناول ترجمة كتب الفلسفة من اليونانية إلى اللاتينية وبالعكس ، وحظر على الطلاب التحدث باللغة الانجليزية إلا فى فترات محددة ، ليتحسن مستواهم فى اليونانية واللاتينية واقتصرت مواد الدراسة على الفلسفة والدين ، ثم سمح بتدريس الرياضيات وصار النجاح فى هذه المادة منذ ١٧٧٢م إلزاميا للفوز بالشهادة الجامعية .

اما اليوم فقد اصبحت العلوم الطبيعية ، موضوع الدراسة الرئيسي فى هذه الجامعة التى وضع تقاليد دراسة العلوم فيها السير اسحق نيوتن .

وانطلاقا من هذه التقاليد ظهر العلامة « رذفورد » الذى انجز فى الثلاثينات من هذا القرن قدرا كبيرا من اسس علم الذرة ، ومن بين سائر الجامعات تكاد جامعـة « كمبردج » تفوز كل عام بانتظام بواحدة من جوائز نوبل للعلوم .

إلى القراء فى العالم

● ● فى « إيسترن رود » وعلى مساحة أربعة هكتارات ، تقام المكتبة البريطانية المركزية الجديدة ، فى بناء روعيت فيه احتياجات القرن الحادي والعشرين .

وتركز الاهتمام عند تصميم البناء على ان يجمع محتويات مختلف المكتبات فى مكان واحد ، بحيث تتاح الاستفادة للجميع دون قطع مسافات كبيرة للوصول إلى مختلف المراجع ، وهكذا اختير موقع المبنى بحيث يمكن الوصول إليه من ثلاث محطات رئيسية للسكك الحديدية ، متصلة راسا بخط تحت الارض .

وحرص المهندسون على مزج الطابع الرئيسي للبناء الحديث بالطابع الفريد لمبنى محطة « سانت بانكراس » الحديدية التى بنيت فى القرن التاسع عشر ، وستكسى الجدران الخارجية بالقرميد والبلاط الطبيعي على سطح البناء ، اما القاعة المواجهة للمدخل ، فتتالف من جدران قرميدية ، ونباتات طبيعية ، تزين جوانبها ، وسقوف مانعة للصوت .

ويشكل مدخل « ايسترن رود » الباب الرئيسي ، ويقود إلى قاعة فسيحة تمكن الزوار من الولوج إلى غرف المطالعة بسهولة ، ودون الحاجة إلى السير عبر ممرات او منعطفات ، كما انها تقود راسا إلى صالة الطعام وقاعات العرض .

تستوعب قاعات المكتبة ٣٥٠٠ زائرا ، اضافة إلى ٢٥٠٠ موظف فيها ، اما عدد المجلدات فسيكون بحدود ٢٥ مليونا ، وستوفر المكتبة قاعات للعرض واخرى للمحاضرات والاجتماعات .

وستحتل خزائن الكتب حوالي ٣٠ من مساحة الغرف ، ويتم خزن الكتب الفائضة فى مخازن تحت الارض ، أما الكتب المطلوبة للزوار فتصل إليهم عبر مسارب الية ، ولم ينس المهندسون الاضاءة المناسبة ، فاهتموا بجعلها مطابقة للضوء الطبيعي إلى حد كبير .

واختصر المصممون كثيراً ، الاشارات التى تدل على الاتجاهات لئلا تسبب الارتباك للزوار ، واستعاضوا عنها بقاعة استقبال واسعة تقود ابوابها العديدة إلى القاعات المختلفة ، كما راعى المصممون استحالة استخراج الأوراق او الكتب او المجلدات من المبنى ، او تلفها عند اعارتها للزوار او اعادتها لاماكنها ..

لقد بلغت كلفة المرحلة الأولى من مبنى المكتبة المركزية الجديدة ٧٤ مليون جنيه استرليني ، لكن التكاليف الاجمالية ستتجاوز ١٦٤ مليونا ، وذلك لتحقيق شعار تقديم الخدمات ، ليس للقاريء البريطاني وحسب بل للقراء من جميع اقطار العالم .

محمد مروان جميل مراد : الكويت

الشاعر عدنان مردم بك يتحدث عن أبيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

بقلم الدكتور نسيب نشاوي

كنت على موعد مع الشاعر الدمشقى عدنان مردم بك للتداول فى موضوع مسرحيته الشعرية « أبو بكر الشبلى » التى صدرت ببيروت ١٩٨١ م فوجدته يحدثنى عن والده الشاعر خليل مردم بك ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩» بدلا من الحديث عن نفسه ، ومع اننى أعرف الكثير عن والده الخليل مؤلف النشيد السورى ورئيس المجمع العلمى بدمشق ورائد مدرسة الوصف الشعرية الشامية.. فقد اطلعت على شؤون خاصة بالخليل احببت أن يشاركنى القارىء فيها .

قال لى : كان ينبغى عليك ان تذكر فى كتابك « المدارس الادبية فى الشعر العربى المعاصر » الشعراء السوريين او الدمشقيين فى مدرسة يحق لها ان تسمى « المدرسة الشامية فى الشعر الحديث » وعلى راسها الشاعر خليل مردم بك .

وبعد أن بسط رايه استشهد بتصنيف الثعالبى فى «يتيمة الدهر» وانه ـ أى الثعالبى ـ عرف الطريقة الشعرية الشامية واشار اليها فى القسم الأول من يتيمته ووصفها بانها الطريقة المثلى وخص شعراء الشام بالاعجاب وفضلهم عن سواهم من شعراء الاقطار الاخرى لانهم يكرهون اللفظ الساقط والتراكيب المهلهلة ، ولا يرتضون إلا المعانى الشريفة ذات الالفاظ الشريفة ايضا .. وان سائر شعراء العربية لا يصلون الى افاقهم ومراتبهم لأنهم وحدهم وفروا لبيانهم الرفيع عنصري الشعر الرئيسيين :

- المعنى البليغ
- التعبير الفنى المصقول

قال الثعالبى فى اليتيمة : «والسبب فى تبريز القوم قديما وحديثا على سواهم فى الشعر قربهم من خطط العرب ولاسيما أهل الحجاز .. وسلامة السنتهم .. جمع شعراء العصر من اهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة .. انبعثت قرائحهم بالاجادة فقادوا محاسن الكلام بالين زمام وابدعوا ما شاؤوا» ا . هـ . اما اكثر الباقين فلم يكن فى شعرهم غالبا سوى احد هذين العنصرين فبعضهم من شعراء المعانى مثل ابى العتاهية الذى وفر لشعره جمال المعنى ولكنه اخلى الفاظه من عنصر الصقل فى مثل قوله الشهير المتداول :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء اى مفسدة

وبعضهم شعراء الفاظ وانغام واوزان كابن حمديس الصقلى القائل :

نثر الجو على الأرض برد
اى در لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السحب التى
انجز البارق منها ما وعد

بينما يمتاز اكثر الشعراء الشاميين بدءا من البحترى وابى تمام وديك الجن والعتابى وعدي ابن الرقاع والطرماح .. وانتهاء بالمعاصرين بعباراتهم الفنية والجمع والتوفيق بين عنصر المعنى الرائع وعنصر اللفظ الجميل .

مدرسة الوصف الشامية الحديثة

كان الحديث حارا ومنفعلا ، وكنت اعلم انه يريد أن ينقلنى الى «مدرسة الوصف الشامية الحديثة» لأن والده خليل مردم بك رحمه الله رائدها ومثبت دعائمها فى الشعر الحديث . فقد قدم الخليل دراسة موجزة عن «شعراء الشام فى القرن الثالث» الهجرى حين انتخب عضوا عاملا فى المجمع العلمى بدمشق عام ١٩٢٥ م فى رسالة له عن اربعة شعراء شاميين هم : العتابى ، وديك الجن ، وأبو تمام ، والبحترى ، نشرها فى العام نفسه . وكانما اراد أن يجعل باكورة اعماله الأدبية اعترافا ضمنيا بالجميل الى اولئك الذين استقى من معينهم الثر فى رحلته الطويلة فى عالم الأدب والشعر ولم يكن اتم الثلاثين من عمره انذاك ، فقد كان معجبا بالبحترى ، وابى تمام ، والعتابى ، الذين لم تصرفهم العناية بالمعنى عن تجويد اللفظ حتى بلغوا الذروة التى لم يصل اليها شعراء عصرهم ، وانه ليروي فى كتابه «شعراء الشام ـ ص ٤٦» أن اسحاق الموصلى سمع ابا تمام ينشد شعرا فقال له :

ـ يا هذا شققت على نفسك إن الشعر لاقرب مما تظن .

ولم يكتف بهذه الدراسة للتعريف بالطريقة الشعرية الشامية فى القرن الثالث بل اراد ان ياتى بشواهد اخرى لشعراء شاميين عاشوا فى عصور مختلفة ولم يرزقوا شهرة ابى تمام ، والبحترى . ومع هذا كانوا فحولا ومن صياغ اللفظ الذين يوفقون ما بين المعانى والالفاظ .. ووقع اختياره على سبعة شعراء شاميين لم تحظ دواوينهم حتى سنة ١٩٤٤ م بعناية الباحثين ومنهم من لم يعثر له على ديوان مخطوط كعدي ابن الرقاع وبعضهم لم يبق من شعره سوى مقطعات متناثرة فى بطون الكتب الادبية والتراجم .. فصنف كتابه «الشعراء الشاميون» الذى طبع مرتين ببيروت درس فيه شعر عدي ابن الرقاع ، والوليد بن يزيد ، والطرماح بن عدي وعبد الرحيم الحارثى ، وابن حيوس ، وابن الخياط ، وابن عنين . ذلك ان عاطفته نحو الشام قوية وهو الشامى الأصيل المغرم بتاريخ الشام وطبيعتها وامرائها ، وتراجم اعيانها ، وسيرهم فكان الشام لديه قصيدة متميزة من حر الشعر ودمشق فيها بيت القصيد ولذلك صنع كتابه .

ثم سار فى وجهة اخرى إذ قرا لسان العرب لابن منظور ، ومعجم الأدباء لياقوت ، والاغانى للأصفهانى ، وأمهات الكتب الادبية ، وتكبد العسير الجليل للوصول الى الدواوين المخطوطة فى مكتبات اوربة ، وانكب على تحقيق دواوين ثلاثة شعراء شاميين واخرجها الى النور ، وطبعها كلها مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمى العربى سابقا) وهى : ديوان ابن عنين القائل فى حنينه وتشوقه الى دمشق سنة ٥٥٧ هـ التى ولد بها (٥٤٩ ــ ٦٣٠ هـ) وكان منزله قبلى الجامع الاموى :

حنيــن الى الاوطــان ليس يــزول
وقلـب عن الأشــواق ليس يحــول
دمشــق فبــي شــوق اليها مبــرح
وإن لــج واش أو الــح عــذول
ديــار بها الحصبــاء در وتربهــا
عبيــر وانفــاس الشــمال شــمول
تسلســل فيها ماؤهــا وهــو مطلــق
وصــح نسـيم الروض وهــو عليــل
فيا حبــذا الروض الــذى دون عزتــا
ســحيرا اذا هبــت عليــه قبــول

ونشر الديوان عام ١٩٤٦ م ، وديوان الشاعر ابن الخياط ١٩٥٨ ، وديوان ابن حيوس ١٩٥١ م اما ديوان الخليفة الأموى الوليد بن يزيد فقد تلف وزهد الرواة بحفظ اشعاره تزلفا من خلفاء بنى العباس ناهيك عن غزوات التتار وإحراقهم المكاتب العامة فاكتفى بدراسته فى ٤٦ صفحة جمع فيها كثيرا من شعره ، يقول الدكتور سامى الدهان فى مقدمة ديوان خليل مردم بك : «وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل



احمــد الصافى النجــفى
شهادة ادبيــــة فى حــق الخليــــل

مقدمة منها خمسين صفحة .. لو جمع بعضها الى بعض ولو جردت من صدور الدواوين لكانت تاريخا للادب فى الشام .. وظل الخليل يعكف على هذه الطبقة المختارة من الشعراء يغذيها بقراءاته وبحوثه وجهوده فى جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر فى الشام حتى القرن السابع .. ولو مد الله فى عمر الفقيد لعمد الى طبع ابن منير الطرابلسى ، وابن القيسرانى ، وقد حدثنى عنهما واطال الشوق الى اخراجهما فوفر لهما النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد ..»

وبعد ان حددنا سمات المدرسة الشامية وتاريخها شرع محدثى الشاعر عدنان يؤرخ لظهور المدرسة الشامية الحديثة او المعاصرة فقال :

إن صاحب المدرسة الشامية المعاصرة والذى ثبت دعائمها هو الشاعر خليل مردم بك فقد اقام لها اسسا ثابتة تتجلى فى تركيز الشعر على عنصر الوصف وتقصى ابعاد الصور واللوحات والمشاهد ، فالوصف هو غرضه الرئيسى كما فى قصيدته «لطيف» ، وما قرات قصيدته «الضحية» إلا اقشعر بدنى وفيها وصف للجزار يشحذ سكينة ويهوي بها على الكبش دونما رحمة كانه ذئب ضار . اما الناحية الفنية فقد كان اسلوبه مشرقا فى وصف الطبيعة الضاحكة (الشمس ــ البحر ــ الغوطة) كما فى قصيدتيه المشهورتين «فراشتان» و «حمامتان» والجامدة كما فى قصيدة «نهر بردى» وفيها قوله :

يا من راى نهـرا قـد انشــات يــده
بحــرا يمــوج باشــجار وادواح
بريـك فى جريــه من مائــه صــورا
تبــدو على ثبــج منــه وضحضاح
يختــال فى موكــب جذلــى بلابلــه
يحكــى بشاشــة اعــراس وافــراح

ثم جاء بعد تاسيس مدرسة الوصف الشامية من سار على منواله مثل الشاعر انور العطار الذى اخرج ديوانه «ظلال الأيام» حافلا بمعانى الوصف وصف الطبيعة والأنهار والرياض وبردى والغوطة والخريف ..

أحمد الصافى النجفى وأديب مظهــــر

قلت : ولكن الذى استطاع ان يوصل «مدرسة الوصف الشامية» الى اقصى غاياتها هو محدثى الشاعر عدنان مردم بك فى ديوانه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧٩ م ومسرحياته الاثنتى عشرة التى كتبها خلال خمسة عشر عاما .

قال لي : انا اقدر الشاعر احمد الصافى النجفى «١٨٩٧ ــ ١٩٧٧ م» كان من اصحاب ابى خليل مردم بك وكان يحب شعره ، اتى الشام قبل سنة ١٩٣٠ م وبقى فى جامع الخياطين بدمشق عشرين سنة ، وكانت وزارة الأوقاف السورية اعطته غرفة فى جامع الخياطين المذكور ليقيم فيها ، واول ما تعرفت عليه عندما كان ــ اى الصافى ــ خارجا من المستشفى الوطنى بدمشق بصحبة والدى ، فقد جاء من ايران مريضا منهكا وبقى شهرا بالمستشفى الوطنى بدمشق ، ثم تعرف بالمسكية (المسكية : سوق الكتب الدينية القائم على مدخل الجامع الاموى بدمشق) على الشيخ ياسين عرفة ، وهذا بدوره عرفه على كثير من الشعراء الشاميين ، وكان ابى الخليل اول من حباه بمعروفه ورعايته ، وكتب النجفى يومذاك مقالة انتقد فيها الشاعرين الكبيرين محمد البزم وشفيق جبرى رحمهما الله وقال : «لا شاعر فى سورية إلا خليل مردم بك» وهذه شهادة ادبية لوالدى .

ثم انتقل الى الحديث عن الشاعر اللبنانى اديب مظهر «توفى عام ١٩٢٨ م» وصحبته الخليل فقال : هناك شاعر رمزى كبير هو الطبيب اللبنانى اديب مظهر طبيب اسنان . كان صديقا وفيا لوالدى فى العشرينات وكان الخليل فى تلك المرحلة الصوت الشعرى الأول المندد بالانتداب الفرنسى على سورية ثم تلاه صوت الشاعرين محمد البزم وشفيق جبرى فى الثلاثينات لأنهما من قبل كانا يخافان من التسريح من الوظيفة ، وعندما كتب البزم قصيدته المنددة بالانتداب ومطلعها :

غــادر ويمــم دار ســــلطانا
علــى السويداء لا تحفــل بمــن دانــا

وهى فى تاييد الثورة السورية عام ١٩٢٥ م نشرها باسم مستعار (شاعر عربى كبير) حتى فى «ديوان الثورة» الذى طبعه ياسين عرفة سنة ١٩٢٧ م ولم يصرح فيه باسمه ، اما ابى فكان الفرنسيون يحقدون عليه بسبب انه عاصر

الشاعر عدنان مردم بك
يتحدث
عن ابيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

حكومة الملك فيصل بسورية وولي لها ديوان «تمييز الرسائل» والكتابات فيه باللغة التركية فكان لوالدي الفضل فى تعريب هذا الديوان ، إذ صنع مع حكومة الملك فيصل مدرسة للتدريب على كتابة الرسائل باللغة العربية بدلا من التركية وعمره لا يجاوز الثانية والعشرين . وقد ذكر ذلك في احدى رسائله الى المستشرق الانكليزى مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠ م) ، وكثرت قصائد والدى المندد بالانتداب واثارة الشعب عليه وردتها دمشق ، ولما قامت الثورة السورية ١٩٢٥ م وقام اللهب والحريق والقتل فى جنبات الغوطة الغناء ورحاب الفيحاء ، وقصف الفرنسيون دمشق بالقنابل اطلق الخليل عاصفته الشعرية المدوية التى تناقلتها المجالس ونشرتها الصحف وفيها فضح لجرائم الانتداب وتصوير دقيق لطوفان النار الذى اتى على عاصمة الامويين :

باتت دمشق على الطوفان من لهب
يا ويح قلبي من خطب يكابده
موج من النار لا تهدا زواخره
بمده اخر ما ارتد وافده
في كل زاوية رام ومن نفروا
شيبا وحورا واطفالا طرائده
اما دمشق فلا ترجو لنجدتها
سوى فتاها الذى شاعت محامده

وصمم الفرنسيون على الزج به فى السجن فهرب الى بيروت وفيها استقبله الشاعر اديب مظهر وخباه بقرية «المروج» وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه ، فصنع له اديب مظهر جواز سفر ويسر له الفرار الى الاسكندرية ١٩٢٦ م ، وبالاسكندرية وحلوان لقى شاعر الشعب حافظ ابراهيم وكتب عنه مقالين فى مجلة المجمع العلمى عام ١٩٥٦ م ، ومن مصر قصد جامعة لندن وتخرج بشهادتها ، وعندما

حافظ ابراهيم
التقى بالشاعر فى الاسكندرية



سمع بوفاة الشاعر مظهر فى اب ١٩٢٨ م اسف عليه كل الأسف ونال منه الحزن كل منال .

سلام على دمشق

وفي تموز ١٩٢٩ م عاد الى دمشق فحيا مسقط راسه بقصيدته المشهورة «سلام على دمشق» بعد نزوح دام ٤ سنوات ونيف :

تراءت لي دمشق فقمت ارنو
فرد رواؤها بصرى كليلا
وواتاني القريض وكان حينا
إذا استلهمته كزا بخيلا
رمت بي عن دمشق نوى شطون
غداة اشارف الحدث المهولا
نقمت من الاولى احتلوا حمانا
مدافعة الحقيقة والنكولا
الح علي حب الشام حتى
رجعت الى الحمى نضوا هزيلا

وعاد الى مقارعة الفرنسيين فكتب عام ١٩٣٠ م قصيدة «يوم ميسلون» مجد فيها روح الشهيد يوسف العظمة وامثاله وهى اليوم تدرس فى كتب المرحلة الثانوية بسورية :

اذال الله (جلق) من عداها
واحسن عن اضاحيها عزاها
فكم حملت عن العرب الرزايا
كذاك الام تدفع عن حماها
ابوسف والضحايا اليوم كثر
ليهنك كنت اول من فداها
عضضت لامة منها معد
فارضيت العروبة والالها
مصيبة ميسلون وان امضت
اخف وقيعة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق إلا
تمثل ميسلون وما تلاها
فسل عما تصبب من دماء
تخبرك الحقيقة غوطتاها
ولم ار جنة امسى بنوها

احمد شوقي
ياتي الخليل من بعده فى المسرحيات الشعرية



وقود النار فاترة سواها

وفى عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م وضع النشيد الرسمى السورى وصف فيه ربوع الشام بانها معقل العرب وعرش الشموس تزهو بنفوس ابنائها الاباة ذوى الماضى المجيد :

حماة الديار عليكم سلام
ابت ان تذل النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

الطبيعة والناس البسطاء

والحقيقة ان محدثى عدنان مردم بك تاثر بمدرسة الوصف الشامية التى ارسى والده الخليل دعائمها المعاصرة ، وهو المحدد له المقدر لجهوده العلمية والادبية المتتلمذ على يديه .. ولكنه سار الى اخر الشوط فتعمق اسرار الوصف الشعرى ودقائقه وتحدث عن شؤون لم يسبق اليها فى وصف الطبيعة الجميلة الوادعة : البحر والشمس والقمر والثلج والغوطة .. والطبيعة الغضبى فى الصحراء والمد والنار والمستنقع .. واولى عنايته بالشئون الدمشقية الصرف وجعل لكل منها قصيدة مثل «ليالى رمضان» و «الليل فى دمشق القديمة» و «اسوار دمشق» .. ووصف الحرفيين الدمشقيين : الخباز ـ الجزار ـ الحطاب ـ الحائك ـ الاخزاف ـ الحمال .. يقول فى ديوانه عبير من دمشق (ص ٩٩) يصف صانع الزجاج (وكانت بدمشق معامل تصنع الزجاج على الطريقة اليدوية المعتمدة على النفخ بالفم) :

وتدور في كفيه طابات
تشعشع بالشهاب
وكانه من صدره
يوري التهابا فى التهاب
مازال يصقل دائبا
بتريث كتل التراب

وصف «بائع الصحف» يوم كان يدور على الناس بالجرائد . و «بائع الصبارة» امام طاولته يبيع الناس .. ذلك كله تجلى فى ديوانيه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧١ م .

ونالت الطبيعة الحية والجامدة بالوانها وسماتها من شعره فوزها العظيم سواء كان ذلك فى وصف الامكنة التاريخية فى بلاد الشام مثل قصيدة «قلعة الحصن» و «تدمر التاريخ» ام فى وصف متنزهات دمشق الطبيعية كالربوة ودمر والنيربين والغوطة فى الربيع .. يقول فى قصيدة «الغوطة» من ديوان عبير من دمشق (ص٢٩):

عجبي لها من جنة ابوابها
للوافدين على المدى لا تغلق
الغوطة الخضراء ما من حاجب
يزع المشوق حبالها او يرهق
ابوابها للوافدين تفتحت

فاذا الجموع ببابها تتدفق
والدوح مثل غمائم عصفت بها
ريح فراحت بالجناح تصفق
طابت منابت تربها وتالقت
عن كل زاهرة تروق وتعشق
وازاءها ماء يشوق كتابه
فيه الفخار مدبج ومنمق
سطر الفخار بهن كل عظيمة
عن غابر بشذا المكارم يعبق
بردى نشيد خالد عن غابر
تاه الزمان به وعز المشرق

وصف الفولكلور الشامى مثل سهرات الاسرة الدمشقية والمتحلقين حول النار فى الشتاء ، بائع العرقسوس ، الباعة الذين يعيشون على هامش الحياة يتكسبون ببيع الصبارة او العرقسوس او شي الذرة .. وكان يمزج فى وصفه ماساة المعذبين فى الارض مع وجدانه الشاف فيخرج الشعر ملونا باصباغ العاطفة وبدائع الحكمة .. حتى ان الشاعر المسرحى المصرى المعروف عزيز اباظة ارسل اليه يقول : «اشهد صادقا انك بصف اخوانك شعراء الوصف الشاميين المبدعين ابى تمام والبحترى .. اتيت فى قصيدتك بائع العرقسوس بشىء معجز .. وقد نشرت هذه الرسالة فى مجلة الاديب البيروتية .

ولكن الاجمل من هذا وذاك افتتاحيات دواوينه التى استهلها بقصيدة فى مناجاة الله على طريقة والده الخليل ، يقول فى قصيدة «الله» مطلع ديوانه عبير من دمشق :

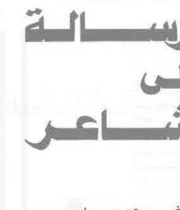
(زحل) يسبح فى مطالعه
لعلاك في شغف كمبتهل
والبحر يجار غير متئد
بدعائه فى قحمة الاصل
والشمس ايتك التى سطعت
اياتها بالحق من ازل
قسماتها فتن تطالعنا
حار الاديب بها كمختبل
والكون مراة طلعت بها
وجلوتها بالصقل عن خلل
سويت حين قضيت عن قدر
بين الورى بنوازع الاجل
الناس ما عاشوا النيام فان
ماتوا استفاق القلب عن خبل
سبحانك اللهم ما فتئت
زلاتنا وقفا على المقل

ولشاعرنا عدنان مردم بك اسهامات كبيرة فى اغناء المسرح الشعرى المعاصر دفعته الى مراتب متقدمة بعد امير الشعراء احمد شوقى ، والتفصيل فى هذا الجانب من الفن المسرحى الشعرى يحتاج الى دراسات مفردة نامل ان يقوم بها النقاد .

الدكتور نسيب نشاوي
سورية



رسالة إلى شاعر



ناظم حكمت
الغنيات مليئة بالمرارة

بشرى ناصر

صديقى ناظم حكمت :

تؤلم ذاكرتى حروفك المكتوبة .. تلك الحروف النظيفة والنابضة ..

وما تزال القصيدة التى تستعصى على الحزن وتاخذه تحضرنى .

وما ازال ابحث عنك حين تسقط اغنياتك الطافحة بالمرارة على برودة القلب فتغطيها بالارتعاشة وتتسلل الى حدائق الشاعر .. تماما كالانسام التى مازالت تعبق برائحة الطين والذكريات القديمة .

يا عزيزى : ها انا ابحث عنك فى السجون التركية .. علني اجد حرفا متعلقا باصرار على الجدران .. اصرار نادر يشبه ذاك الذى يسكنك .

اطالع الباخرة التى اسلموك الى مراحيضها والتى يعلوها الوسخ الى متر ونصف .

انظرك تتقزز وتتقيا امعاؤك .. وانظرهم ينتظرون ان تستفرغ اعترافا او لحظة تداع واستسلام .

يريدونك ان تكون تعيسا .. وتريد ان تانف

تنطلق اغنياتك من حنجرتك كعصافير ملونة .

وحين تقرر نفيك ، كنت تعرف جيدا انك فى طريقك الى الحضن الدافىء الذي ستنعم فيه تجربتك الشعرية .

اذكرك حين قلت « انا اؤمن بمستقبل الشعر .. أؤمن لانى احيا فى بلد يشكل فيه الشعر اكثر مقتضيات الروح لزوما وضرورة ... »

تتحدث عن الشعوب وما تتحمل من الام ومتاعب .. تمنحها صفة ولغة يصعب ان يتحدثوا هم فيها ..

لأنك تعيش معهم بعقلك وروحك .. تراهم يفدون إلى السجون بتجمعات كبيرة .. يتنازلون عن رغبتهم فى التبغ مقابل لقمة خبز .. يقدمونها لهم كوجبة واحدة يوميا .

تنقل إلينا اخبارهم .. وما اوصلهم الجوع إليه .. يلتقطون الحشائش من الارض – يقربونها من افواههم – يمضغونها – يقتلعون كل الحشائش تباعا – ثم صاروا يسيرون على أربع كالدواب .

ها انت ياصديقي تغادر حظيرة الحياة .. ومازالت الارض محملا للاموات والشحاذين والجوعى والوحوش المفترسة

لم تكن تكتب قصائد متعالية .. بيروقراطية ترتدى القفازات الطويلة .. وتدخن السيجار .

كل قصائدك تجلس بين الفقراء والمنهوكين تقاسمهم الحزن والجوع .

اردت ان تجعل من الوريقة الساقطة
قصيدة
او وصية
او املا اخضر

كي تواصل حياة الولادة كل يوم .

والآن .. انتظر أن يعود الزمان طفلا .. كما حلمت وحملت بقلبك الذى كلوزة مقشورة ..

استودعك وفي مجلس الاوراق والدفاتر لك مكان .. وهنا في الخافق لك ارض يلبسها الدمع وتفرش الكابة لها بساطا وتستريح .

فاذا الجموع ببابها تتدفق
والدوح مثل غمائم عصفت بها
ريح فراحت بالجناح تصفق
طابت منابت تربها وتالقت
عن كل زاهرة تروق وتعشق
وازاءها ماء يشوق كتابه
فيه الفخار مدبج ومنمق
سطر الفخار بهن كل عظيمة
عن غابر بشذا المكارم يعبق
بردى نشيد خالد عن غابر
تاه الزمان به وعز المشرق

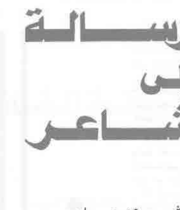
وصف الفولكلور الشامى مثل سهرات الاسرة الدمشقية والمتحلقين حول النار فى الشتاء ، بائع العرقسوس ، الباعة الذين يعيشون على هامش الحياة يتكسبون ببيع الصبارة او العرقسوس او شي الذرة .. وكان يمزج فى وصفه ماساة المعذبين فى الارض مع وجدانه الشاف فيخرج الشعر ملونا باصباغ العاطفة وبدائع الحكمة .. حتى ان الشاعر المسرحى المصرى المعروف عزيز اباظة ارسل اليه يقول : «اشهد صادقا انك بصف اخوانك شعراء الوصف الشاميين المبدعين ابى تمام والبحترى .. اتيت فى قصيدتك بائع العرقسوس بشىء معجز ... وقد نشرت هذه الرسالة فى مجلة الاديب البيروتية» .

ولكن الاجمل من هذا وذاك افتتاحيات دواوينه التى استهلها بقصيدة فى مناجاة الله على طريقة والده الخليل ، يقول فى قصيدة «الله» مطلع ديوانه عبير من دمشق :

(زحل) يسبح فى مطالعه
لعلاك فى شغف كمبتهل
والبحر بجار غير متئد
بدعائه فى فحمة الاصل
والشمس ايتك التى سطعت
اياتها بالحق من ازل
قسماتها فتن تطالعنا
حار الاديب بها كمختبل
والكون مراة طلعت بها
وجلوتها بالصقل عن خلل
سويت حين قضيت عن قدر
بين الورى بنوازع الاجل
الناس ما عاشوا النيام فان
ماتوا استفاق القلب عن خبل
سبحانك اللهم ما فتئت
زلاتنا وقفا على المقل

ولشاعرنا عدنان مردم بك اسهامات كبيرة فى اغناء المسرح الشعرى المعاصر دفعته الى مراتب متقدمة بعد امير الشعراء احمد شوقى ، والتفصيل فى هذا الجانب من الفن المسرحى الشعرى يحتاج الى دراسات مفردة نامل ان يقوم بها النقاد .

الدكتور نسيب نشاوي
سورية

رسالة إلى شاعر

بشرى ناصر

ناظم حكمت
اغنيات مليئة بالمرارة

صديقي ناظم حكمت :

تؤلم ذاكرتي حروفك المكتوبة .. تلك الحروف النظيفة والنابضة .

وما تزال القصيدة التى تستعصى على الحزن وتاخذه تحضرنى .

وما ازال ابحث عنك حين تسقط اغنياتك الطافحة بالمرارة على برودة القلب فتغطيها بالارتعاشة وتتسلل الى حدائق الشاعر .. تماما كالانسام التى مازالت تعبق برائحة الطين والذكريات القديمة .

يا عزيزى : ها انا ابحث عنك فى السجون التركية .. علني اجد حرفا متعلقا باصرار على الجدران .. اصرار نادر يشبه ذاك الذى يسكنك .

اطالع الباخرة التى اسلموك الى مراحيضها والتى يعلوها الوسخ الى متر ونصف .

انظرك تتقزز وتتقيا امعاؤك .. وانظرهم ينتظرون ان تستفرغ اعترافا او لحظة تداع واستسلام .

يريدونك ان تكون تعيسا .. وتريد ان تانف

تنطلق اغنياتك من حنجرتك كعصافير ملونة .

وحين تقرر نفيك ، كنت تعرف جيدا انك فى طريقك الى الحضن الدافيء الذي ستنعم فيه تجربتك الشعرية .

اذكرك حين قلت « انا اؤمن بمستقبل الشعر .. اؤمن لانى احيا فى بلد يشكل فيه الشعر اكثر مقتضيات الروح لزوما وضرورة ... »

تتحدث عن الشعوب وما تتحمل من الام ومتاعب .. تمنحها صفة ولغة يصعب ان يتحدثوا هم فيها ..

لأنك تعيش معهم بعقلك وروحك .. تراهم يقدون إلى السجون بتجمعات كبيرة .. يتنازلون عن رغبتهم فى التبغ مقابل لقمة خبز .. يقدمونها لهم كوجبة واحدة يوميا .

تنقل إلينا اخبارهم .. وما اوصلهم الجوع إليه .. يلتقطون الحشائش من الارض – يقربونها من افواههم – يمضغونها – يقتلعون كل الحشائش تباعا – ثم صاروا يسيرون على اربع كالدواب .

ها انت ياصديقي تغادر حظيرة الحياة .. ومازالت الارض محملا للاموات والشحاذين والجوعى والوحوش المفترسة

لم تكن تكتب قصائد متعالية .. بيروقراطية ترتدى القفازات الطويلة .. وتدخن السيجار .

كل قصائدك تجلس بين الفقراء والمنهوكين تقاسمهم الحزن والجوع .

اردت ان تجعل من الوريقة الساقطة
قصيدة
او وصية
او املا اخضر

كي تواصل حياة الولادة كل يوم .

والآن .. انتظر أن يعود الزمان طفلا .. كما حلمت وحملت بقلبك الذى كلوزة مقشورة ..

استودعك وفي مجلس الاوراق والدفاتر لك مكان .. وهنا في الخافق لك ارض يلبسها الدمع وتفرش الكابة لها بساطا وتستريح .

محطات

بقلم : عبد الله الشيتي

● صعدت إلى قمة الجبل ، واطللت على جمهرة الناس ، فاذا هم من فوق فى حجم اسراب النمل .. يدبون على الأرض .

وامس ، راقبت نملة ، راحت تجاهد حبة قمح ، تروم جرها واختزانها فى « بيت المؤونة » إذا مادهمها الشتاء ، وبدت لعيني انها فى عنادها واصرارها اضخم من .. الجبل !

● قرات ان الحب يجعل الزمن يمضى ، وان الزمن يجعل الحب يمضى . وفى التجربة ، هناك نقيضان ـ تعقيبا منى على هذه المقولة ـ هى ان الحب يبقى ثابتا حيث هو ، وكذلك الزمن ، فانه يدور حول نفسه ..

اما الذى يمضى ، فهو قطار العمر وحده .. والعمر محطات ، ما اتعس واحدنا إذا فاتته « المركبة » الاخيرة من القطار ..

● تامل فى هذه النتيجة الطبيعية ، وتبسم او تالم :

« الفتاة التى تحبها تملكها ، والفتاة التى تتزوجها تملكك !

مبروك ... !

● لم أعرف ماذا يعنى المثل القائل « باب النجار مخلع » إلا عندما زرت بالأمس قريبة لنا زوجها دكتور مشهور فى عالم الأطباء . كان ابنها مريضا يعانى ، وسالتنى قريبتنا إذا كنت أعرف « طبيبا » يعالج ابنها ، فما استغربت وانا اتساءل : اين ابوه .. قالت : مشغول مع المرضى ..

● فى رايى ان الحب مرض خطير مدمر . اما الشفاء منه ، فمزيد من .. الحب !

● إذا كان الحيوان متوحشا ، فان الانسان ـ احيانا ـ اكثر وحشية .. الحيوان يكتفى فى يومه بوجبة واحدة يسد جوعه ، اما الانسان فلابد له من وجبات خمس .

أعرف صديقا « صيادا » ربى على يده عصفورا جميلا فى قفص ، وذات يوم جاع ، ولم يكن فى « ثلاجته » ما يأكله . وبدون ان يدرى ، امتدت يده بالسكين إلى نحر العصفور الجميل ..

● ساسة العالم عقلاء اغرقوا الدنيا فى بحر من القتل والدمار والجنون ..

ماذا لو أن المجانين حكموا هذا العالم .. الن يكون اكثر هدوءا ومحبة ورحمة ..

● ما ابدع ريشة امين نخلة فى هذه الصورة النثرية من « مفكرته الريفية » :

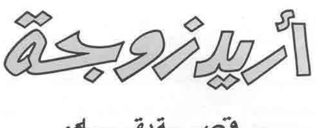
تسال الزهرة الشمس : كيف أستطيع أن اتعبدك ..

فتجيبها : بنقاوتك وصمتك ..

● ظل يحارب المراة سنوات عمره ويعتبر نفسه عدوا لدودا لها .. ويوم شعر بالتعب واراد ان يرتاح ، تزوج ..

● عاش عمره يحلم ان يكون غنيا وان يمتلك ثروة طائلة ، ويوم تاتى له ذاك راح يبحث عن طرق انفاق المال .

● الفلسفة فى جملة واحدة : الموت ليس مشكلة ، الحياة هى المشكلة !



قصة بقلم:
عبد الوهاب داود

الحركة الدائبة فى مصنع تعبئة الأرز ، لا يتتبعها مراد بعينية ، انما بخفقات قلبه فالمصنع هو كفاح عمره وثمن شبابه الغض الذى لم يعرف اللهو ، او حتى الترفيه البرىء عن النفس .

فى ذلك المساء لم يكن مراد مهتما بما يدور فى المصنع .. كان اقل احساسا بالزهو والتفوق وهو يتامل شاردا حماس العمال فى تعبئة الاكياس النايلون ، ولصقها ثم اعدادها للتحميل فوق العربة اللورى ، التى كانت تنتظر خارج المصنع .

كانت هناك مشكلة تعكر صفوه .. مهمة شاقة سيقوم بها هذه الليلة .. مهمة حساسة كما يعتقد ، مهمة لا يتحمس لها كل احد .. فالذهاب الى اسرة فتاة لخطبتها ليسبالامر الهين .. خاصة وهو لا يعرف الفتاة ، ولم يسبق له رؤيتها من قبل ..

وسعل خافتا عم يوسف مدير مصنعه الذى الذى كان يقوم بمهمة الخاطبة هذه الايام ، وهو يتامل وجه مراد الصعيدى الجامد القسمات ، وقد اكسبه النجاح والثروة مظهرا مهيبا جذابا .. ثم ابتسم عم يوسف مقاوما شعورا جارفا بكسرة النفس والخاطر ، شعور معظم الفقراء نحو اولياء نعمتهم .. ثم قال :

ـ هم ناس بسطاء يا مراد بك .. على قد حالهم .. فتوكل على الله .. ولا تتردد ..

ولم يدر أن ملحوظته هذه التى قصد بها أن تبدو عابرة مطمئنة ، هى نقطة الضعف فى الموضوع كله .. فقد كان مراد يتمنى زوجة من اسرة كبيرة .. ذات جاه ومنصب ومال .. لذلك اجاب غير مستريح النفس ، وهو يتململ فى جلسته .

ـ سوف نرى ..

ثم عاد يساله بعد لحظات وهو يقف متظاهرا بعدم الاهتمام .

ـ هل تقول انها طيبة - ؟

اجاب عم يوسف فى حماس وهو يضم ركبته الى بعضهما تزلفا .. قائلا :

ـ هى كذلك .

ثم اسرع موضحا ، وهو يتامل مراد بقوامه الفارع يتصوره عملاقا لا يقف امامه عائق :

ـ ولكنها لا تمتلك عيادة خاصة .. او سيارة ..

واراد ان يشرح له المزيد .. فقال وهو يخرج فى اضطراب منديلا من جيبه دون حاجة اليه :

ـ تقاليد الأسرة المحافظة لم تسمح لها بذلك .. بالكاد سمحت لها ان تكون طبيبة موظفة .. والامر مرهون إليك مستقبلا ..

ولم يجب مراد ، اكتفى بايماءة ملولة .. ثم شرد يجتر احلامه فى زوجة فاتنة شقراء .. شديدة الاعتزاز بنفسها .. ثم استدار الى عم يوسف لائما ساخرا :

ـ الم تجد فى السوق عروسا خيرا من تلك - ؟

اجاب عم يوسف فى ثقة وحماس :

ـ هى جميلة جدا .. وشقراء كما تحب ..

ـ كم عمرها قد نسيت - ؟

ـ عشرون عاما ..

قال مراد وهو يعلم انه لا يقول الصدق .

ـ كنت اودها اكبر قليلا .. لتتناسب مع عمرى ..

تحمس عم يوسف فجاة .. قائلا :

مازلت يامراد بك شابا تحلم بك الفتيات .. المراهقات

قال مراد ضاحكا فى امتنان :

ـ اعتمدنا على الله ..

لم تكن المرة الاولى التى يذهب فيها مراد لخطبة فتاة .. كانت قد تكررت مثل هذه التجربة فى حياته عدة مرات ثم تدخلت ظروف واستجدت أمور لم تكن على بال ، فلم يكتمل المشوار .. وكان مراد يدرك ان معظم تلك الظروف كانت من جانبه هو .. فهو يعلم ان التردد ـ وهو افته ـ كان العامل المشترك فى هذه الاسباب .. وكانت الرغبة فى بناء نفسه تسبق اولا كل الاحلام والامنيات .. وتحولت تلك الرغبة الدفينة الى إرادة لا تقاوم ، لم تتولد عنده من فراغ ، كان يتمثل اباه وهو يشكو الحياة .. وكيف شغلته امور الاسرة عن السعى وراء المال .. وكانت سببا فى عزوفه عن المخاطرة والمغامرة .. والثراء .. قانعا بالوظيفة الحكومية ، يصعد درجاتها فى صبر واناة .. تعرف قدماه الطريق .. وكانه يسير معصوب العينين وسط قطيع من الموظفين لا يبدو له أول من اخر ..

استرد مراد بك بتلك الذكريات ثقته بنفسه .. والتفت الى عم يوسف مرددا :

ـ على بركة الله ..

قال عم يوسف فى لهجة غريبة مقصودة .. محاولا ان يضع الفتاة فى اطار جميل جذاب :

ـ كل ما ادعوه ان تقبل الفتاة هذه المرة

تساءل مراد فى عزة واستنكار :

ـ ولماذا لا تقبل - ؟

اجاب عم يوسف مستمرئا ذلك الاهتمام المفاجىء .

ـ تقدم اليها الكثير من قبل .. ولكنها رفضتهم جميعا باعذار واهية .. غير مقبولة .

قال مراد بعصبيته :

ـ لابد انها تحب رجلا معينا ..

واسقط فى يد عم يوسف ، فانبرى مدافعا :

ـ لم يحدث .. انها تعرف ربنا جيدا .. تصلى وحدها طوال الليل .. وتعتقد ان الزواج سوف يعطلها عن صلاتها ..

تساءل مراد ساخرا .. مزهوا بنفسه :

ـ ربما لم يتقدم اليها الشخص الذى تتمناه فى خيالها ..

أريد زوجة

ثم فى لهجة اكثر غرورا وقسوة :

ـ الرجل الذى يملأ عينيها ..

وابتسم عم يوسف عن فم خـــاوى الاسنان .. يطرى خفة ظل مــــراد :

ـ سوف نرى ..

صاح مراد فى ضيق :

ـ سوف نرى .. ماذا سوف نرى ـ ؟

وانتظر قليلا .. ثم وقف .. قائلا .. امرا .. هيا بنا

فى العربة « البويك » الفاخرة ، جلس خلف عجلة القيادة مراد .. وهو يهمس إلى نفسه مقتنعا .. « حقا قد آن الاوان ان اتخذ لى زوجة وافتح بيتا .. فعلا قد ان الاوان يا مراد » ثم اختلس نظرة الى وجهه فى مرآة العربة الصغيرة .. ثم سوى بسرعة شعيرات رأسه البيضاء .. فتذكر انه لم يستبدل بدلته منذ اسبوع مضى .. ولم يحلق منذ يومين .. فكر فى أن يعرج اولا الى بيته ليغتسل ويصلح من شـان مظهره ، ولكنه خشى ان يتاخر كثيرا عن الموعد .. فتوكل على الله .. غير عابىء بشىء .

هبط عم يوسف من العربة اولا .. وانتظر واقفا حتى اوقف مراد المحـرك وخرج متثاقلا .. متسائلا فى ازدراء :

ـ هنــــــا ـ ؟

اجاب عم يوسف وهو يتقدمه .. فى لهجة توحى بالصبر :

ـ اتفضل يا مراد بك ..

وتبعه مراد فى غير حماس .. صدمته مظاهر الفقر والقذارة والزحام ، وتطل من محلات البقالة الصغيرة المتواضـعة .. وتبدو من محل العجلاتى الذى علق على الحائط بعض الدراجات القديمة الكالحة تستريح بعـد يوم طويل شـــاق مليء بالسباب .. كما تطل من ذلك المقهى الذى يحتل الناصية .. وتسمع منه « كركرة » الجوزة .. وصوت الملاعق الالمنيوم وهى تصطدم فى جوانب الاكواب ، تذيب السكر فى الشاى الاسود الثقيل ...

همس مراد بك الى نفسه متعجبــــــا فلابد ان يوسف قد جن بلا شك .. كيف يقودنى لاتزوج من هذا الزقاق .. وبــدا يخطو من خلفه فى استياء شديد .. يكاد يدق يدا بيد اسفا .. عم يوسف فقد عقله حقيقة ..

كان مدخل العمارة القديمة غارقا فى الظلام .. تتحسسه بصعوبة الاقدام ، ولا ترى العين درجاته التى تاكلت من كثرة الدبيب عليه صعودا وهبوطا نصف قرن من الزمان ..

تساءل مراد دون ارتياح ، وهو يستند بيده على سور السلم الحديدى الذىاعتراه الصدا والتراب :

ـ إلى اى طابق ستصعد يا يوسف ـ ؟

فاجابه بسرعة يطمئنه ويزرع فى قلبه الصبر .. قائلا .. مهونا :

ـ الاول .. الاول باذن الله ..

تذكر مراد فى الحال تلك القصر الذى دخله ذات ليلة منذ عشرين عاما ، وهو فى عز رجولته ، ليخطب إحدى ربيبات الصون والعز والعفاف .. وتذكر كيف كانت الثريا ليلتها داخل القصر تضىء شارع العروبة فى مصر الجديدة .. بل تضىء القاهرة نفسها .. فاحس بالحسرة والندم انه لم يمض ايامها فى إجراءات ذلك الزواج ، بحجة انه لم يبن نفسه كما ينبغى ، وانه سوف يجد فى المستقبل من هى اكثر من تلك العروس جمالا وعزا وجاها ..

وقف مراد امام باب شـقة العروس لحظات ، ريثما سمح لهما ـ هو ويوسف ـ بالدخول كان مراد يشعر بالسخط الشديد على يوسف ، الذى لم يعـرف ابسط ما يتمناه فى زوجة المستقبل ..

اجتاز مراد ومن خلفه يوسف صـالة واسعة ، خافتة الضوء عن قصد ، حتى لا ترى عين الغريب ما لا يجب أن تراه .. وسارا كانهما يتبعان خطا مرسوما قادهما مباشرة إلى حجرة الصالون ، فلا تقع عيناهما على غيرها من حرمات البيت ..

جلس مراد ووضع ساقا فوق سـاق ، ينتظر قدوم من يرحب به ، غير هياب او وجل ، فلم يعد حريصا ان يبدو للعروس فى احسن حالاته حليق الذقن .. انيقا .. معطرا .. ثم اشعل سيجارته راضيا عن نفسه مطمئنا ، كان ينتظر رفع الستار عن تمثيلية لا يهمه كثيرا رؤيتها ..

واخيرا دخلت سيدة عجوز ترتدى الســـــواد .. تقدمت منهمـــا خطوات ، وصافحتهما ، ثم وقفت مترددة حتى اشار لها مراد ـ رحمة بهـــا ـ ان تجلس ..

فجلست بعيدا عنه ، ترحب به فى ضوء خافت لايكاد يسمح بالرؤية ، والتفت مراد إلى مدير مصنعه فى نظرة ذات معنى .. فتقلص الرجــــل ، وضم ركبتيـــــه إلى بعضهما متخوفا العـــواقب .. وكانه يتوسل الى سيده بان يتريث ، فلا يتسرع فى احكامه ..

ثم لم تمض دقائق حتى انقلب ذلك الفتور راسا على عقب .. ولم يعـد هناك رابط بين اللحظة الماضـيـة واللحظة الحاضرة .. اهتزت كل الاشـيـاء فجاة .. وارتج على مراد وهو يتامل قمرا يهل عليه من الصالة ، ويدخل اليه فى ثبات واعتزاز .. حاملا صينية من فوقها بدت اقـداح ملونة .. مجهولة الاســم والصنف .. والهوية ..

التفت مراد بسرعة إلى عم يوسف ، الذى اكتفى بان اغلق عينيـــه .. كانه يقول له فى عتاب الم اقل لك يا مراد .. بانك سوف ترى ـ ؟

هب مراد من جلسته مبهورا ، لم يكن يحلم انه يصادف هذا الجمال عمره .. واسرع يتناول الصينية من العروس ، ويضعها على المائدة التى كانت تتوسط الصالون .. ناولته الفتاة يدها فى فتور وكبرياء .. واسرعت الأم تدعوهـــا إلى الجلوس ..

وادرك مراد بأنه مطلوب ـ فى مثل هذا الموقف ـ ان يتكلم ، ويقدم نفسه فى لباقه والا يجلس هكذا صامتا كالصنم .. سال العروس عن اسمها .. فاجابت بسرعة .

ـ صفاء ، العمر عشرون سنة .. اعمل طبيبة بالقصر العينى ..

ثم توقفت متسائلة وهى تشعر نحوه بالفتور :

ـ هل هذا يكفى ـ ؟

صاح مراد فى ثقل دم :

ـ يكفى وزيادة ..

وتطوع عم يوسف بالنيابة عن سيده .. فذكر لها ما يملكه مراد من مصنع وعقارات وانه لم يسبق له الزواج من قبل .. وانما بالطبع من أسرة عريقة بالصعيد البعيد .. وانه مستعد لتاثيث بيت الزوجية على احسن طراز ..

وتدخل مراد فى عظمة وكبرياء ، فاوقف عم يوسف باشارة من يده ، وبدا يقرر فى

زهو ما سوف يحققه للعروس من حياة رغيدة سعيدة ، وتعهد ان يشترى لها سيارة خاصة ، وان يؤسس لها عيادة طبية فى وسط البلد .. مجهزة باحدث التجهيزات العصرية وان .. وان ..

تاملت العروس مراد وهو يتحدث عن نفسه فى خيلاء وعظمة كمن لا يهمها الامر استرعى انتباهها الزبد الذى تكاثر على جانبى شفتيه القاسيتين الزرقاوين فى لون الحبر ، احست بالغثيان .. لم تعد قادرة ان تسمع المزيد .. فانتهزت اول فرصة توقف فيها الحديث ، فاستاذنت فى حزم وغادرت الحجرة ، وتتبعا مرادوجلا ، وكانها شمس الأصيل قد غربت ، ثم لم تلبث ان لحقت بها الام تتعثر حائرة ..

تساءل مراد فى قلق :

ـ لماذا لا تريد ان تجلس معنا - ؟

اجاب عم يوسف وهـــو يخفض من صوته موضحا الامر ، مهونا وقعه السيىء فى نفس الوقت :

ـ انها خجول كما ترى ..

ثم قطع همسهما تلك المحاولات التى بذلتها الأم فى سبيل اقناع العروس ان تدخل الصالون ثانية .. مرددة فى رجاء :

ـ انت اكرم من ذلك يا ابنتى ..

بلا فائدة .. فقد أصرت الفتـــاة على موقفها ، ثم فقدت صبرها فى النهـاية ، فقالت غير حريصة ان تخفض من صوتها ، غير عابئة ان تجرح مشاعر احد .

ـ انه شيخ مسن .. هرم ..

ثم فى توسل ورجاء :

ـ هذا ظلم كبير يا امى ..

انهارت امال مراد .. وانصرف مدحوراً يتبعه يوسف اسفا حزينا لما حدث .. كان مراد يتلمس درجات السلم فى الظلام درجة درجة ، وكانه يمضى ايام عمره الباقية الفانية .. فكر لحظة ان يقول لمدير مصنعه بان الدنيا لا تهب احداً كل شىء .. ولكنه احجم .. قائلا .. امرا فى كبرياء ان اكتب يا يوسف فى باب اعلانات الزواج فى الصحف ، إننى اطلب زوجة مقبولة الشكل .. لا يقل عمرها عن خمسة وثلاثين عاما .. عانس .. ارملة .. او مطلقة .. تقدس الحياة الزوجية ..

عبد الوهاب داود





الشاعر اليوناني كافافيس .. وهب نفسه بأمانة وصدق للثقافة والفن

شاعر عالمي من الاسكندرية

كافافيس

قسطنطين ب. كافافيس ١٨٦٣-١٩٣٣

القصائد ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية

هذا الشاعر العظيم

« كونستانتين كفافيس » شاعر يوناني ولد بالاسكندرية سنة ١٨٦٣ ، وتوفى بها سنة ١٩٣٣ ، ومازال بيته فى الاسكندرية قائما حتى الآن ، ورغم أن الشاعر قد استقر معظم حياته فى الاسكندرية ، ولم يخرج إلا فى فترات قصيرة محدودة ، إلا انه استطاع فى عصره أن يلفت الأنظار إلى شعره الانسانى العميق المتميز ، وقد وصفه احد الأدباء المعاصرين له هو « جاستون زنانيرى » بقوله « كانت المنطقة التى يعيش فيها بالاسكندرية تعاكس بقبح منظرها جمال بيته الداخلى المتلىء كتبا. وكان كفافيس يميل إلى التكلم فى التاريخ الرومانى والبيزنطى مضيفا إلى معارفه العميقة خبرة وافية فى الفلسفة ، وكان كفافيس معتزلا كالنساك المصريين القدماء . وكان شفيقا على الناس محبا لهم ، وقليل الوهم والغرور ، يحمل رغائب غير مفهومة من محيطه وامالا غير محققة ، ولذلك كانت تبدو على شعره فى الغالب مسحة حزينة ، وقد تساءل الناس هل كان كفافيس مؤمنا ، فكل المظاهر تدل على إيمانه ، أجل إنه فى البدء كان ضعيفا ، ولكن الدين تأصل أخيراً فى قلبه ، وقد كان محدثا لطيف المعشر يأخذ كلامه بمجامع السامعين لكنه أصيب فى نهاية حياته بداء هائل أفقده النطق فمات ابكم » .

هذه بعض ملامح شخصية الشاعر العظيم كونستانتين كفافيس ، الذى ما إن مات حتى اخذت شهرته تتزايد . واقبل عليه الدراسون فى شتى انحاء العالم . واهتم به أكبر النقاد والباحثين فى اهم جامعات أمريكا وأوروبا ، وكفافيس على عمقه هو شاعر بسيط ، ليس فى شعره تعقيد ، كما انه من الشعراء العالميين القلائل الذين يستطيعون ان يفرضوا روحهم المتوهجة المليئة بالاشعاع الوجدانى والفنى ، بعد ترجمتهم الى اللغات الأخرى ، فكثيراً ما يفقد الشعر تاثيره وقيمته بعد ترجمته من لغته الأصلية ، ولكن كفافيس يظل شاعراً عظيما فى لغته الاصلية وفى كل اللغات التى تتم ترجمة شعره إليها ، وخاصة إذا اتيح له مترجم متمكن يفهمه ويتذوقه ويحس بعالمه الداخلى العميق المأساوى العذب ... وعلى هذه الصفحات نماذج من شعر كفافيس ، ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية ، وهو اديب وفنان موهوب ، ومخلص ومثقف ، ابتعد عن الأضواء ووهب نفسه بأمانة وصدق للثقافة والفن ، وهو احد المثقفين العرب القلائل الذين درسوا اليونانية القديمة والحديثة لغة وثقافة ، ومن هنا كانت ترجمته لكفافيس عملا لامعا ، قد لا يستطيع أن يقوم به فى الأدب العربى المعاصر من هو افضل منه وما أحوجنا ، فى شعرنا الحديث ، إلى الاتصال بهذا النبع الصافى الانسانى الجميل ، نبع : كفافيس العظيم .

رئيس التحرير

« .. جلست أخيراً والوقت مساء والجو جميل فى شرفة مطلة على النيل فى منزل صديقى الكاتب الفنان الأستاذ نعيم عطية وهو يقرأ لي ترجمة لنص قصائد كافافيس شاعر الاسكندرية المسكين . ما أسهل الكلمات . ما ابسطها . ما اعذبها . المعانى مبراة من التعقيد ومن الشطارة .

ليس المهم فى هذه القصائد ما تقوله ، بل ما تنم عنه ، تحسب انك تقرأ حكاية من حكايات كل يوم ، عن لقاء عابر ، عن ليلة تضيئها الشموع ، فاذا بما تقرأ هو فى الوقت ذاته خلاصة مأساة الانسان إزاء قدره ، تلهفه على الموت وخوفه منه .. لم أر فى غير هذه الملعقة الذهبية الصغيرة التى يدنيها كافافيس إليك ، بها رحيق يسقيك به مثل هذا البحر الزاخر بالأحاسيس ، عنده كل ومضة شمس ، وكل قطرة عصارة ألف عنقود ، هذا هو الشعر فى بساطته وانسانيته ، أثره عند السامع لابد أن يتصاعد من الاعجاب الى الطرب ، الى اللذة الى النشوة ، ثم الى الهزة التى ترج الروح رجاً ، لتبحر نحو شاطىء يتراءى من بعيد نحو الضباب ، نحـــو السراب ، لا تدرى » .

يحيى حقى
فى كتابه « أنشودة البساطة » ص ٦٦

النوافــــذ

فى هذه الغرف المظلمة التى امضي فيها اياما ثقالا ، اروح واغدو باحثا عن النوافذ .

عندما تتفتح نافذة سيكون هذا عزاء . لكن النوافذ لا اثر لها ، او انى غير قادر ان اعثر عليها .

ربما كان من الأفضل الا اجدها ، ربما كان النور عذابا جديداً من يدري كم من اشياء جديدة ستظهر .

أســوار

بلا تحفظ ، بلا حسرة ، بلا حرج ، بنوا حوالي اسوارا ضخمة عالية .

وها انا اجلس الآن فى يأس ، لا افكر في شيء اخر ، ولو ان عقلي يمزقه ماحدث ، لأن علي ان اقوم بالعديد من الأشياء فى الخارج .

اه ، كيف لم اتنبه وهم يبنون الأسوار . لكني لم اسمع جلبة بنائين ولا صوتا قط .

لقد عزلوني عن العالم الخارجي دون ان اشعر .

أصــوات

اصوات خفية حبيبة ، اصوات اولئك الذين ماتوا ، او اولئك الذين هم بالنسبة إلينا ضائعون مثل الموتى ، تتكلم فى احلامنا ، واحيانا فى الفكر يسمعها العقل .

ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياتنا الاولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

الســفين

تشبهه بطبيعة الحال الصورة الصغيرة المرسومة له بالقلم .
انجزت على عجل ، كنا على ظهر سفين ، ذات امسية ساحرة ، والبحر الايوني مترامي الاطراف يمتد حولنا .
تشبهه ، لكني اذكره على اي حال اكثر وسامة من صورته .
كان عاطفيا إلى حد المرض ، فيشع هذا ضياء على قسماته .
الآن وروحي تستحضر ذكراه عبر الزمن يبدو لي اكثر وسامة .
وعبر الزمن أضحت هذه الأشياء ايضــا ..
الصورة والسفين ، والامسية ..
بالغة القدم .

عندما تتقلب

تشبث بها ، واحتفظ ، أيها الشاعر ،
مهما كان قليلا ما يبقى
احتفظ برؤى حبك
سربهــا فى ابيات شعرك .
لــذ بها ، ايها الشاعر ،
عندما تتقلب بالليل فى رقادك
او يصحو عقلك في وهج الظهيرة .

من فرط ما تأملت

من فرط ما تأملت الجمال انتشت به عيناي

اجساد بديعة التكوين ، مشتهاة ، شفاه حمراء ،
خصلات شعر كما لو كانت لتماثيل اغريقية ، متهدلة وعلى الدوام جميلة ، تسقط
على الجباه البيضاء قليلا ،
وجوه التقيت بها سرا فى ليالي
وجوه للحب ، كما ارادها شعري فى ليالي الشباب .

نفائـــس الدكان

نسقها ، ولفها بحرص فى حرير اخضر ثمين ،
لآلىء بيضاء ، وياقوت احمر ، واحجار بنفسجية نضدت زهرا .
كما ارادها وتصورها جاء جمالها تحفة . وليس مثل الطبيعة راها وصممها.
فى الخزينة يودعها ، نموذجا على براعة صنعته وجراتها .
فاذا ما دخل الدكان مشتر ، اخرج من الصناديق مشغولات اخرى يبيعها ،
اساور سلاسل وعقودا وخواتم ـ حليا بديعة ذاعت شهرتها .

المغـــزى

سنوات شبابي ، طلبي للمتعة ، يتضح الآن مغزاهـــا .
كم كانت انشغالاتي فانية ، تواهه تثير الندم ، وما كنت ادرى آنذاك مغزاهــا .
من مجـــون شبابي تشكلت مقاصد شعري ، وارتسمت لفني مجالاته
لهذا فان ندمي لم يكن على الاطلاق قاطعا ، وما كانت قراراتي
بان اغير من نفس تدوم سوى اسبوعين على الاكثر .

أشيـــاء مرسومة

احب عملي ، واوليه اهتمامي ، لكن الخمول تبط همتي اليوم ، وحال الاجهاد بيني وبين ان اواصل ابداعي .
كان للنهار تاثيره علي ، فقد ازداد محياه إعتاما ، ومضت الريح تعصف تباعا ، ولم يتوقف المطر .
فترت رغبتي للكلام ، وتقت أكثر ان اشاهد لوحاتي .
إلى هذه الصورة هناك ، يرنو الآن بصرى ، صبي إلى جوار نافورة رقد . وياله من صبي مليح ، ويالها من رائعة تلك الظهيرة التى احتوته فى إغفاءته .
اجلس ، واتامل ساعاتـطوالا هذه اللوحة .
وها انا بالفن ذاته استريح ، واعود فاتخفف من عنائه .

أن تُنَصَّب والياً

ياللكارثـــة ان تكون لروائع الاعمال وكبيرها مؤهلا فيتنكر لك النجاح دائما ، ويوقعك حظك العاثر فى صغائر وعادات رخيصة لامبالية .
وكم كان مفجعا يوم ان استسلمت فشددت الرحال إلى عاصمة الفرس لاجئا .

ذهبت إلى ملكهم ، فادخلك بلاطه مرحبا ، يعرض عليك ضمن ما يعرض اقاليم يوليك حكمها ، فتقبلها منقبض النفس ، يائسا .

انت لا تريد هذه الاشياء ، وروحك تطلب غيرها ، تبكي حسرة من اجلها ، من اجل كل ما هو صعب لا يقدر بمال ، من اجل حب الجماهير وثناء الحكماء ، من اجل كل ما هو عزيز المنال .
إن المحافل ، والمسارح ، واكاليل الغار ، كل هذا الذي سيغدقه عليك ملك الفرس ، كل هذا الذى ستجده فى الاقاليم التى ستنصب عليها واليـــا ، كل هذا بالامكان ان تمضي حياتك بغيره .

معاناة شـــاعر

شيخوخة جســدى وهيئتي ، جرح من طعنة سكين رهيب ، لا طاقة لي على احتماله .
إليك اهرع ، يافن الشعر ، يامن تعرف من العقاقير ما يداوى ، وقد يكون لديك من الخيال والكلمة للآلام مسكن .
من طعنة سكين رهيب أعاني ، فلتجلب ، يافن الشعر ، أدويتك ، تزيل بها ـ لبرهة قصيرة ـ شعوري بالجرح ووقـــع الالم .

قســـم

من ان لآخـــر يقسم ان يبدا حياة افضل ، لكن عندما ياتى الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده ـ عندما ياتي الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطلب ، إلى الفرحة المحتومة يعود خاسرا من جديد .

أرواح العجـــائز

فى اجسادها العتيقة المهدمة تجلس ارواح العجائز ، مسكينة ، كم هي حزينة . كم هي ضجرة بالحياة التعيسة التى تحياها ، كم ترتعد خشية ان تفقدها ، فكم تحب الحياة تلك الأرواح المبلبلة المتناقضة التى تقبع فى جلودها البالية الهرمة مثيرة للضحك والرثاء .

المدينـــــة

قلت « ساذهب الى ارض اخرى ، ساذهب الى بحر اخر ، مدينة اخرى ستوجد افضل من هذه » . كل محاولاتى مقرر عليها الفشل ، وقلبى مدفون كالميت ، الى متى سيبقى فكرى فى الحزن . اينما جلت بعينى ، اينما نظرت حولى ، رايت خرائب سوداء من حياتى حيث العديد من السنين قضيت وهدمت وبددت .

لن تجد بلدانا ولا بحورا اخرى . ستلاحقك المدينة وستهيم فى الشوارع ذاتها . وستدركك الشيخوخة فى هذه الاحياء بعينها . وفى البيوت ذاتها سيدب الشيب إلى راسك . ستصل على الدوام إلى هذه المدينة . لا تامل فى بقاع اخرى . ما من سفين من اجلك ، ما من سبيل . وما دمت قد خربت حياتك هنا ، فى هذا الركن الصغير ، فهى خراب اينما كنت فى الوجود .

شمـــوع

ايام الغد تقف امامنا مثل صف من الشموع الصغيرة الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة .

الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطا حزينا من الشموع المطفاة ، واقربها مازال الدخان ينبعث منها . شموع باردة ذائبة ومحنية .

لا اريد ان اراها ، فمراها يبعث الشجن فى نفسى ويشقينى ان اذكر نورها الأول ، فانظر قدما الى شموعى الموقدة .

لا اريد ان التفت ورائى خشية ان ابصر فيتملكنى الرعب وان ارى الخط المظلم يمعن فى الطول ، والشموع المطفاة سرعان ما تتزايد .

ايثــاكا

إذا ما شددت الرحال إلى « إيثاكا » فلتتمن ان يكون الطريق طويلا حافلا بالمغامرات ، مليئا بالمعارف . لا تخش الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ، فانك لن تلقاها فى طريقك ما دام فكرك ساميا والعاطفة الخالصة تقود روحك وجسدك . لن تقابل الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ما لم تكن قد جلبتها معك فى اعماقك ، وما لم تكن روحك قد اقامتها امامك .

تمن ان يكون الطريق طويلا ، واصبحة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحا مبتهجا الى موانىء تراها لاول مرة .

توقف عند اسواق سورية ، واحصل على البضائع الجيدة ، اصداف ومرجان وكهرمان وابنوس وعطور ممتعه من كل نوع ، وعلى الاخص من العطور الممتعة خذ قدر ما تستطيع .

واذهب الى مدائن مصرية كثيرة لتتعلم وتتعلم من الجهابذة ..

لتكن « إيثاكا » فى فكرك دائما ، والوصول اليها هو مقصدك ، لكن لا تتعجل فى سيرك . الافضل ان يدوم السفر سنين عديدة ، وان تصل الى الجزيرة عجوزا غنيا بما كسبته من الطريق ، لا تتوقع ان تعطيك « إيثاكا » ثراء .

لقد منحتك « إيثاكا » الرحلة الجميلة . فما كنت تخرج الى الطريق لولاها ، وليس لديها ان تعطيك اكثر من ذلك .

ولو وجدت « إيثاكا » فقيرة فهى لم تخدعك ، وما دمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبرة ، فلابد انك قد فهمت ماذا تعنى « إيثاكا » واى « إيثاكا » .

فى انتظار البرابرة

ما الذى ننتظره فى السوق محتشدين ؟
ان البرابرة يصلون اليوم .
وفى مجلس الشيوخ ، لماذا هذا الاعراض عن العمل ؟
لماذا جلس الشيوخ لا يسنون التشريعات ؟

لان البرابرة يصلون اليوم . وما الجدوى من ان يسن الشيوخ التشريعات ، طالما ان البرابرة عندما يحضرون سيسنون هم التشريعات ؟

لماذا صحا امبراطورنا مبكرا هذا الصباح ، وجلس عند البوابة الكبيرة فى المدينة على عرشه مرتديا تاجه وزيه الرسمى ؟

لان البرابرة يصلون اليوم . والامبراطور فى الانتظار ليستقبل رئيسهم ، بل واعد الامبراطور العدة كى يمنحه شهادة فخرية يضفى عليه فيها رتبا والقابا .

لماذا خرج الحكام اليوم فى مسوحهم الحمراء الموشاة ؟ لماذا لبسوا اساور ذات جواهر قرمزية وخواتم زمردية براقة ؟ لماذا يمسكون اليوم عصيا ثمينة مزينة بالذهب والفضة ؟

لان البرابرة يصلون اليوم ، ومثل هذه الاشياء تبهر البرابرة .

لماذا لا يجىء الخطباء المفوهون مثل كل يوم ليلقوا خطبهم ويقولوا ما الفوا ان يتشدقوا به ؟ لان البرابرة يصلون اليوم ، وهم يملون الخطب وتضجرهم البلاغة .

لماذا يبدا فجاة هذا الانزعاج وهذا القلق ، ويرتسم الجد على الوجوه ؟ لماذا تقفر الشوارع والميادين بسرعة ويعود الجميع الى بيوتهم وقد استبد بهم التفكير ؟

لان الليل قد اقبل ولم يحضر البرابرة ، ووصل البعض من الحدود ، وقالوا انه ما عاد للبرابرة وجود .

ماذا سنفعل الآن بلا برابرة ؟ لقد كان هؤلاء الناس حلا من الحلول .

البحر فى الصباح

فلاقف هنا ، ولار انا ايضا الطبيعة مليا .
شاطىء بحر رائع ، ازرق اصفر ، فى صباح ، سماؤه صافية .
كل شىء جميل مفعم بالضياء .
فلاقف هنا ، لاخدع نفسى بانى ارى هذه حقا ولا ارى خيالاتى ، ومتعة وهمية .

منــــذ التاسعة

الثانية عشرة والنصف . مضى الوقت سريعا منذ ان اوقدت المصباح فى التاسعة وجلست هنا . جلست دون ان اقرا ودون ان اتكلم . ومع من اتكلم وحيدا فى هذا البيت .

منذ ان اوقدت المصباح فى التاسعة جاءنى طيف جسدى فى شبابه ، وذكرنى بغرف مغلقة تفوح منها العطور ، وبمتع عابرة ــ وكم كانت متعا جسورا . كما مثلت امام عينى شوارع لم تعد معروفة ، ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة ، ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .

جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بالاحزان ايضا . بالفراق وبحداد الأسرة على من مات من افرادها . باحاسيس ذوى ، واحاسيس موتاى ولم اكن اقدرها من قبل حق التقدير .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضى الوقت سريعا .
الثانية عشرة والنصف . كيف مضت السنون وولت .

أيام عــام ١٩٠٣

لم اجدها مرة اخرى . ضاعت منى بسرعة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب .. فى ظلمة المساء المخيمة على الطريق ..

لم اجدها مرة اخرى ــ تلك التى ظفرت بها صدفة واعرضت عنها غير مكترث ، ثم عدت اطلبها بلهفة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب ، وتلك الشفتان ــ لم اجدها مرة اخرى .

مأساة أنطونيوس

عندما تسمع فى منتصف الليل فجاة ، فرقة من المغنين ، تمر فى الطريق غير مرئية ، بموسيقاها الصاخبة ، بصياحها الذى يصم الآذان ، كف عن أن تندب حظك الذى ضاع وخطط حياتك التى اخفقت ، وأمالك التى احبطت . دع عنك التوسلات غير المجدية .

وكن كمن هو على اهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، ودعها ، ودع الاسكندرية التى ترحل .

وبالاخص ، حذار ان تخدع . لا تقل ان الأمر كان حلما ، وهما فى اذنيك وكذبا . آمال بالية مثل هذه لا تصدق .

كمن هو على اهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، كما لو كنت اهلا لها حقا ، اهلا لمدينة مثل هذه ، اقترب بخطى ثابتة من النافذة ، واستمع بحزن ، ولكن بلا توسلات جبانة ، ولا شكاوى ذليلة .

استمع حتى النهاية إلى الاصداء المبتعدة ، واستمتع بها ، استمتع بالنغمات الرائعة من الفرقة الخفية التى تمضى الى الزوال .

ودعها ، ودع الاسكندرية ، الاسكندرية التى تضيع منك الى الأبد .

الشـــمعدان

فى غرفة صغيرة جرداء ، بين اربع حوائط ،
مغطاة بكسوة خضراء ، جد خضراء ،
يتاجج شمعدان جميل بالاضواء .
كل شعاع من لهيبه ، يتدفق متقدا برغبة واشتهاء :
ليس على الاطلاق بالمالوف ذلك الضوء الذى يتالق فى الغرفة
الصغيرة العامرة بوهج الشمعدان المستعر .
فمتعة هذه الحرارة للاجساد الهيابة لم تخلق !

أولى درجات السلم

جاء الشاعر الشاب افمينيوس ،
ذات يوم ، الى ثيوكريتوس يشكو :
« سنتان مرتا الآن وانا اكتب ،
والى غير قصيدة غزلية لم اتوصل .
عملى المتقن الوحيد هى .
واحسرتاه ، ارى سلم الشعر عاليا
عاليا جدا اراه .
ومن هذا الدرج الذى اقف عنده هنا
لن ارقى ، انا المسكين ، ابدا » .
قال ثيوكريتوس : « هذا الكلام تجديف
وغير لائق
وان كنت عند أولى الدرجات ، فيجدر
ان تفخر بذلك وتسعد
فليس بالقليل انك قد وصلت الى هنا
والذى انجزت هو لك شرف كبير
وهذا الدرج الأول
عن عامة الناس يبعد الكثير
وكى تطأ قدمك ذاك الدرج
يجب أن تكون بحق
فى مدينة الفكر مواطنا
ومن الصعب فى تلك المدينة
بل ومن النادر ايضا ان يقبلوك مواطنا
ففى السوق تجد واضعى قوانين
ليس بامكان افاق ان يخدعهم
ليس بالقليل انك قد وصلت الى هنا
والذى انجزت هو لك شرف كبير .

المتعـــة

بهجتى ومنتهى حياتى ذكريات ساعاتى
التى لقيت فيها متعتى ، وبها تشبثت قدر مشيئتى
هى لى بهجتى ومنتهى حياتى ، انا الذى
اعرضت فى متعة الحب عن كل رتابة .

فى المكان ذاته

يا ايها الحى الذى به احيا ، والهو ،
وتجوس بين جنباتك عيناى
وبين ارجائك اسير يوما بعد يوم ، واسعى
فى لحظات فرحى وحزنى ،
ومن قضايا شتى الخطوب والاحداث ،
اعدت خلقك
وما عدت ، بالنسبة لى ،
ســوى عالم ،
من صنع عاطفتى .

رغبـــات

مثل اجساد جميلة ، لم تدركها الشيخوخة
ذرفت عليها الدموع ، وهى توارى ضريحا فخم البناء ،
على الهامات نضدت ورود ، ونثر الياسمين عند الأقدام
مثل اجساد كهذه هى الرغبات التى ولت
دون وفاء ، دون أن يقدر لها قط
ليلة من ليالى المتعة ولا حتى صباحا من اصبحتها
العامرة بالضياء .

الملك ديمتريوس

عندما تخلى عنه اهل مقدونية
واعلنوا انهم يفضلون عليه بيرو ،
لم يتصرف الملك ديمتريوس (وكان ذا روح قوية) لم يتصرف على الاطلاق مثلما يتصرف الملوك – هكذا قالوا – بل ذهب
يخلع جلبابه المذهب ،
ويلقى بخفه القرمزى
ثم ارتدى مسرعا ثوبا بسيطا
وتسلل خارجا ،
مقلدا بذلك الممثل ، الذى يبدل ثيابه ما ان ينتهى العرض ،
ويرحل .

دوحة الماضي

مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● العقاد يكتب عن تعدد الزوجات فى أوروبا ● ● فرقة تمثيلية يؤلفهـــــا المشايخ ● ● ● لم ينجح أحـد فى الفنون الجميلة ● ● ● ●تجنيد الكلاب فى الحروب ● ● ● ● ● زكي مبارك يدافع عن الجاموس

لـم ينجـــح أحـــد

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها ان تتدارك أسبابها او ان تسترها على الأقل : اما هذه الفضيحة فهى انه لم ينجح احد من طلبة قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا . وفى هذا القسم اربعة طلاب فقط موزعون على سنى الدراســة المختلفة ، ومعنى هذا ان هؤلاء الأربعة هم عدة الجيل للنحت فى مصر ، ويلحظ إلى جانب هذا ان المدرسة وقفت عليهم اساتذة اكثر منهم عددا ، فاذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع ان تتعهد اربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع ان تصنع ؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين استاذ النحت فى المدرســة « وهو سويدى » وبين ناظر المدرســة وصديق له مدرس بها . والناظر وهذا الصديق مصريان ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفوا وإنما اريد بها ان تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبى هذا العام . وان ترفع المدرس المصرى إلى درجة الأستاذية .

وإن كان مما يسعد كل مصرى ان يرى قسم النحت فى مدرسة الفنون الجميلة العليا يراسه استاذ مصرى فانه مما تشمئز منه الانسانية أن يعبث فى سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل اربعة من الطلاب وهم كما قلنا عدة الجيل فى هذا الفن .

زد على ذلك ان ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس متهمـــــان فى مقدرتهما الفنية ، فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة فى زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها ورؤوس دولتـــه ، وانه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليـــد الفنانين فى حركاتهم واشاراتهم ومظاهر « العصبية » التى تبدو عليهم ، والتى استطاع بها ان يقنع أهل الحكم فى الوزارة السابقة بانه يصلح لأن يكون ناظرا لأكبر معهد فنى فى مصر .

أما صاحبه المدرس فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته واهله تعليمه لأن يكون مدرسا للصناع فى مدرسة الفنـــون التطبيقية لا أستاذا للفنانين فى مدرســة الفنون الجميلة العليا وشـــتان ما بين الصناعة والفن .

وانا اكتب هذا وقلبى يتمزق ، لانى انصر به أجنبيا على مصريين ، ولكننى افضل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية ، ولا ريب ان الاعتراف بالضعف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وانكار الحق .

والآن ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة ... إنه يحدث فيها اكثر مما ذكرناه ..

عزيز أحمد فهمى
« ١٠ يوليو ١٩٣٩ »

فـرقـة تمثـيـلـيـة من المشـــايـخ



على الطنطاوى

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددهـــا الصادر فى ٢٤ يولية سنة ١٩٣٩ هذا الخبر بتوقيع « ص.م » :

« شهدنا فى دار الأستاذ على الطنطاوى بدمشق اجتماعا تمهيديا لتاسيس فرقـة تمثيلية تضم المشايخ المشتغلين بالعلم والأدب . الغاية منها إرشاد النـــاس إلى المنهج الأخلاقى والعمل للاصلاح عن طريق التمثيل . وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوى ، وقد تبرع احد الوجهاء الذين حضروا الاجتمـــاع بارض واسعة يبنى فيها مسرح عظيم ، وبالنفقات اللازمة للتمثيل . وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل فعلا فى الرواية الأولى التى يعدها الآن الأستاذ الشيخ على الطنطاوى » .



العقاد يكتب عن : تعدد الزوجات في أوروبا

الكاتب الكبير عباس العقاد كتب هذا المقال فى اغسطس ١٩٣٩ ، اى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بايام قليلة ، وكان عنوان المقال « ما رايها ؟ » والخطاب فيه موجه إلى « الفتاة العصرية » وقد تحدث فى المقال عن الاتجاهات الاوروبية إلى « تعدد الزوجات » وفى مقدمة المقال يقول « إننى ما نويت ان احتكم فى هذا المقال إلى رأى الدين ، فقد عرفنا ان الاسلام يجيز تعدد الزوجات ، ولكنه لا يوجبه ، بل يكاد ان يمنعه بحضه على العدل واستكثاره أن يعدل الرجل بين امراتين ولو حرص على ذلك » .

وهذه بعض فقرات مقال العقاد :

إذا احتكمنا إلى اراء الساسة المحدثين والقادة المعاصرين ، فربما كان من العبرة ان نعلم ان هؤلاء القادة لم يجدوا انفسهم قط فى حالة كالتى كانت عليها الأمة العربية فى صدر الاسلام إلا خطر لهم تعدد الزوجات ، واجازوا ما اجازه القران ، بل اوشكوا ان يوجبوه ، وربما كان هذا العلم من دواعى تصحيح النظر إلى اصول الشرائع والاخلاق التى عابها اناس ونسوا ما كان لها من بواعث واسباب .

اقطاب « النازية » فى المانيا الحديثة ينصحون بتعدد الزوجات لانهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتاهبون لليوم الذى يملأون فيه بطاح أوروبا الشرقية فاتحين مقيمين . فالاستاذ ارنست برجمان عميد قسم الفلسفة بجامعة ليبزج ينعى فى كتابه : « روح الامومة » الزواج المفرد ، ويوجب تعدد الزوجات فى سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج المفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيضمحل حيثما فرضت الزوجة الواحدة على الرجل . وإنما مثال الدولة الصالحة تلك الدولة التى تكون فيها المراة بغير عقب وصمة عار . ولن يزال فى الامم عدد من الرجال كاف وقابل لإيلاد جميع الاناث . وما علينا إلا ان نعيب سخافة الزواج المفرد فنعلم ان الطبيعة قد جعلت كل رجل كافيا لعشر أو عشرين من البنات اللواتى لم يقتلن فى نفوسهن غريزة الامومة » .

والدكتور روزنبرج فيلسوف المذهب النازى ومقرر نظرياته ومبادئه يوصى بالرجعة الى اداب القبيلة الجرمانية فى مسائل الزواج . ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما زخرت الشعوب الجرمانية فى القرون الماضية ، « ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء فى بعض الأزمان يربو كثيرا على عدد الرجال كما يوشك ان يكون الأمر فى الزمن الحاضر .. فهل يقضى على هؤلاء النساء ان يذهبن خلال ايام الحياة محرومات من حقوقهن الطبيعية مستهدفات للسخرية المزرية التى يلقاها العانسات ؟ وهل يؤذن للمجتمع المنافق القائم بما هو فيه ان يسلم هؤلاء البائسات لأضاحيكه ؟ » .

ورأى المفكرات الالمانيات قريب من رأى المفكرين الالمانيين فى هذا الباب . فلحداهن وهى السيدة « شولتز كلنك » تقول فى خطاب لها بين الصحفيات : « إن البنات الالمانيات يرجعن فى عصرنا الحاضر إلى غرائزهن الأصيلة ويصدعن بحكمها فى خضوع واغتباط عارفات ان هذه الغرائز إن هى إلا عطيه سماوية يملكن بها الدم والارض ويصبحن بها نماذج للمراة الالمانية الحديثة » .

وقبل الفلسفة النازية بقرن كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليها النازيون الآن ، وكان يغرى الأمة الفرنسية بالتناسل كما يغرى النازيون أمم الجرمان ، وكان يقول مثلما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء فى ازدياد وعدد الرجال فى نقصان .

فمن قوله فى هذا الصدد : « إننى صنعت كل ما استطعت لاصلاح حال اللقطاء المساكين الذين يساقون للعار والمهانة ، ولكن المرء لا يستطيع ان يغلو فى هذه الناحية مخافة على نظام الزواج ، وإلا لم تجد أحداً يقدم عليه » .

« وقد كان للرجل فى الزمن القديم سريات إلى جانب الزوجة ، فلم يكن الابناء غير الشرعيين محتقرين كاحتقارهم فى ايامنا . ومن المضحك الا يباح للرجل اكثر من زوجة فاذا هو كالاعزب إذا حملت او مرضت » .

« إن الرجل لا يتسرى فى العصر الحديث ، ولكنه ـ فى أوروبا ـ يخادن الخليلات ، وهن خراب ، لهن كلفة ، أفدح من كلفة الزوجات ولقد درج الفرنسيون على إكبار المراة ، وما ينبغى لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا الة لاخراج الذرية ... » .

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه اثر ذلك . اما المراة ، فاذا اقترنت مرة بعد مرة فلا محالة يدركها الذبول » ويقول نابليون عن المساواة بين الجنسين : « لا مناص من سيادة احد الجنسين على الاخر ... فقد يختل نظام الأمة إذا اعتزلت المراة مكانها المطبوع ، وهو مكان الطاعة والخضوع » .

زكي مبارك يدافع عن الجاموس

كتب الدكتور « زكي مبارك » هذا المقال سنة ١٩٤٠ ، وفي المقال يدافع الاديب العربي الكبير عن الجاموس فيقول :

كتب إلى حضرة « م.ع.ف » يعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين الفا من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع ان في طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس

ياسلام ؟ ياســـلام ؟

كيف يليق بحكومة رشيدة ان تفكر فى تحسين نسل الجاموس مع انها تعرف ان بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟؟

ذلك منطق هذا السيد الذى يشغل مكانا مرموقا فى الصعيد ؟ وعذر هذا السيد انه قرا فى مجلة « اخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة فظن أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس وهو جاموس .

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صنع الثروة المصريــة ، والاهتمام به لا يقل عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ .

فكيف يجوز لرجل أن يعد الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيبا من عيوب الحكومة .

المقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم ان تهتم بتحسين نسل الجاموس .

ويقول هذا السيد إن اشتغالي بالادب صرفني عن مواجهة الواقع ، وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلت لقراء فى كتاب البيان والتبيين كلاما معناه ان احد العرب قال :

لو كان لي الف بعير فيها بعير واحد اجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك ان الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغض من أقدار الرجال وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد .

ايها الغافلون من اهل هذه البلاد ، راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما تستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون انه ليس من العيب أن تهتم بتحسين نسل الجاموس .

وانت ايها الجاموس هل تحفظ هذا الجميل فتذكر انى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء

لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهل تحفظه انت ياجاموس ؟

وكيف نطالبك بحفظ الجميل وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فطرة العربي فى الصحراء الطف واصدق ، فقد نظم فى ناقته اجمل القصائد ، اما المصري فقد ظلم جاموسته اقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء .

فهل تكون للبداوى تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة اعرف الناس باصول المنافع فعدوا البقرة من المعبودات ، لانهم راوها من صور الحنان ولانهم عرفوا ما يصدر عنها من الخيرات ، والجاموسة اغزر نفعا من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا ان يسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا باس فنحن فى زمن تغلب فيه السخرية من المنافع ، وهــو زمــن مقلــوب الاوضاع ، ولولا ذلك لرسمنا الجاموسة بجانب الفلاح على ورق البنكنوت .

تجنيد الكلاب في الحرب

تدرب الكلاب فى جميع انحاء العالم للخدمة فى الحروب ، ففى روسيا انشئت مدرسة فى موسكو للكلاب ، وفى اليابان أعدت أماكن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد اعدت ميادين خاصة فى بولندا وايطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها ، وفى « استنيا » تلازم الكلاب طلائع الجيش ، اما فى فرنسا فهي تدرب مع الجنود فى كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب فى حمل الرسائل إلى الفرق الطبية ، وفى توصيلها إلى الحرس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصل رسائلها . وهي تدرك المرضين فى الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع ان تحمل المؤن على ظهرها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل فى الهجوم والدفاع منذ اقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب يستخدمها فى الحروب . وفى كتاب « بلوتارك » ان الكلاب انجت كتيبة « كورنيثية » من الهلاك .

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب فى حروب « ارجول » واستخدمها الرومان لحماية الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مواجهة الخيل ، فتاخذها بخياشيمها وتسقطها فى ميادين الحروب .

اما فى القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقد كانت الفرق الاسكوتلندية تصطحبها على الدوام ، وكانت مدينة « سان مالو » تستخدم الكلاب فى حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد اتخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود فى مدينة الاسكندرية ، واستخدم الالمان الكلاب لحماية الكتائب وحراسة الاقاليم والمعسكرات فى سنة ١٨٧٠ .

وفى سنة ١٨٩٥ قام كلبان بامداد كتيبتين بالذخائر أثناء الحرب على أكمل وجه .

وفى سنة ١٩٠٤ كان الجيش الالماني يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلافا من الكلاب الاخرى .

امـــا فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب فى سنة ١٩١٦ ، وقد اجتمع فى باريس تسعة آلاف كلب نظمت فرقا وأرسلت إلى الميادين للتدريب ، وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان نكره موضع إعجاب المتحدثين .

« ١٤ اغسطس ١٩٣٩ »

شخصية طريفة من تاريخنا الفني

محمود صبح

المطرب والموسيقار والملاكم الضرير

هذه شخصية من أطرف الشخصيات في تاريخنا الفني المعاصر ، ولكنها مع ذلك تعتبر شخصية لامعة لا يعرف الجيل الحالي عنها شيئا ، فصاحب هذه الشخصية محمود صبح ، فنان مبدع في الغناء والموسيقى ، وهو الى جانب ذلك كان يمارس رياضة شاقة هي الملاكمة ، والأغرب من ذلك كله أنه كان « ضريرا » ، وعن هذه الشخصية العجيبة ، الغنية بالفن والموهبة والمرح والسخرية ، كتب الأستاذ محمد السيد المويلحي هذا المقال سنة ١٩٣٩ ، وكان محمود صبح ما يزال على قيد الحياة :

قد يحمد الفنان إذا اعتز بنتاجه وسما به عن الابتذال والعرض والمقارنة ، وقد يحمد إذا عرف لنفسه قدرها لانه أدرى الناس بعبقريته وقوته ، واشدهم إيمانا بالهامه وتوفيقه ، ولكنه لا يحمد ولا يثنى عليه إذا تدرج اعتزازه وإيمانه بقدرته إلى الأنانية التى تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع .. الجميع دون استثناء .. !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلم بفنه إلماما تاما ويجيد العزف على العود والناى والبيان « البيانو » ، وله لون خاص ينفرد به ويعجب جمهرة كبيرة .. ولكنه يعتقد بل يؤمن إيمانا عميقا انه مبعوث العناية الالهية لانهاض الرسالة الموسيقية ، فعلى كل من ينتمى إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان العجائز فلا نقاش ولا جدال ، (لأن الذى يستطيع أن يناقشه او يجادله لم يخلق بعد ، ولانه الله سبحانه لا يخلق رسولين فى عصر واحد وإلا فسدت الرسالة) . هكذا يقول محمود صبح ، الذى يذكرنى « بروبسبير » الذى امن بعصمته فكان يعدم كل من يظن فيه المعارضة لآرائه ومبادئه لا لشىء إلا لأنه كافر بالعصمة والفضيلة .

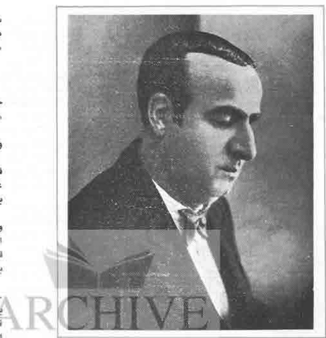
قامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر ، تشبه « شوال » الملح لونا وشكلا وثقلا ، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة ، وإن حرمت من نور البصر ، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع « بفضل الله » ان تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل اثقال ..

راس أودع الله فيه كنزا غنيا من الفن الأصيل المكين المبتكر . حاجبان كثيفان لو زرع شعرهما على عشرة رؤوس « صلعاء » لأصبحت غنية بالشعر القوى . انف كانف الصقر يهبط فى هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل « هلب كبير » ... ! !

وجه ممتلىء ، طالما زينته العمامة حتى ثار عليها ، وأبى إلا ان يتطربش لتكمل اناقته ورشاقته .. فم وإن كان يذكر الله كثيرا ويجيد تلاوة كلامه .. إلا انه لا يحب أن يغضب الشيطان فيهجر أوامره وإغراءه بل يندفع فى سبيل ترضيته فيصف « إخوانه » وزملاءه بوصف « مزخرف » مصنوع فى معامل « بولاق » و « حوش بردق »«١» .

اذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما ، اما غيره ... فـ « صوء ... صوء ، أعوذ بالله ، يا ستار العيوب ، إيه ده ؟؟ » يدان قديرتان ساحرتان ، إذا صفا صاحبهما اسرتا وسحرتا ، وخلقتا قوة وقدرة وفنا اصيلا نبيلا ، يدان تنحنى لهما الموسيقى العربية « البحته » ويخضع لهما الفن العالى الذى لا يخضع إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقدرة والعذوبة وقوة التاثير ، أروع من يؤدى « الباص » وأبدع من يحسن « البريتون » وارفع من يجيد « التينور » «٢» . يتكون من ديوانيين



الفنان محمود صبح .. كان يجمع بين الموهبة الفذة في الغنــاء والموسيقى ، والروح المرحة الساخرة !

ونصف تقريبا ، لا عيب فيه إلا خلوه من العيب .. صوت لو استطاعت محطة الاذاعة أن تهيىء له الجلســة الفنيــة المضبوطة امام « الميكروفون » لكان اية ، ولخلا من تلك العواصف التى تكاد تصم الاذان .

صوت يقلد القطار أدق تقليد ، ويحاكى صوت « القلة » أتم محاكاة . ومن ظرف محمود انه إذا صيفا اسمعك صــوت « العجين » وهو « يلت » حتى لتخاله امراة منهمكة فى « ماجورها » ... أقدر من يلحن الموشحات ، ويكفيه فخرا وسموا وخلودا أن أعظم مغن بالغا ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه بواحد من موشحاته لتشعبها ، وكثرة انغامها ، ووفرة حركاتها ، ودقة تركيبها ، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد ... !

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع ، خبير بفنه لا يحاكى ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف ، لانه كما قلنا لا يؤمن إلا برسالته . لا يعرف شيئا فى القواعد الغربية مع أن علم « التحسيس » «٣» . قد تقدم واصبح يدرس فى كل مكان .

يجيد العزف على العود ، واللعب على البيان والنفخ فى الناى ، إذا سالته عن فلان المشهور قال : طز «٤» ، وعن فلانة المعروفة قال : طزين يا سيدى .والويل لك إذا سمعته واعلنت سرورك وتقديرك بقولك « يا سلام يا شيخ محمود الله يزيدك » لانه يلتفت إليك متهكما متحفزا صارخا « هو لسه يا اخينا حيزيدنى ... حيخلينى إيه اكثر من كده ؟ » ، والويل لك اكثر وأكثر إذا اخذتك النشوة فنسيت أن تحييه لانه يسكت فجاة ويخاطبك :

ـ حضرتك مش سامعنى يا فندى ؟

ـ سامع يا استاذ دى حاجة عظيمة جدا

ـ أمال ساكت ليه ؟ ساكت ليه يا فندى ؟ ودانك بتوجعك ؟ والله ما انا قايل حاجه إلا لو خرجت من هنا . اتفضــل يا فندى وخدها وهى حلوة ... !

كان فى « الحسينية » من خمس عشرة سنة « ١٩٢٤ » يعزف بعوده امام حشد من مريديه ومحبيه ، فلما اخذته النشوة رمى « بعوده » وصرخ متمددا :

ـ أغيثونى ... أدركونى !

ـ مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا

ـ أغيثونى .. أدركونى .. امسكونى جيدا .. سدوا « ودانى » .. ســــدوا « ودانى » ... !

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فاذا بالشيخ محمود صبح يقول :

الجن عاوزه تخطفنى . رئيسهم كلمنى فى اذنى وقال : احنا عاوزينك يا محمود عشان بنتى حتتجوز .. امسكونى احسن يخطفونى !

عصبى إلى درجة بعيدة . لا يطيق النقد ومن ظريف امره أيام كان يذيع فى المحطات الاهلية انه كان يجلس فى محطة « فؤاد » قائلا لهؤلاء الذين يكتبون عنه او يتكلمون بمالا يحب :

يا ليل ، يا ليل ، سامع يا « فلان » يا ابن ... شايف الشغل إزاى ... يا ليل ، يا عينى ياليل ، « فلان » ، نحن محمود صبح ، تائب يا ابن الـ .... ياليل ياعينى ، لاح بدر التم امان . امان دوس يا لا للى ... يا بتوع (...) يا اولاد ... اتعلموا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم ينفعكم !

● ●

وبعد .. فمحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من بيت عريق ، ومن أصل طيب . لا يعتمد فى معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إيراده الخاص الذى يكفل له عيشا رغدا ، ولولا مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيما نافعا .

هوامش :

١ ـ بولاق وحوش بردق حيان شعبيان قديمان فى القاهرة .

٢ ـ الباص والبريتون والتينور ، اصطلاحات موسيقية عالمية لتحديد طبقات الصوت .

٣ ـ كلمة عامية شعبية من أصل غير عربى تعنى الاستهانة والاستهجان ، وهى لفظة غير خارجة .

٤ ـ علم « التحسيس » ، هو ما يسمى باسم طريقة « بريل » لتعليم العميان .

علاج حصوة الكلى بدون جراحـــــة

بعد نجاح اشعة الليزر فى العمليات الجراحية الدقيقة مثل جراحة العيون واستئصال الاورام فى المخ وفى علاج بعض الأمراض الجلدية المستعصية ، تؤكد هذه الأشعة نفعها فى مجال جديد ، وهو مجال جراحة المسالك البولية .

فلقد تمكن فريق من الاطباء البريطانيين من استخراج الحصى من كلى بعض المرضى بون إجراء جراحة ، وذلك بادخال انبوبة مزودة بمشبك ميكروسكوبى فى الكلى بحيث يمسك هذا المشبك بالحصوات وتقوم حزمة من اشعة الليزر بتفتيتها .

الألـيـــاف الضوئية تضبط حركة المرور

تتميز الألياف الضوئية بسرعة فائقة فى نقل الاشارات وبسعة أكبر بكثير من الكابلات العادية ، ولذلك فكر اليابانيون فى استخدام كابلات من الالياف الــضوئية فى مراقبة حركة المرور وهي مشكلة مستعصية فى هذا البلد المكتظ بالسكان .

وبتجربة هذه الالياف فى مراقبة طريق يبلغ طوله ٣٥ كيلومترا استطاع رجال المرور متابعة حركة السيارات على شاشة تليفزيونية بحيث لا تفلت سيارة واحدة . فلقد ثبتت كاميرات واجهزة التقاط لكل ٥٠٠ متر لنقل المعلومات خلال الالياف الضوئية إلى كومبيوتر مركزى بدقة وسرعة فائقة حتى ان المهندسين اليابانيين المسئولين عن التجربة يؤكدون انه باستطاعتهم إحصاء راكبي كل سيارة .

الراديو الشمسى

تتعدد أشكال واحجام اجهزة الراديو وتتنافس الشركات فى انتاج اصغر جهاز راديو وفى الوصول إلى اعلى درجات نقاء الصوت . إلا ان احدى الشركات اليابانية رات ان تجعل الراديو يعمل باشعة الشمس ، وانتجت بالفعل اصغر جهاز راديو يعمل بالطاقة الشمسية ، إذ لا يزيـد حجمه عن ثلثى علبة السجائر اما وزنه فيبلغ او نصه ونصف فقط وهو يعمل بفرق جهد ٢ر١ فولت .

ويشحن هذا الراديو باشعة الشمس واىمصدر ضوئى ساطع اخر ، وبعد ساعة من التعرض للاشعة الشمسية يعمل بشكل متواصل لمدة ٤٠ دقيقة اما اذا استمرت فترة التعرض لمدة اربع ساعات فان هذا الراديو الستريو يعزف الموسيقى والاغـــانى الجميلة لمدة اربع ساعات .

ويضم الجهاز بطارية من النيكل والكادميـوم لاختزان الفائض من الطاقة الكهربائية المتولدة . وإذا ما تم شحن هذه البطارية بكامل طاقتها فانها تمد الراديو بالطاقة اللازمة لتشغيله لمدة ٢٥ ساعة متواصلة . ولا يكلف هذا الراديو صاحبه شيئاً ولكنه فى الجانب المقـــابل امكانياته محـــــدودة فهـو لا يستطيع استقبال الموجـــات القصيرة .

هدية للموسيقيين

يضطر المؤلف الموسيقى إلى التوقف مرات عديدة أثناء تاليف اللحن ليسجل على النوتـــة الحروف الموسيقية التى يضعها لولا باول خوفا من نسيانها عندوضع اللحن فىصورته النهائية التكنولوجيا اليابانية تقدم حلا لهذه المشكلة التى تواجـــه الملحنين . فقد انتج اليابانيون الة موسيقية الكترونية تسجل اتوماتيكيا انغام الموسيقى بمجرد ان يعزفها المؤلف .

وتضم هذه الآلة فىداخلها ميكروكمبيوتر يحول النبضـات الكهربية لاصابع البيـــانو الى اشارات تقوم بتشغيل طباعةترسم على الورق كل العلامات الموسيقية لتعطى فى النهاية نوتة موسيقية للحن المعزوف . وتستطيع هذه الآلة طبع النوتة للموسيقية اثناءعزف المؤلف أو بعد انتهائهمن تاليف اللحن بالكامل . وهى من ناحية أخرى تتيح لهواة الموسيقى تعلم كيفية كتابة اغانيهم الخاصة . تستطيع ان تعزف مجموعـــة متنوعة من الالات الموسيقية ابتداء من البيانو الى الجيتار والكمان وهى صغيرة الحجم فطولها ٣١ بوصة وعرضها ٧ بوصات ولا يتعدى وزنها خمسة ارطال مما يسهل حملها ونقلها ، من مكان إلى اخر .

عندما أصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!

إمرأة تدعى جولدا.. وأشياء أخرى مزعجة!

شهدت امريكا اخيرا ، الفيلم التليفزيونى الطويل « امراة تدعى جولدا » الذى يؤرخ لحياة « جولدا مائير » .. الفيلم من جزئين .. كل جزء ساعتان !!

لعبت الممثلة السويدية العالمية ، « انجريد برجمان » دور جولدا .. فيما يقال عنه ، انه واحد من اهم أدوارها السينمائية .. فقد استطاعت ان تتقمص من خلال ماكياج دقيق ، وتدريب خاص على الحركة والكلام .. لتعطى نموذجا مشابها تماما لجولدا مائير ..

تم تصوير الفيلم باكمله فى اسرائيل ..

انفقت شركة « بارامونت » الامريكية ، اربعة ملايين دولار لانتاج هذا الفيلم ..

ضم الفيلم ٧٥ ممثلا اسرائيليا ، فى ادوار رئيسية وثانوية .. وعمل ايضا اكثر من ٧٠ اسرائيليا فى مختلف الفروع الفنية للفيلم . مما شكل هذا العدد بنسبة ٩٥٪ من مجموع العاملين فى الفيلم! !



بقلم: رؤوف توفيق



انجريد برجمان ٦٧ عاما اصطادوها فى اسرائيل

● اسرائيل .. واليهود مرة اخرى !!

انهم لا يكفون عن التذكير بانفسهم .. معاناتهم .. واضطهادهم .. وبطولاتهم .. وانتصاراتهم .. واهم شخصياتهم .. واحلامهم :

انهم لا يكفون عن الضجيج وقرع الطبول

المملثة « فاي دونا واي» فى آخر افلامها تلعب دور « ايفا براون » قبل ان ترتبط بالعمل مع المخرج الاسرائيلي .



.. وكأن العالم يجب ان يكون مشغولا بهم دائما .. والا ينساهم ابدا .. سواء فى الواقع اليومى .. أو فى الادب والفن . !

وها نحن نعود للحديث عن اسرائيل واليهود .. وكأننا على موعد .. فقد اكتشفت ان الصدفة وحدها .. هى التى جعلتنى على مدى اربع سنوات متتالية .. وفى شهر سبتمبر بالذات .. اكتب « للدوحة » عن هذا الموضوع .. وما يفعله اليهود داخل اسرائيل او خارجها فى مجال الفن وبالذات .. السينما !

ففى هذه الايام من كل عام ، اكون قد عدت من مهرجان « كان » السينمائى ، مشحونا بهذه الرؤية الغنية لمختلف التيارات الفكرية والسينمائية فى هذا الملتقى العالمى مسنودا بهذا الرصيد المتجدد من الكتب والدراسات واللقاءات والنشرات الصحفية عن مختلف ما تنتجه السينما فى العالم ..

ولابد ان يكون بينها آخر ما يفكر فيه هؤلاء القوم فى اسرائيل وخارجها .. وآخر ما يقدمونه من الافلام .. وايضا ما يخططون له ! .

وفى هذا العام .. ومع احداث لبنان الدامية ، والغزو الاسرائيلى الهمجى القذر .. وصور الخراب والدمار الكاسح .. وجثث الشهداء والاطفال الابرياء ، والجرحى الذين فرض عليهم الحصار الوحشى .. تذكرت هذه الكتيبات والنشرات الصحفية التى كانوا يلقونها فى صناديق الصحفيين والنقاد المشتركين فى مهرجان كان .. وما كان يحفل به صندوقى كل يوم من بعض هذه المواد اللامعة المصقولة والمليئة بالدعاية لنشاطهم وافلامهم .

كنت قد قررت فى لحظات الغضب والاسى لما يحدث فى لبنان .. الا افتح هذه الأوراق .. وان اسقط من ذاكرتى بعض ما شاهدته لهم من افلام .

ولكنى عدلت عن قرارى .. لكى افهم اكثر كيف يتحركون فى العالم .. وكيف يؤثرون فى الرأى العام .. وكيف يبيعون السم فى الأشرطة السينمائية الملونة .

صحيح .. ان الذين يتعاملون فى سفك الدماء .. ويتفننون فى الخراب والابادة والقتل الجماعى .. لا يمكن ان يصنعوا فنا !

فالفن اساسا حب .. وجمال .. وتبشير بالحياة والامل ..

ولكن مع اختلال الموازين فى العالم .. وسيادة روح العنف والارهاب .. اصبح الفن ايضا يسمح للقتلة والسفاحين ان يقولوا رأيهم ! !



انجريد برجمان اثناء تصوير الفيلم ، تجلس فى اقصى اليسار مع بعض ممثلي الفيلم ومنتجه !

عندما اصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين ان يقولوا رأيهم.. فماذا قالوا...؟

المنتج الامريكي « جين كورمان » الذى اعلن انه يفضل العمل فى اسرائيل لانها ارخص بلاد العالم (!!) .

● الممثلة التى اقنعوها بحب « جولدا مـــائير »

انهم يتحدثون بفخر شديد عن فيـــلم « امراة تدعى جولدا » .. وعندهم عشرات من التفاصيل عن الموضوع .. وجولدا الزعيمة الاسرائيلية .. وجولدا الممثلة انجريد برجمان .. وعن الانتاج الامريكى .. وعن التصوير وبناء الديكـــورات للمـــواقع الاسرائيلية كما فى الحقيقة .. و .. و ..

انهم بارعون جدا فى الدعاية ..

يقولون فى نشرة الفيلم الاسرائيلى لهذا العام .. « ان اعداد قصة حياة شخصـــية معروفة .. امر غير سهل .. وهو امر اكثر صعوبة فى حالة « جولدا مائير » حيث يجب ان توازن بين قوة امراة رائدة .. ورقة ام يهودية .. (!!) » .

ويقولون .. ان الفيلم يغطى سبعين عاما من حياة جولدا مائير ، منذ ان كانت طفلة صغيرة فى روسيا .. حتى هجرتهـــا الى فلسطين .. وانضمامها الى الحركة اليهودية .. ودورها فى قيام دولة اسرائيل .. افكارها ، ومخططاتها ، ومعاركها حتى مرحلة تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية من عام ٦٩ الى عام ٧٤ .. ثم وفاتها فى ديسمبر ٧٨ .

وتقول انجريد برجمان التى سمحت ان يغيروا وجهها الجميل الهادىء .. الى نسخة اخرى من جولدا .. تقول : « قلبى سيطر على تفكيرى .. وسقطت فى حب جولدا مائير .. انها صادقة جداً ، مخلصة ، مرتبطة بالارض .. وليس فيها اى شىء مزيف » (!!) .

وقد كانت انجريد برجمان فى زيـــارة سياحية لاسرائيل فى فبراير ٨١ .. وهى اول زيارة لها لاسرائيل ، وكانت بهدف رؤية بعض الاماكن الدينية المقدسة .. وهناك « اصـــطادها » المنتج الامـريكى « جين كورمان » والذى اصبح شبه مقيم فى اسرائيل ، حيث يصور كل افلامه هناك .. وكان اخر افلامه « الأحمر الكبير » الذى اخرجه صمويل فوللر ولعب بطولته « لي مارفن » واشتركت به امريكا فى المسابقـــة الرسمية لمهرجان كان ٨٠ (راجع مقـــال الدوحة سبتمبر ٨٠) .

وبذكاء شديد طرح المنتج الامـــريكى




ممثلون مراهقون وموضوع يعتمد على الاثارة وافلام سريعة الربح .. هذا ما تفكر فيه الشركة الاسرائيلية .



مشهد من فيلم « اخر فتاة امريكية عذراء » احدث افلام الشركة الاسرائيلية .



المخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » على اليسار مع شريكه الجديد الذي يملك شركة انتاج تليفزيوني !



سيارة موديل عام ١٩٢٣ ، استخدموها لتركبها الممثلة التى تلعب دور جولدا مائير اثناء جولتها فى المستعمرات الاسرائيلية فى فلسطين !

« كورمان » على الممثلة الذائعة الصيت « انجريد برجمان » ان تلعب دور جولدا مائير .. ودبر مواعيد مع بعض المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية لاقناعها بالدور .. وعرضوا عليها مجموعة من الافلام الاخبارية عما كانت تفعله جولدا مائير .

بعد هذا بثلاثة اشهر .. كانت « انجريد برجمان » قد تلقت سيناريو الفيلم كاملا .. وبدأ الاستعداد للعمل .. !

ويقال ــ كما نشرت جريدة نيويورك تايمز ــ ان صديقا لانجريد برجمان .. وهو « سيدنى برنستين » صاحب شركة تليفزيون انجليزية .. اقنعها بقبول الدور على اساس انه افضل علاج لها من عذاب السرطان والخوف من انتشاره فى جسدها .. بعد ان اصيبت به عام ٧٤ .

وكما يؤكد المنتج « كورمان » الذى تولى انتاج هذا الفيلم ان انجريد برجمان شعرت بتعاطف شديد مع شخصية جولدا مائير .. وعلى حد تعبيرهم : « ان كلتيهما قد اصيبتا بمرض خطير .. وكلتاهما ضحتا بحياتهما الشخصية فى مقابل العمل .. جولدا مائير ضحت بزواجها لبناء الدولة الاسرائيلية .. وانجريد برجمان ضحت بزواجها واطفالها من اجل الاستمرار فى السينما .. » (!!) ويضيف المنتج قائلا : « لا يفهم تضحية امراة من هذا النوع .. الا امراة مثلها » !.

وتؤمن انجريد برجمان على هذا الرأى فتقول : « اننى افهم عقدة الذنب عند جولدا مائير امام اطفالها .. فقد عشت هذا الاحساس بالذنب طوال عمرى » ! .

وهكذا اقنعوها ..

تقول فى نفس الحديث الصحفى بجريدة نيويورك تايمز .. انه بعد فيلم « سوناتا الخريف » الذى مثلته من اخراج انجمار برجمان .. لم تجد دورا مناسبا يحمسها لان تلعبه : (انهم لا يكتبون افلاما لامراة فى سنى .. سوى ادوار الجدات اللاتى يعشن فى الاركان » .

ولهذا قبلت الممثلة المشهورة ــ والتى يتجاوز عمرها الآن ٦٧ عاما ــ ان تمثل دور جولدا مائير لاقتناعها الشخصى باهمية هذه المراة : « انها امراة يعرف اسمها الجميع .. ولكنى اطمع فى ان يعرفونها اكثر » !! .

« عشيق الليدي شاترلي » رواية « د.هـ.لورانس » التى حولتها الشركة الاسرائيلية إلى فيلم لتكسب ــ فقط ــ الارباح !



« سيلفيا كريستل » التى ارتبط اسمها بافلام الاثارة .. وكما تبدو هنا فى فيلم « عشيق الليدي شاترلي »






« انجريد برجمان » في آخر افلامها « سوناتا الخريف » قبل ان تمثل دور جولدا مائير



« شين كونري » هو الآخر يقبل العمل مع الشركة الاسرائيلية .



عندما اصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين ان يقولوا رأيهم .. فماذا قالوا ..؟!

● ماذا فعلوا .. لكي يخلقوا الاسطورة ؟!

وقد استدعى تصوير احداث هذا الفيلم .. ان يعيدوا بناء « الكنيست » داخل الاستوديو .. كما اعادوا بناء قطاع يمثل فلسطين في الاعوام من ١٩٢٠ ــ ١٩٤٠ .. وان يحولوا احدى معسكرات الجيش في القدس الى معسكر يماثل ما حدث في قبرص عندما نزل اليها عدد ضخم من المهاجرين اليهود في طريقهم الى اسرائيل .. فاعتقلتهم السلطات القبرصية .. مما جعل جولدا مائير تسافر إليهم لترحب بهم .. ويصور الفيلم اطفال المهاجرين وهم يستقبلونها بالزهور المصنوعة من الاوراق .. حيث لا يستطيعون الحصول على زهور حقيقية للترحيب بها » !! .

وهكذا صنعوا الاسطورة .. ويبيعونها الآن للتليفزيونات العالمية !!

● الرجل الداهية .. في امريكا

في نفس الوقت الذي يتحرك فيه المخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » بين مئات الملايين من الدولارات في شركته السينمائية المعروفة باسم « كانون » والتي انشاها في هوليود بالولايات المتحدة ..

لقد كان أكبر مخرج اسرائيلي وأكثرهم ذكاء ومقدرة على تنفيذ مخططات الدعاية للحكومة الاسرائيلية .. اما الآن فقد اصبح العقل المدبر لشركة سينمائية امريكية .. تنتشر كالاخطبوط وبسرعة مذهلة من الولايات الامريكية الى اوربا واليابان .

وقد ذهب « مناحم جولان » الى مهرجان كان .. ليقيم اضخم حملة دعاية للنجوم الذين تعاقد معهم على بطولة افلام شركته .. لافتات وملصقات هائلة .. حفلات كوكتيل .. وسهرات باذخة .. وشراء صفحات يومية من جرائد المهرجان للاعلان عن افلامه .

واذا اردنا ان نتابع حجم اعماله .. نعود الى المقالات السابقة والتي كتبتها في الدوحة (سبتمبر ٧٩ ــ واكتوبر ٨٠) .. حيث اشرت في مجال تحليل هذه الظاهرة اليهودية .. ان هذا المخرج الاسرائيلي اختار ان ينتقل الى امريكا .. « لأن امريكا هي نصف العالم .. وعلينا ان نتعامل على هذا الاساس » .. « اول انتاج للشركة ثمان افلام تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار » .

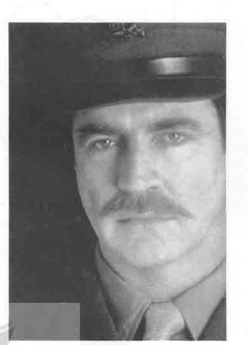
اما هذا العام .. فهو يصرح لمجلة « السينما الفرنسية » في احد اعداد مهرجان كان .. بأن ارباح شركته في العام الماضي وصلت إلى اربعة وعشرين مليون ونصف مليون دولار .. « وقد اضفنا هذه الارباح على اصول شركتنا السينمائية لنتمكن من انتاج الافلام الكبيرة » .

● انه يقـول :

يقول في توضيح خطته : « نحن نعرف ان كل شخص في العالم يرغب في مشاهدة فيلم امريكي .. ولكن هذه الافلام الامريكية الكبيرة لم يعد ممكنا الان صنعها .. ولهذا قررنا نحن ان نصنعها .. ففي حين ان اغلب الاستوديوهات الامريكية خفضت انتاجها ٥٣٪ .. واصبح عدد كبير من النجوم والفنيين بلا عمل .. ولهذا قررنا ان ننتج افلاما كبيرة بميزانيات صغيرة .. وقد اثبتنا على اننا قادرين على البقاء في السوق العالمي .. وقادرون على ان نكون عظماء » (!!) .

هكذا يتكلم .. ولنا ان نفهم معنى كلماته .. حينما يقول « في اثناء فترة انعقاد مهرجان كان هذا العام .. استطعنا ان نعقد صفقات بيع لافلامنا تجاوزت ٣٥ مليون دولار » ! ويضيف « فمادمت في كان .. فانت داخل السوق السينمائي للعالم كله حيث يتجمع في مكان واحد .. مما يعطى افلامك دفعة قوية .. وما علينا الا ان نتحرك » !

وقد نشرت الصحف الفرنسية اثناء فترة مهرجان كان .. ان صاحب شركة (فياكون) للانتاج التليفزيوني دخل شريكا مع شركة « كانون » بميزانية قدرها مائة مليون دولار



« الن بيتس » وافق على العمل مع الشركة الاسرائيلية لانه سيقبض ٥٠٪ من ارباح الفيلم !!

الممثلة « سيلفيا كريستل » كما يعدونها الآن لتمثل احد افلام الشركة الاسرائيلية فى امريكا وهو فيلم « ماتا هاري » الذى سبق وان قدمته من قبل « جريتا جاربو » ويعد من كلاسيكيات السينما الامريكية .

للانتاج التليفزيوني فى عام ٨٢ ـ ٨٣ .

● قائمة من النجوم .. تنضم إليه

ولكى نفهم كيف يتعامل هـــذا العقل اليهودي مع نجوم السينما .. علينا ان نقرأ هذا التصريح الذى ادلى به مناحم جولان حينما قال .. « ان شركتنا السينمائية تتكون من ٢٧ شخصاً فقط يتولون اعمال الادارة .. ومعنى هذا ان مصاريفنا الادارية منخفضة .. مما يمكننا من اعطاء نسبة أرباح عالية لمن يتعاون معنا .. ولهذا وافق بفرح شديد كل من « فاى دوناواى » و « الان بيتس » لان يعملا معنا بنسبة ٥٠٪ من الارباح » !! .

وقائمة الممثلين الامريكيين النجوم الذين قبلوا العمل فى هذه الشركة التى يملكها هذا المخرج الاسرائيلى وزميله « جلوباس » المنتج الاسرائيلى ايضا .. تضم القائمة عدداً يثير الدهشة .. فمن بينهم « شين كونرى » ـ « شارلز برونسون » ـ « روبرت ميتشوم » ـ « مارتن شين » ـ « سيلفيـــا كريستل » ـ « اليوت جولد » .

أما نوعية الافلام التى ينتجونها ـ حتى الآن ـ فهى اما افلام بوليسية ـ او افلام كوميدية ـ او افلام المغامرات والاثارة .. اى الافلام التجارية التى تغطى تكاليفها وتربح من الانتشار فى دور السينما الصغيرة وعلى مساحة امريكا كلها واوربا واليابان ..

● صفقات .. صفقات

ومن ذكائهم انهم عرفوا ان احد ملوك دور السينما فى انجلترا يعانى ازمة ماليـــة .. فعرضوا عليه شراء ١٣٠ دار عرض سينمائى فى انجلترا مقابل ١٤ مليـــون دولار !!

يقول المخرج « مناجم جولان » عن هــذه الصفقة :

« لقد كانت مشكلتنا اننا لا نملك دور عرض فى انجلترا .. اما الآن فقد اصبحنا من ذوى دور العرض بحيث يمكننا ان نعرض افلامنا كما نشاء .. وان نتولى ايضاً عرض افلام منتجين اخرين » !!

رجل بهذه العقلية .. يتشمم الصفقات الرابحة .. ويتحول من رئيس لشركة تتعامل بعشرين مليون دولار .. الى رئيس شركة تلعب بمئات الملايين .. ويستطيع ان يجند الى جانبه كبار الممثلين .. كل هذا فى ظرف عامين ..

ماذا يمكنه ان يفعل فى خمس سنوات .؟!

وهـــل سيكتفى بالافلام الخفيفة المسلية .. ام انه سيكشف عن هويته الحقيقية .. العنصرية اليهودية .. والتعاليم الاسرائيلية لغزو العالم فكريا .؟

● السؤال الذى يجب ان يزعجنا

انهم يتحركون بسرعة .. وبخطه محكمة للانتشار ..

يطلقون الرصاص .. ويقتلون الابرياء .. ويهدمون البيوت .. ويسرقون الارض .. وفى نفس الوقت يصنعون الافلام ويعزفون الموسيقى .. ويغنون .. !!

كيف يمكن ان يستوى هذا .؟ !

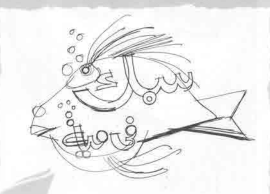
وماذا نحن فاعلون .؟ ! انه السؤال الذى يجب ان يزعجنا !

« رءوف توفيق »

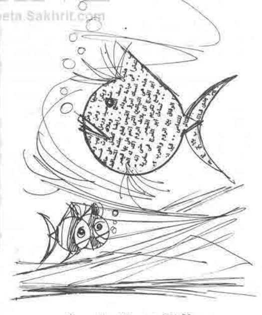




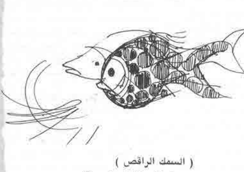
سمكة لسمكة ـ حر جدا ..
ماتيجي نخرج شوية .. !!



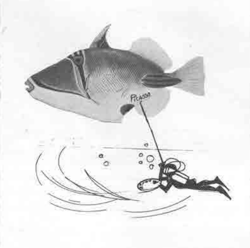
سمكة لسمكة ـ أنا محتاجة « مخرج »
شاطر يقدمني للجمهور ... !!



سمكة لتانية : .. كلام عايم .. !!



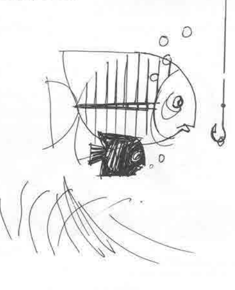
(السمك الراقص)
ـ مين اللي نقطك .. ؟؟



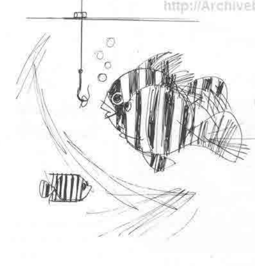
... !!



ـ صيد من بحور الشعـر .. !!



ـ خارجة اشتري لحمـه !!



ـ .. عيب ما تخرجيش بالبيجامة .. !!